كنز الفوائد

للإمام أبي الفتح الشيخ محمّد بن علي بن عثمان
الكراجكي الطرابلسي المتوفى ٤٤٩هـ

حقّقه وعلّق عليه
العلاّمة الشيخ عبدالله نعمه

الجزء الأوّل

دار الأضواء
بيروت • لبنان

كنز الفوائد

للإمام أبي الفتح الشيخ محمّد بن علي بن عثمان
الكراجكي الطرابلسي المتوفى ٤٤٩هـ

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار الأضواء

بيروت - الغبيري - شارع عبد الله الحاج - بناية الروضة

ص.ب: ٢٥/٤٠ - برقياً: الغبيري - حسنكو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته وتحياته على أكرم رسله، سيدنا محمد وآله المصطفين الأبرار، وصحبه الأخيار.

وبعد فأنا أمام كتاب «كنز الفوائد» الذي يعتبر - بحق - من الآثار القيمة الحية، التي تركها لنا سلفنا العلماء الخالدون، قد ضم بين دفتيه مجموعة كبيرة من أبحاث علمية، متعددة الألوان، مختلفة المواضيع، قد تبوأ مكانةً كريمة لدى العلماء والباحثين، وأولوه إهتمامهم وعنايتهم، فكان من المصادر التي اعتمدوها واخذو عنها.

وهذا الكتاب من آثار العلامة الفقيه المتكلم الشيخ أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي الطرابلسي، من ألمع العلماء الإسلاميين في القرن الخامس الهجري، وأكثرهم إحاطة بمعارف عصره، وأوفرهم إنتاجاً ونشاطاً في سبيل العقيدة الإسلامية، ونعرف ذلك من ثبت مؤلفاته كما يأتي إن شاء الله.

وقد طبع هذا الكتاب في إيران منذ أكثر من ثمانين سنة على المطابع الحجرية ونفدت نسخة وأصبحت نادرة الوجود، رغم رداءة طباعته وكثرة أغلاطه. لذلك أصبح مجهولاً لا يعرفه إلا قليل.

وقد عنيت منذ مدة طويلة بنسخه عن النسخة المطبوعة، وبترتيبه والتعليق عليه، رغبةً في نشره بين القراء، وتعمياً للفائدة، وإبرازاً لآثار علمائنا الأبرار وجهودهم في مجالات العلم والثقافة الإسلامية.

وكان من حق هذا الكتاب أن يصدر بحلته الجديدة، منذ زمن، إلا أن الظروف القاسية التي مرت بها البلاد حالت دون ذلك.

وأخيراً قيّض الله سبحانه الصديق البر الحاج جعفر الدجيلي صاحب دار الأضواء، فتولى طبعه وإخراجه، فله شكري ودعائي له بالتوفيق. والله سبحانه يتولى الصالحين العاملين.

٤ ربيع الاول سنة ١٤٠٥ هـ

٢٧ / ١١ / ١٩٨٤م

عبد الله نعمة

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

مقدمة

عاش أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي مؤلف هذا الكتاب «كنز الفوائد» الشطر الكبير من حياته ما بين النصف الأخير من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس للهجرة.

وكانت هذه الفترة التي عاشها الكراجكي بالذات حافلة إلى حدٍ كبير بضروب من الإنقسامات السياسية الهائلة، وبقيام دول صغيرة، منيت بها المملكة الإسلامية (الأم)، وانفصلت عنها.

فقد استقل بنو بويه بفارس والري وأصبهان والجبل.

وأصبحت كرمان في يد محمد بن الياس، والموصل وديار بكر وربيعة ومضر في أيدي الحمدانيين، والمغرب وأفريقيا في أيدي الفاطميين، والأندلس في أيدي الأمويين، وخراسان في يد السامانيين، والأهواز وواسط والبصرة في أيدي البريديين، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي، وجرجان وطبرستان في أيدي الديلم.

ولم يبق في يد العباسيين سوى بغداد وأعمالها، محتفظين بسيادة معنوية على هذه الدويلات المنفصلة عنها، التي كانت تقدم للخليفة العباسي في بغداد الدعاء والخطب في المساجد أيام الجمع والأعياد وفي المناسبات الدينية، وتشتري منه الألقاب[١].

---

(١) أنظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لآدم متز، ج١ ص١ وما بعدها.

كما حفلت هذه الفترة أيضاً بضروب عديدة من المذاهب والنحل، وبانقسام كبير في الآراء والنزعات، في مجادلات ومناظرات عنيفة وحادة، بصراحة وحرية، حفظتها لنا تلك المؤلفات التي وضعت في هذه الفترة، والتي تبرز لنا تلك الألوان المذهبية بوضوح وعنف، حول القدم والحدوث، وحول الخالق وصفاته، وحول أفعال الإنسان في الجبر والإختيار، وحول الخلافة والإمامة وما إليها من العصمة والنص والإختيار، وحول ما يراه المعتزلة من نظرية الأحوال، ونظرية الأشاعرة حول نظرية الكسب، وحول ما يراه الإسماعيلية والقرامطة من الباطن والظاهر، وحول جميع هذه المواضيع الكلامية وغيرها، التي كانت محور المناظرات العلمية والفكرية آنذاك.

فقد برز في هذه الفترة من شيوخ الأشاعرة أمثال أبي بكر محمد بن الطيب البصري المعروف بالقاضي الباقلاني المتوفي سنة (٤٠٣هـ).

ومن المعتزلة القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني شيخ المعتزلة في عصره المتوفي سنة (٤١٥هـ).

وأبو الحسن البصري محمد بن علي بن الطيب المتوفي سنة (٤٣٠هـ).

ومن الشيعة الإمامية الشيخ محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري المعروف بالشيخ المفيد المتوفي سنة (٤١٣هـ) وهو عالم الشيعة في عصره.

والشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي المتوفي سنة ٤٣٦. وتلميذهما أبو الفتح الكراجكي المتوفي سنة (٤٤٩هـ).

وفي هذه الفترة بالذات تنفس الشيعة الإمامية الصعداء حين أخذ ينحسر عنهم الكثير من الحرمان والكبت والملاحقة، التي عاشوها طيلة أكثر العهود الماضية، وتنسموا شيئاً من حريتهم، واستطاعوا الإعلان عن آرائهم واتجاهاتهم، مما لم يحظوا به في عصور سابقة. ذلك حين عطف بنو بويه على الشيعة، وسيطروا على الخليفة في بغداد، الذي كان مصدر ذلك الكبت والحرمان، وتحكموا بمقدرات الدولة وبمصيرها، وأصبح الخليفة العباسي دمية بين أيديهم يحركونها كيفما شاؤوا

وفي هذه الفترة بالذات أيضاً، استطاع الشيخ المفيد وتلميذه الشريف المرتضى وتلامذهما، أن ينشطوا للقيام بواجبهم الديني والعلمي دون خوف أو تقية، وأن يتغلغلوا في دفع الفكرة الشيعية إلى المناطق التي كانت موصدة أمامهم من قبل، كإيران وأكثر جهات العراق وسوريا، وأن يبرزوا التشيع في حقيقته النقية الصافية الممدودة بالمنطق والأدلة العلمية، وقد أخذوا على عاتقهم مهمة الدعوة الإسلامية، وصد هجمات الملاحدة من القرامطة والغلاة وغيرهما.

وكان أبو الفتح الكراجكي من أبرز من تحملوا المسؤولية في هذا السبيل. وكان الدور الذي قام بأعبائه مهماً وخطيراً. فقد قدّر له أن يعيش في هذا الثغر الشامي وفي الساحل اللبناني، ليقوم بترسيخ العقيدة الإسلامية، والحد من النزعة الإسماعيلية، يوم كانت فلسطين ولبنان واقعة تحت نفوذ الدولة الفاطمية، وحين كانت الفكرة الإسماعيلية الفاطمية تعيش في أكثر بقاعها.

وقد إختار الكراجكي مدينة طرابلس اللبنانية قاعدة لإنطلاقه وعمله، حين كان أمراء بني عمار الشيعة يتولون حكمها، ويسيطرون عليها.

ومن هذه القاعدة- طرابلس- انطلق الشيخ الكراجكي يناظر ويجادل ويعلم، بكل ما يملك من طاقة علمية وفكرية، وصمد في وجه الموجة الإسماعيلية العارمة، واستطاع أن يحد من نشاطها، حتى انحسرت عن أكثر هذه المنطقة، وحلت مكانها الفكرة الشيعية الأمامية، وأصبحت مذهب الأكثرية لسكان المناطق الساحلية في ذلك العهد..

وشمل في نشاطه مقاومة سائر المخالفين، كالمعتزلة والأشاعرة، وأهل الديانات الأخرى، كاليهود والنصارى والبراهمة وسواهم، كما يبدو ذلك من كتبه والفصول التي أدرجها في كتابه (كنز الفوائد).

كل ذلك بفضل جهوده المتواصلة، وبما كان يملكه من شدة المعارضة وروح الجدل، ووفور: العلم، وعمق الملاحظة، وتنوع الثقافة، وقوة الحجة، وبما كان يتمتع به من وعي وإدراك، ومن حيوية وحركة وصبرٍ وعملٍ دائب.

مؤلف الكـتاب

هو أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان المعروف بالكراجكي، نسبةً إما إلى (كراجك) وهي قرية تقع على باب مدينة (واسط) العراقية التي بناها الحجاج الثقفي والي الأمويين سنة ٨٤/٨٣هـ[١]، وكان بينها وبين كل من البصرة والكوفة والأهواز وبغداد مقدار واحد، وهو خمسون فرسخاً.[٢]

وهذا ما قاله كثير من مترجميه.

وإما نسبةً إلى عمل الكراجك وهي الخيم كما في لسان الميزان.[٣]

وقد وصفه غير واحد بالخيمي نسبةً إلى (الخيم) قرية أو محلة في مصر، كان أبو الفتح قد نزلها.

والأرجح أن نسبته بالكراجكي إنما هي إلى عمل الخيم، التي هي الكراجك كما قاله في لسان الميزان، إما لأنه هو كان يعملها أو أن الذي يعملها أحد آبائه فنسب إليها. بدليل ما قاله العماد الحنبلي: «وفيها توفي أبو الفتح الكراجكي أي الخيمي» الذي يفسر الكراجكي بالخيمي.

كما ينسب الكراجكي إلى طرابلس الشام، فيوصف بالطرابلسي، لإقامته فيها مدة طويلة أيام حكامها بني عمار، وقد عده المجلسي في كتاب البحار في فقهاء طرابلس، كما يفهم من عبارته التالية:

«ومن أجلاء علمائنا وفقهائنا ورؤسائهم فقهاء حلب، وهم جمع كثير، ومنهم

---

(١) و(٢) أنظر: التنبيه والإشراف للمسعودي ص٣١١.

(٣) ج ٥ ص ٣٠٠

فقهاء طرابلس، ومنهم الشيخ الأجل السعيد أبو الفتح الكراجكي نزيل الرملة البيضاء ».(١)

ويعزز هذه النسبة وإقامته الطويلة في طرابلس، أنه ألف أثناء إقامته فيها عدة مؤلفات، ومنها:

١- عدة المصير في حجج يوم الغدير، ألفه في طرابلس للشيخ أبي الكتائب ابن عمار.
٢- التلقين لأولاد المؤمنين.
٣- التهذيب متصل بالتلقين.
٤- نهج البيان في مناسك النسوان، أمره بعمله الشيخ الجليل أبو الكتائب أحمد بن محمد بن عمار بطرابلس.
٥- معونة الفارض على استخراج سهام الفرائض، ألفه بطرابلس لبعض الإخوان.
٦- ردع الحاصل وتنبيه الغافل، وهو نقض كتاب أبي المحاسن المعري الذي رد به على الشريف المرتضى في المسح على الرجلين، ألفه في طرابلس.
٧- مختصر طبقات الوراث، عمل للمبتدئين بطرابلس.

كما ينسب إلى (صور) المدينة الساحلية اللبنانية، فقد وصفه الطهراني في الطبقات بالصوري، إذ أقام فيها، وفيها توفي ودفن، وقد وضع فيها بعض مؤلفاته، منها: الأصول إلى مذهب آل الرسول سنة ٤١٨هـ.

* * *

وقد اتفقت كلمة مؤرخيه على أنه توفي سنة (٤٤٩هـ)(٢) في الثاني من ربيع الآخر(٣).

---

(١) البحار ج ١٠٥ ص ٧٦.

(٢) أنظر: شذرات الذهب للعماد الحنبلي ج٣ ص٢٨٣، ولسان الميزان للعسقلاني ج ٥ ص٣٠٠ ومرآة الزمان لليافعي م٣ ص٧٠ والقمي في الكنى والألقاب ج٣ ص٩٤ ومعجم رجال الحديث م١٦ ص٣٧٦.

(٣) أنظر: لسان الميزان ج٥ ص٣٠٠.

أما تاريخ ولادته فقد أهملته كتب التراجم، لكن وجدنا الكراجكي في كتابه (كنز الفوائد) يروي عن أبي الحسن علي بن أحمد اللغوي المعروف بركاز (بميا فارقين) في سنة ٣٩٩هـ.

وهذا يعني أن الكراجكي كان إذ ذاك في سنٍ تمكنه من تلقي الرواية والأخذ عن الرواة، وهذا عادة لا يكون إلا في سن الخامسة والعشرين من عمره، على أدنى الإفتراضات، وعلى هذا فتكون ولادته سنة ٣٧٤هـ. أي أنه عاش خمساً وسبعين سنة تقريباً.

والكراجكي من أئمة عصره في الفقه والكلام والفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها، وقد وصفه أصحاب التراجم بما يدل على مكانته العلمية وشخصيتهالبارزة في أكثر معارف عصره. قال العماد الحنبلي في شذرات الذهب ج٣ ص٢٨٣ في حوادث سنة ٤٩٩هـ.

«وفيها توفي أبو الفتح الكراجكي أي الخِيَمي رأس الشيعة وصاحب التصانيف محمد بن علي، مات بصور في ربيع الآخر، وكان نحوياً لغوياً، منجماً، طبيباً، متكلماً متقناً، من كبار أصحاب الشريف المرتضى، وهو مؤلف كتاب «تلقين أولاد المؤمنين».

وقريب منه ما قال اليافعي في مرآة الزمان (ج٣ ص٧٠).

وقال العسقلاني في لسان الميزان ج٥ ص٣٠٠ «محمد بن علي الكراجكي، بفتح الكاف وتخفيف الراء وكسر الجيم ثم الكاف، نسبة إلى عمل الخيم وهي الكراجك، بالغ ابن طي[1] في الثناء عليه في (ذكر الإمامية)، وذكر أن له

---

(١) هو يحيى بن حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن سعيد بن أبي الخير الطائي أبو الفضل البخاري الحلبي المعروف بابن أبي طي (٥٨٥- ٦٥٠هـ) أنظر: طبقات الشيعة القرن السابع ص ٢٠٥. وله ترجمة في لسان الميزان ج٦ ص٢٦٣- ٢٦٤ وقال: أنه ولد بحلب سنة ٥٧٥ وله تصانيف عدة منها (معادن الذهب في تاريخ حلب) و(شرح نهج البلاغة) في ست مجلدات و(فضائل الأئمة) و(خلاصة الخلاص في آداب الخواص) في عشر مجلدات و(الحادي في رجال الإمامية) و(سلك النظام في أخبار الشام)، أخذ الفقه عن ابن شهراشوب وكان بارعاً في الفقه على مذهب الإمامية، وله مشاركة في الأصول والقراءات.

تصانيف في ذلك، وذكر أنه أخذ عن أبي الصلاح،[1] واجتمع بالعين زربى، ومات في ثاني ربيع الآخر سنة ٤٤٩ ».

وقال الحر العاملي في الأمل:

عالم فاضل متكلم فقيه محدث ثقة جليل القدر. ثم ذكر بعض مؤلفاته.

وقد أطراه عدد من مترجميه، فوصفوه بالشيخ المحدث الفقيه المتكلم المتبحر الرفيع الشأن من أكابر تلامذة المرتضى والشيخ (أي المفيد)، والديلمي، والواسطي، وسلار وأبي الحسن ابن شاذان القمي، وهو من أجلة العلماء والفقهاء والمتكلمين، وأُسند إليه جميع الإجازات[2]. ويعبِّر عنه الشهيد الأول العاملي كثيراً، في كتبه بالعلامة، مع تعبيره عن العلامة الحلي بالفاضل[3].

وقد وصفه ابن شهراشوب في كتاب معالم العلماء ص٧٨٨ بالقاضي، وتابعه على ذلك السيد الكبير مهدي الطبطباني في رجاله فقال: أبو الفتح القاضي شيخ فقيه متكلم من تلامذة الشيخ المفيد.

وربما جاءت كنيته بأبي القاسم، وإنه من ديار مصر ويحتمل أنه من ديار الشام. ويؤيد هذا الإحتمال الأخير ما ذكره صاحب لسان الميزان من أن الكراجكي نسبةً إلى عمل الكراجك وهي الخِيَم، وعلى هذا فهو ليس مصرياً كما احتمله بعضهم من أنه نسبة إلى الخيم قرية في مصر، كما أنه ليس لدينا ما

---

(١) هو تقي الدين بن النجم الحلبي من تلاميذ الشريف المرتضى، له عدة مؤلفات، منها. (تقريب المعارف) و(البداية)، و(البرهان على ثبوت الإيمان) و(الكافي في الفقه). وصفه الشهيد الثاني، بالشيخ الفقيه السعيد خليفة المرتضى في البلاد الحلبية.
أنظر: (الكنى والألقاب ج١ ص٩٧). وفي لسان الميزان ج٢ ص٧١: تقي بن عمر بن عبيد الله ابن محمد الحلبي أبو الصلاح، مشهوربكنيته من علماء الإمامية ولد سنة ٣٧٤ ومات بحلب سنة ٤٤٧، أخذ عن أبي جعفر الطوي وغيره، ورحل إلى العراق فحمل عن الشريف المرتضى.

(٢) يراجع في ذلك بحار الأنوار ج١٠٢ ص٢٦٣ هامش للمعلق، والكنى والألقاب ج٣ ص٩٤.
وأنظر: معجم رجال الحديث ج١٦ ص٣٧٦ ومقدمة الطبعة القديمة لكنز الفوائد.

(٣) أنظر الكنى والألقاب ج ٣ ص ٩٤.

يدل على أنه عراقي نسبةً إلى كراجك وهي قرية على باب واسط كما تقدم، بل المحتمل قريباً أنه من بلاد الشام.

وقد وصف المؤلف كما سبق بالقاضي، ولا نعرف البلد الذي كان فيه قاضياً، ولا الجهة التي أسندت إليه هذا المنصب، وإن كان المظنون أن أُمراء بني عمار حكام طرابلس هم الذين أسندوا إليه القضاء وفي مدينة طرابلس الشام بالذات.

وكان المؤلف الكراجكي جيّاشاً بكل فن، يطلب المعرفة أينما كانت، وفي حركة دائبة بدون ملل، يفيد ويستفيد، فقد كان صاحب رسالة إسلامية وعلمية، يعيشها ويدعو إليها، ويتجول في سبيلها في كثير من العواصم الإسلامية، وبخاصة الشامية منها، ويجول فيها عرضاً وطولاً، إشباعاً لرغبته في نشر رسالته، فلم يقر له قرار، فكان في مصر سنة ٤٠٧ و٤٢٦، وفي الرملة من فلسطين سنة ٤١٠ و٤١٢[1] و٤١٦، وفي مكة المكرمة سنة ٤١٢، وفي بلبيس سنة ٤١٨، وفي ميافارقين سنة ٣٩٩.

كما كان يتجول بين دمشق وبغداد، وحلب وطبرية، وبين صيدا، وصور وطرابلس، ويقيم في كلٍ منها مدة طويلة، يؤلف فيها ويصنف، كما يظهر من ثبت مؤلفاته، ومن لقاءاته مع أهل العلم، مما ذكره في كتابه (الكنز).

وحيث يستقر في بلدٍ يعكف على التأليف في مواضيع الساعة آنذاك. ومن هنا وجدنا شطراً من مؤلفاته وضعها بالقاهرة، وبعضها في الرملة، وآخر في دمشق وطبرية وصيداء وصور وطرابلس وغيرها.

كما كان يؤلف لبعض شخصيات عصره من أُمراء وقواد وعلماء وقضاة، وثبت مؤلفاته يشير إلى هذا.

وكان على إلمام تام بمعارف عصره، كما يظهر ذلك من مؤلفاته المتعددة المواضيع، وذا ثقافة واسعة.

---

(١) يقول الكراجكي ص٢٤٧ من طبعة الكنز القديمة: ورأيت بالرملة في جمادى الآخرة من سنة ٤١٢ شريفاً من أهل السند يعرف بأبي القاسم عيسى بن علي العمري من ولد عمر بن أمير المؤمنين (ع).

فقد كتب في الفقه والأصول، والحساب، والرياضيات والفلك، والأدب والحديث، والفلسفة والكلام، والنحو، والأخلاق والتاريخ والرجال، والتفسير، وغير ذلك مما تشير إليه عناوين كتبه التي وضعها.

ومن هنا نجد مترجميه يصفونه بأنه نحوي لغوي منجم طبيب متكلم، محدث فقيه متفنن على ما سبق.

«شيوخ المؤلف وأساتذته»

أخذ أبو الفتح الكراجكي العلم عن جماعة كثيرة من أعلام عصره، كما أخذ الحديث من عدد كبير من الرواة والعلماء من شيعة وسنة، وروى عن أكثرهم في كتابه (الكنز).

ومنهم:

١ - الشيخ المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي المعروف بابن المعلم (٣٣٦/٣٣٨ - ٤١٣هـ).

٢ - الشريف المرتضى علي بن أبي أحمد الحسيني بن موسى الموسوي المعروف بذي المجدين وبعلم الهدى، والمكنى بأبي القاسم ٣٥٧ - ٤٣٦

٣ - أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي الطبرستاني المعروف بسالار ومعناه الرئيس أو المقدم من تلاميذ المفيد والمرتضى، توفي سنة ٤٤٨هـ وقيل سنة ٤٦٣هـ.

٤ - أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن علي المعروف بابن الواسطي المعاصر للشريف المرتضى.

٥ - أبو المرجا (أبو الرجاء) محمد بن علي بن طالب البلدي وهو ممن روى عنه بالقاهرة.

٦ - الشريف أبو عبدالله محمد بن عبيدالله بن الحسين بن طاهر الحسيني.

٧ - القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري، روى عنه بمصر سنة ٤٢٦هـ قراءة عليه.

٨ - أبو محمد عبدالله بن عثمان بن حماس، روى عنه بمدينة الرملة.

٩ - أبو القاسم هبة الله بن ابراهيم بن عمر الصواف، روى عنه بمصر.

١٠- القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم بن كليب السُلمى الحراني نزيل بغداد، روى عنه في مدينة الرملة سنة ٤١٠هـ، وقد أكثر الراوية عنه في كنز الفوائد، وقال ابن عساكر عنه: كان من أشد الشيعة وكان متكلماً. مات بعد الأربعمائة.[١]

١١- أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي، روى عنه الكراجكي بمكة المكرمة سنة ٤١٢هـ[٢] وأورد في الكنز كثيراً من رواياته عنه، وهو ابن أخت أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولديه القمي الشهير المتوفى سنة ٣٦٨/٣٦٧هـ.

١٢- الحسين بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي، قال الكراجكي عنه: وكان مشتهراً بالعناد لآل محمدوالمخالفة لهم. وسمعت من هذا الراوي المخالف عدة فضائل لآل محمد (ص) سخّره الله لنقلها فرواها راغماً حجةً عليه بها.[٣]

١٣- الشريف أبو منصور أحمد بن حمزة الحسيني العريضي، روى عنه في الرملة.

١٤- أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن عنان، روى عنه بحلب.[٤]

١٥- أبو الحسن علي بن أحمد اللغوي المعروف بابن ركاز، روى عنه في ميافارقين سنة ٣٩٩.

١٦- القاضي أبو الحسن علي بن محمد السباط البغدادي.

١٧- أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني، روى عنه بمصر سنة ٤٠٧هـ.

١٨- أبو سعيد أحمد بن محمد بن أحمد المالييني الهروي، روى عنه في الرملة سنة ٤١٠هـ في شوال.

(١) أنظر: لسان الميزان ج١ ص٣٨٢.

(٢) ورد في الكنى والألقاب ج١ ص٣١٨ تاريخ قراءة الكراجكي سنة ٣١٢ وهو اشتباه دون ريب.

(٣) أنظر كنز الفوائد ص ١٥٤ من الطبعة القديمة.

(٤) أبو العباس هذا يروي عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني شيخ عدة من مشايخ الطوسي (الطبقات ج٢ ص٧٣).

١٩- أبو العباس أحمد بن نوح بن محمد الحنبلي الشافعي، روى عنه بالرملة سنة ٤١١هـ حديثاً عن المعمر الشرقي.

٢٠- أبو الحسن علي بن الحسن بن مندة، روى عنه الكراجكي حديث الطائر المشوي في طرابلس سنة ٤٣٦هـ، وأورد هذا الحديث في كتابه (تفضيل علي على غيره).

٢١- أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، شيخ الطائفة وصاحب كتابي التهذيب والإستبصار (٣٨٥- ٤٦٠هـ) ذكره كما حكي عن منتجب الدين صاحب الفهرست في مشايخ الكراجكي.

ومن الملاحظ أن الكراجكي لم يرو حديثاً واحداً عنه في كتابه (كنز الفوائد). ومن هنا شك بعضهم في صحة ذلك.

«تلاميذ المؤلف»

عرفنا من تلاميذه الذين أخذوا عنه جماعة وهم:

١- الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين الخزاعي المعروف بالمفيد النيسابوري، وهو من شيوخ العلماء، صاحب التصانيف، وعم والد الشيخ أبي الفتوح الرازي جعفر بن علي بن محمد بن أحمد.(١)

٢- أبو محمد ريحان بن عبدالله الحبشي.(٢)

٣- السيد أبو الفضل ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي المصري العمري الإستراابادي، كان فقيهاً صالحاً، يروي عن عبدالله بن عمر الطرابلسي.

---

(١) هو تلميذ الرضي والمرتضى والطوسي وسالار وابن البراج والكراجكي (الذريعة ج٢ ص٣١١).

(٢) في لسان الميزان ج٢ ص٤٦٩: ريحان الجبش أبو محمد السبيعي الإمامي المصري، تفقه على علي ابن عبد الله بن كامل، روى عنه شاذان بن جبريل، قال: ابن أبي طي قال لي أبي: كان الفقيه ريحان من أحفظ الناس، وقيل كان يصوم كثيراً ولا يأكل إلا من طعام يعلم أصله، وكان ابن رزيك (أي الوزير الفاطمي) يعظمه ويحترمه، كان بعد الخمسين وخمسماية.

٤- عبد العزيز بن أبي كامل القاضي عز الدين الطرابلسي.

٥- الفقيه أبو عبد الله الحسين بن هبة الله الطرابلسي[١]، روى عن الكراجكي كتاب معدن الجواهر، وكتاب روضة العابدين الذين ألفه الكراجكي لولده موسى..

٦- الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن الملقب بحسكا الرازي ابن الحسين بن الحسن بن الحسين بن علي بن بابويه القمي من تلاميذ الطوسي وسالار الديلمي وابن البراج، وحسكا مخفف (حسن كيا) ومعنى كيا الرئيس ونحوه من كلمات التعظيم، وهو فقيه عصره، روى عن الكراجكي، وهو جد منتجب الدين ابن بابويه صاحب الفهرست[٢]

« مؤلفاته »

وقد وضع الكراجكي عدداً ضخماً من مؤلفاته في مواضيع مختلفة، كما أشرنا من قبل.

وقد ذكرها العلامة النوري في كتابه (المستدرك) ص٤٩٧- ٤٩٩.

وفيما يلي شطر من هذه المؤلفات.

١- روضة العابدين ونزهة الزاهدين، ثلاثة أجزاء في الصلاة، ألفه لولده موسى. ينقل عنه الشيخ شمس الدين محمد وأخوه تقي ابراهيم الكفعمي،[٣] ويرويه عنه الحسين بن هبة الله الطرابلسي.[٤].

٢- الرسالة الناصرية في عمل ليلة الجمعة ويومها، عملها للأمير ناصر الدولة بدمشق.

٣- التلقين لأولاد المؤمنين، ألفه بطرابلس.

---

(١) في الذريعة ج١٩/ص١٥٦ ذكر له كتاب (الفرج في الغيبة) وورد اسمه هكذا أبو عبدالله محمد ابن هبة الله بن جعفر الوراق الطرابلسي تلميذ الطوسي.

(٢) أنظر: البحار ج١٠٢ ص٢٤٤ وص٢٦٤ هامش وأنظر: الكنى والألقاب ج٣ ص١٨١- ١٨٢

(٣) أنظر: طبقات الشيعة ج٥ ص١٧٩

(٤) المصدر ص٦٩.

٤- التهذيب متصل بالتلقين، ألفه بطرابلس.
٥- معونة الفارض على استخراج سهام الفرائض، ألفه بطرابلس لبعض الإخوان.
٦- المنهاج إلى معرفة مناسك الحاج، ألفه للأمير صارم الدولة ذي الرياستين.
٧- المقنع للحج والزائر، سأله لتأليفه القائد أبو البقاء غرز بن براك.
٨- المنسك العضبي أمره بعمله صارم الدولة بطبرية.
٩- منسك لطيف في مناسك النسوات أمره بعمله صارم الدولة.
١٠- نهج البيان في مناسك النسوات أمره بعمله الشيخ الجليل أبو الكتائب أحمد بن محمد بن عمار بطرابلس.
١١- الاستطراف فيما ورد في الفقه من الانصاف، صنفه للقاضي أبي الفتح عبد الحاكم.
١٢- مختصر دعائم الإسلام للقاضي النعمان، قاضي الفاطميين.
١٣- الإختيار من الأخبار، وهو اختصار كتاب الأخبار للقاضي النعمان.
١٤- ردع الجاهل وتنبيه الغافل، وهو نقض كلام أبي المحاسن المعري الذي نقض به على الشريف المرتضى في المسح على الرجلين، عمله بطرابلس.
١٥- البستان في الفقه، صنفه للقاضي أبي طالب عبد الله بن محمد بن عمار.[(١)]
١٦- الكافي بصحة القول برؤية الهلال، عمله بمصر.
١٧- نقض رسالة فردان المروزي في الجزء.
١٨- غاية الانصاف في مسائل الخلاف، وهو نقض على أبي الصلاح الحلبي في مسائل خلافية بينه وبين الشريف المرتضى، نصر فيها رأي المرتضى.
١٩- حجة العالم في هئية العالم، ذكر فضلاً منه في كتاب كنز الفوائد.
٢٠- كتاب ذكر الأسباب الصارقة عن معرفة الصواب.
٢١- دامغة النصارى، وهي نقض كلام أبي الهيثم النصراني فيما رامه من تثبيت الثالوث والإتحاد.

---

(١) ويقع في نيف وثلاثين شجرة طبقات ٥ ص١٠٩ وربما كان هو كتابه المشجر الآتي.

٢٢- الغاية في الأصول في حدوث العالم وإثبات محدثه.

٢٣- رياضة العقول في مقدمات الأصول.

٢٤- الراشد أو (الرائد) المنتخب من غرر الفوائد وهو كتاب الأمالي للشريف المرتضى.

٢٥- جواب رسالة الأخوين، يتضمن الرد على الاشعرية وفساد أقوالهم وطعنهم على الشيعة.

٢٦- عدة البصير أو (المصير) في حجج يوم الغدير[١]، عمله بطرابلس للشيخ أبي الكتائب ابن عمار.

٢٧- التعجب في الامانة من أغلاط العامة، وهو مطبوع في آخر كنز الفوائد في ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ وعدد صفحاته ٦٩ صفحة.

٢٨- الاستنصار في النص على الائمة الاطهار، وهو مطبوع مع كتاب مقتضب الأثر للعياشي أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عياش المتوفي سنة ٤٠١هـ، وقد طبع سنة ١٣٤٦هـ في النجف في المطبعة العلوية عن نسخة كانت في مكتبة المرجع ميرزاً محمد حسن الشيرازي المتوفي سنة ١٣١٢ وكانت كتابتها قبل سبعة قرون سابقة على طباعتها.

٢٩- معارضة الأضداد باتفاق الأعداد.

٣٠- المسألة القيسرانية في تزويج النبي (ص) عائشة وحفصة.

٣١- المسألة التبانية في فضل أمير المؤمنين (ع) على جميع البرية سوى سيدنا رسول الله (ص).

٣٢- مختصر تنزيه الأنبياء، والأصل للشريف المرتض.

٣٣- الإنتقام ممن عذل أمير المؤمنين (ع) وهو النقض على ابن شاذان الأشعري فيما أورده في آية النار.

٣٤- القاضح في ذكر معاصي المتغلبين على مقام أمير المؤمنين لم يتم.

---

(١) قال النوري في المستدرك ج٣ ص٤٩٨: هذا كتاب مفيد يختص باثبات أمامة أمير المؤمنين (ع) في يوم العدير، جزء واحد مائتا ورقة، بلع العاية فيه (الغدير ج١ ص١٥٥).

٣٥- مزيل اللبس ومكمل الانس.

٣٦- نظم الدرر في مبنى الكواكب والصور، يتضمن ذكر أسماء الكواكب المسماة على ما نطقت به العرب وأهل الرصد.

٣٧- إيضاح السبيل إلى علم أوقات الليل.

٣٨- كتاب في الحساب الهندي وأبوابه وعمل الجذور والمكعبات.

٣٩- معدن الجواهر ورياضة النواظر، في الآداب والحكم ومما روي عن رسول الله (ص)(١).

٤٠- رياضة الحكم، عارض فيه ابن المقفع.(٢)

٤١- موعظة العقل، عملها لنفسه.

٤٢- التعريف بوجوب حق الوالدين، عملها لولده موسى

٤٣- إذكار الاخوان بوجوب حق الأيمان، أنفذها إلى الشيخ الأجل أبي الفرج البابلي.(٣).

٤٤- نصيحة الأخوان، أنفذها إلى الشيخ أبي اليقظان.

٤٥- التحفة في الخواتيم.

٤٦- الرسالة العلوية في تفضيل أمير المؤمنين (ع) على سائر البرية سوى الرسول (ص) عملها للشريف أبي طالب. وهو على الظاهر نفس كتاب التفضيل المذكور سابقاً، وفيه يروي عن ابن مندة(٤) حديث الطائر

---

(١) رواه عنه تلميذه الفقيه أبو عبد الله الحسين بن هبة الله الطرابلسي، أنظر الطبقات ٥ ص ١٧٩ وترجمه إلى الفارسية الشيخ عباس القمي المحدث المعروف.

(٢) هو عبدالله بن المقفع البليغ المشهور مترجم كتاب كليلة ودمنة.

(٣) يحمل أن يكون البابلي هذا نسبة إلى قرية البابلية العاملية أو القرية المذكورة نسبة إليه وهي تقع جنوبي مدينة صيداء قريبة من بلدة الصرفند.

(٤) هو أبو الحسن علي بن الحسن بن مندة، روى عنه الكراجكي سنة ٤٣٦هـ في طرابلس حديث الطائر المشوي في كتابه تفضيل علي على غيره، وقال أنه روى ابن مندة رواية الطير المشوي عن شيخه الحسين بن يعقوب البزاز سنة ٣٧٠هـ. عن (الطبقات ج٢ ص١١٩) أنظر: الحياة الثقافية في طرابلس ص٢٨١.

المشوي، توجد فيه نسخة ضمن مجموعة في مكتبة مجد الدين صدر الأفاضل في طهران. كما يبدو انه عملها للشيخ أبي طالب ابن عمار، لا للشريف ابن طالب.

٤٧- الجليس شبيه الكشكول في خمسة أجزاء في خمسماية ورقة.

٤٨- انتفاع المؤمنين بما في أيدي السلاطين، عملها للأخوان حرسهم الله بصيداء.

٤٩- الأنيس، يقع في ألفي ورقة، وهو مبوب في كل فن، مات ولم يتمه.

٥٠- مختصر ابن جذاع في ذكر المعقبين من ولد الحسن والحسين (ع) في الأنساب

٥١- الزاهد في آداب الملوك، عمله للأمير صارم الدولة ذي الفضيلتين.

٥٢- كنز الفوائد، وهو مطبوع سنة ١٣٢٢هـ[١].

٥٣- تسلية الرؤساء عملها للأمير ناصر الدولة.

٥٤- التأديب عمله لولده.

٥٥- المجالس في مقدمات صناعة الكلام، أمر بعملها الأمير صارم الدولة ولم يتم.

٥٦- الاقناع عند تعذر الإجماع في مقدمات الكلام ولم يتم.

٥٧- الكفاية في الهداية في مقدمات أصول الكلام ولم يتم.

٥٨- الأصول إلى مذهب آل الرسول، يتضمن الأخبار بالمذهب من غير أدلة، عملها للاخوان بصور سنة ٤١٨هـ أو سنة ٤١٦.

٥٩- البيان عن دلالة شهر رمضان، يتضمن نظرة القول بالعدد في معرفة أوائل الشهور، عمله بالرملة لقاضي القضاة.

---

(١) عمله لابن عمه، صرح بذلك الطهراني في الذريعة ج ١٨ ص ١٦١ من دون ذكر اسمه. وقال: انه كبير في خمسة أجزاء. لكن الموجود منه حسب النسخة المطبوعة جزءان فقط، وهذا يعود إما لسقوط طائفة كبيرة منه، وإما للاختلاف بين المطبوع والأصل في الترتيب والتقسيم.

٦٠- جواب الرسالة الحازمية في إبطال العدد وتثبيت الرؤية، وهي رد على أبي الحسن بن أبي حازم المعري.

٦١- الرسالة العامرية في الجواب عن مسألة سألت عنها الغلاة، أمر بعملها الأمير قوام الدولة وأنفذها. إلى العامري، عملت بالقاهرة.

٦٢- مختصر القول في معرفة النبي (ص) بالكتابة وسائر اللغات، عمله بالقاهرة لأبي اليقظان.

٦٣- مختصر طبقات الورّاث، عمله للمبتدئين بطرابلس.

٦٤- المدهش سأله في عمله سائل، ولا نعرف موضوعه.

٦٥- الرسالة الصوفية، سأله عملها بعض الاخوان.

٦٦- الإيضاح عن أحكام النكاح، أمر بعمله الأمير ذخر الدولة بصيدا، في سنة ٤٤١ هـ في جزء واحد يحرر فيه الخلاف بين الامامية والاسماعيلية.

٦٧- التنبيه على أغلاط أبي الحسن البصري في فصل ذكره في الأمامة.

٦٨- الباهر في الاخبار.

٦٩- نصيحة الشيعة لم يتم.

٧٠- مسألة العدل في المحاكمة إلى العقل لم يتم.

٧١- هداية المسترشد لم يتم.

٧٢- الفهرست. وينقل عنه السيد ابن طاووس في آخر كتاب (الدروع الواقية) عند ذكره جعفر بن أحمد القمي قال ما لفظه: ذكر الكراجكي في كتاب الفهرست أنه صنف ٢٢٠ كتاباً بقم والري[١] كما ينقل عنه في لسان الميزان في أكثر من مورد.

٧٣- رسالة في الخلاء والملاء، وهي مما احتوى عليه كنز الفوائد.

٧٤- رسالة في الرد على الغلاة، وهي مما تتضمنه كنز الفوائد.

---

(١) الطبقات ٥ ص١٧٩.

٧٥- رسالة في الرد على المنجمين، وهي مما احتواه كنز الفوائد، ولكنها من النصوص المفقودة لم تطبع في الكنز، إلا أن السيد ابن طاووس في كتابه النجوم نقل عن كنز الفوائد قطعة كبيرة يحتمل أن تكون من هذه الرسالة.

٧٦- الرحلة، أشار إليها ابن أبي طي في فهرسته في ترجمة القاضي الحسين بن بشر بن علي الطرابلسي، له مناظرة مع الخطيب البغدادي ذكرها الكراجكي في رحلته، وقال: حكم له على الخطيب بالتقدم في العلم، وأشار إلى هذا في لسان الميزان ج ٢ ص ٢٧٥ نقلاً عن ابن أبي طي.

٧٧- الاعلام بحقيقة إسلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي مما تضمنه كنز الفوائد.

٧٨- رسالة كتبها إلى بعض الاخوان تتضمن كلاماً في وجوب الامامة.

٧٩- رسالة في جوابه عن سؤال ورد إليه عن الحج، وهي مما تتضمنه كنز الفوائد.

٨٠- كتاب البرهان على صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان ألفها سنة ٤٢٧، وهي مما تضمنه كنز الفوائد.

٨١- كتاب النوادر.

٨٢- كتاب الأبانة عن المماثلة في الإستدلال بين طريق النبوة والإمامة.

٨٣- المزار وهو مختصر في زيارة إبراهيم الخليل (ع).

٨٤- شرح جمل العلم للشريف المرتضى.

٨٥- كتاب النصوص، ولعله كتاب الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار الذي مر ذكره.

٨٦- الأخبار في الآحاد.

٨٧- الوزيري.

٨٨- المشجر.

هذا الكتاب

إذا كان هناك كتاب يطابق اسمه مسماه، ويعبر عنوانه عن حقيقته تعبيراً صادقاً عن واقع محتواه، فهو هذا الكتاب (كنز الفوائد) ودون مبالغة وتجوز.

وما على القارىء ليدرك صحة هذا القول، إلا ان يقلب صفحاته، ويمعن في قراءته ودراسته، فإنه سيخرج - بعد هذا- دون ريب بهذه الحقيقة التي اشرنا إليها، وسيجد بين يديه ثروة متنوعة دسمة من المعرفة، من أنواع الفكر والثقافة والتاريخ والأدب، مما لم يجده في سواه، تتفق مع مستويات القراء الثقافية المختلفة.

فهو ينبوع معين، تأخذ منه وتستفيد مختلف الطبقات، وعلى مختلف اتجاهاتهم العلمية والثقافية.

ويمتاز بالإضافة إلى ذلك في تناوله أمهات مسائل إسلامية وفلسفية بالبحث والدراسة العميقة، ويسهب في عرضها ومناقشتها، وتفنيد ما حولها من آراء أخرى، ويدلي بالأدلة والبراهين العقلية والعلمية على صحة ما يذهب إليه.

كما يمتاز باسلوبه الواضح الخلو من التعقيد، حتى في أدق المسائل الفكرية التي عرضها في كتابه وناقشها، كمسألة حدوث العالم، ومسألة الحال التي يقول بها المعتزلة، ومسألة الكسب الأشعرية، والمسائل الخلافية بين الشيعة والسنة، كالامامة والعصمة وسواها. يناقش كل ذلك بدقة وعمق ووضوح.

ويمتاز أيضاً أنه قد ضم بين دفتيه موضوعات فلسفية وكلامية وأدبية

وفقهية، وتاريخية وتفسيرية، وغير ذلك من حكم ومواعظ وتعاليم. أتى عليها بروح عالم يقدر المسؤلية، وذي طبيعة ثقافية جياشة، وباحساس المفكر العالم الذي يريد للمعرفة أن تشمل، وللحقيقة أن تبرز، وللباطل أن يزهق.

انه مجموعة من مواضيع شتى علمية وفلسفية وغيرهما، لا يكتفي بعرضها عرضاً عابراً، بل يحرص على تقريرها ونقدها، وعلى بيان ما فيها من صحة وفساد.

وقد كان هناك مفكرون وضعوا مجاميع سبقت عصر الكراجكي أو تأخرت عنه، كتلك المؤلفات التي تعرف بالأمالي، أو التي تعرف (بالكشكول) في العصور المتأخرة عن الكراجكي، لكنها لم ترتفع إلى مستوى هذا الكتاب (كنز الفوائد) لأن غالبها ذو لون واحد، وذو إتجاهات معينة، فبعضها كان الغالب عليه التاريخ، وبعضها كان فقهياً، وبعضها كان أدبياً، وبعضها الآخر جمع بين هذا وهذا، إلا أنه كان الغالب فيها السرد والغرض دون مناقشة علمية أو بحث موضوعي.

وميزة أسلوب الكراجكي في هذا الكتاب اسلوب تعليمي، ومن هنا تجده يسهبأحياناً كثيرة في بيان ما يريد وفي مقام النقد والمناقشة.

وإن كثيراً من آرائه هي آراء شخصية خاصة به، لا تمثل الوجهة الشيعية بصورة واضحة وبخاصة تلك المواضع الكثيرة التي تختلف فيها وجهات النظر والإجتهاد، كما في كثير من تفسير الآيات والأحاديث.

كما أن كثيراً مما يرويه لا يمكن الإعتماد عليه، وبخاصة فيما يتعلق بالخوارق، ولكن الرجل ناقل عن غيره (وناقل الكفر ليس بكافر) كما يقال.

وهذا الكتاب يعكس اهتمامات العلماء والمفكرين في المسائل المطروحة في عصرهم، والتي أخذت كثيراً من جوانب تفكيرهم، وكانت محور نزاعاتهم ومناظراتهم.

وقد ضمن المؤلف كتابه (كنز الفوائد) بعض رسائله، فأدرجها فيه، من ذلك:

١- مختصر من الكلام في أن للحوادث أولاً.
٢- القول المبين عن وجوب المسح على الرجلين، وهي رسالة كتبها إلى أحد الأخوان.
٣- البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان، وهي رسالة كتبها إلى أحد الاخوان.
٤- كتاب الإعلام بحقيقة إسلام أمير المؤمنين عليه السلام، كتبه لبعض الإخوان.
٥- المقدمات في صناعة الكلام.
٦- رسالة في وجوب الإمامة، كتبها لبعض الاخوان.
٧- مختصر التذكرة بأصول الفقه، استخرجها لبعض الاخوان من كتاب استاذه الشيخ المفيد.
٨- البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان، كتبها سنة ٤٢٧.
٩- الرد على الغلاة.
١٠- رسالة في جوابه عن سؤال ورد إليه عن الحج.

* * * *

لقد كانت النسخة المطبوعة سنة ١٣٢٢ سقيمة جداً، وكثير من الكلمات فيها غير واضح، لكن حافظت على نص كلام المؤلف كما هو بقدر الإمكان، إلا في المواضع غير الواضحة، فصححتها ووضعتها بين قوسين، وإلا في المواضع التي لم يتضح المراد منها، فوضعت مكانها ثلاث نقط.

ونجد شطراً كبيراً من مؤلفاته قد وضعه بطلب من بعض شخصيات عصره، من علماء وأمراء وقضاة وغيرهم في مواضيع فقهية وغيرها.

فقد ألف للأمير ناصر الدولة بدمشق، الرسالة الناصرية في عمل ليلة الجمعة ويومها، وكتاب تسلية الرؤساء.

وألف للأمير صارم الدولة ذي الرئاستين بطبرية (المنسك العضبي) و (المنسك اللطيف في مناسك النسوان)، و (المنهاج إلى معرفة مناسك الحاج) و

(الزاهد في آداب الملوك)، و (المجالس في مقدمات صناعة الكلام) لم يتم.

وألف للشيخ الجليل ابي الكتائب أحمد بن محمد بن عمار بطرابلس، نهج البيان في مناسك النسوان، بِطلبٍ منه، وعدة البصير (أو المصير) في حجج يوم القدير.

وألف للشيخ الأجل أبي الفرج البابلي، كتاب (إذكار الأخوان بوجوب حق الإيمان).

وألف للقاضي أبي طالب عبد الله بن محمد بن عمار، كتاب (البستان في الفقه) والرسالة العلوية في تفضيل أمير المؤمنين على سائر البرية سوى الرسول (ص).

وألف للقاضي أبي الفتح عبد الحاكم، كتاب (الاستطراف فيما ورد في الفقه من الأنصاف).

وألف بالقاهرة للشيخ أبي اليقظان، كتاب (نصيحة الإخوان)، ومختصر القول في معرفة النبي (ص) بالكتابة وسائر اللغات.

وألف بالقاهرة أيضاً للعامري، الرسالة العامرية في الجواب عن مسألة سألت عنها الغلاة. وأمره بعملها الأمير قوام الدولة.

وألف بصيداء سنة ٤٤١ هـ بأمر الأمير ذخر الدولة، (كتاب الإيضاح عن أحكام النكاح) في جزء واحد، يحرر فيه الخلاف بين الإمامية والإسماعيلية.

وألف للقائد أبي البقاء فرز بن براك بسؤالٍ منه كتاب المقنع للحاج والزائر.

ونجد إلى جانب ذلك أن فهرست مؤلفاته قد اشتمل على مؤلفات وضعها في الرد على المخالفين، من ذلك:

١ - ردع الجاهل وتنبيه الغافل، وهو نقض كلام أبي المحاسن المعري الذي نقض به على الشريف المرتضى في المسح على الرجلين في مسألة الوضوء، ألفه بطرابلس.

٢ - نقض رسالة فردان المروزي في الجزء، وهي المسألة الفلسفية في قضية الجزء الذي لا يتجزأ.

٣- غاية الانصاف في مسائل الخلاف، وهو نقض على أبي الصلاح الحلبي من فقهاء الشيعة في مسائل خلافية بينه وبين الشريف المرتضى، نصر فيها رأي المرتضى.

٤- دامغة النصاري، وهي رد كلام أبي الهيثم النصراني فيما رامه من تثبيت الثالوث والإتحاد.

٥- جواب رسالة الأخوين، في الرد على الأشعرية وفساد أقوالهم وطعنهم على الشيعة.

٦- الإنتقام ممن عذل أمير المؤمنين (ع)، وهو النقض على ابن شاذان الأشعري فيما أورده في آية الغار.

٧- جواب الرسالة الحازمية في إبطال العدد وتثبيت الرؤية، وهي رد على أبي الحسن بن أبي حازم المصري.

٨- التنبيه على أغلاط أبي الحسن البصري في فصلٍ ذكره في الامامة.

٩- رسالة في الرد على الغلاة.

١٠- رسالة في الرد على المنجمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين فإنه خير معين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين.

« مختصر من الكلام في أن للحوادث أولاً »

إعلم- أيدك الله- أن من الملحدة فريقاً يثبتون الحوادث ومحدِثَها، ويقولون إنه لا أولَ لوجودها، ولا إبتداء لها.

ويزعمون أن الله سبحانه لم يزل يفعل ولا يزال كذلك، وأن أفعاله لا أول لها ولا آخر. فقد خالفونا في قولهم أن الأفعال لا أول لها. إذ كنا نعتقد أن الله تعالى ابتدأها، وأنه موجود قبلها. ووافقونا بقولهم: لا آخر لها، لأنهم وإن ذهبوا إلى بقاء الدنيا على ما هي عليه، واستمرار الأفعال فيها، وأنه لا آخر لها، فإنا نذهب في دوام الأفعال إلى وجهٍ آخر، وهو تقضيٍّ أمر الدنيا، وانتقال الحكم إلى الآخرة، واستمرار الأفعال فيها، من نعيم الجنة الذي لا ينقطع عن أهلها، وعذاب النار الذي لا ينقضي عن المخلدين فيها [1]. فأفعال الله عز وجل من هذا الوجه لا آخر لها.

---

(١) وذهب الجهم بن صفوان المقتول في تستر في أواخر حكم بني أمية قتله سالم بن أحوز المازني، ذهب إلى القول بأن حركات أهل الخلدين (الجنة والنار) تنمطع، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها فيها، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بجحيمها، متعللاً بأنه لا يتصور حركات لا تتناهى آخراً كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولاً، وحمل ما دل على التخليد في كلام الله على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة، ومستشهداً بقوله تعالى (خالدين فيها ما دامت =

وهؤلاء - أيدَّك اللهُ - هم الدهرية القائلون: بأن الدهر سرمديَّة لا أول له ولا آخر. وأن كل حركةٍ تحرك بها الفلك فقد تحرك قبلها بحركةٍ من غير نهاية، وسيتحرك بعدُ بحركةٍ بعدها حركة لا إلى غايةٍ. وأنه لا يوم إلا وقد كان قبله ليلة، ولا ليلة إلا وقد كان قبلها يوم، ولا إنسان إلا أن يكون من نطفةٍ، ولا نطفة تكوَّنت إلا من إنسان، ولا طائر إلا من بيضةٍ، ولا بيضة إلا من طائر، ولا شجرة إلا من حبةٍ، ولا حبة إلا من شجرة.

وأن هذه الحوادث لم تزل تتعاقب ولا تزال كذلك، ليس للماضي فيها بداية، ولا للمستقبل فيها نهاية. وهي مع ذلك صنعة لصانع، لم يتقدمها، وحكمة من لم يوجد قبلها، وأن الصنعة والصانع قديمان لم يزالا(1). تعالى الله الذي لا قديم سواه، وله الحمد على ما أسداه، من معرفة الحق وأولاه.

وأنا بعون الله أورد لك طرفاً من الأدلة على بطلان ما ادعاه الملحدون، وفساد ما تخيَّله الدهريون.

= السموات والأرض إلا ما شاء ربك) ووافقه على انقطاع حركات أهل الخلدين كل من أبي الهذيل العلاف وإبراهيم النظام من المعتزلة.

وقد فات هؤلاء أن حركات أهل الخلدين ليست لذاتها ولنفسها، وإنما بقاؤها بالعرض تابع لوجود المبقي وهو الله الحي الباقي.

وزاد أبو الهذيل والنظام على ذلك أن أهل الخلدين يصيرون إلى سكون دائم جموداً وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار. كل ذلك فراراً من وجود حوادث لا آخر لها كوجود حوادث لا أول لها، إذ كل منهما لا يتناهى.

وقد فاتها أن السكون كالحركة يلزم منه ما فرا مما يلزمها في الحركة، وبخاصة أنه أحد الأكوان الأربعة.

ولهشام بن الحكم مناظرة طريفة مع أبي اسحاق النظام حول هذه المسألة، لم يحر النظام معه جواباً. ذكرناها في كتابنا (هشام بن الحكم) أنظر ص٢١٥ - ٢١٦.

(1) وهذا الرأي منسوب إلى كثير من الفلاسفة الإسلاميين كأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف والطبيب المشهور المولود عام (٣١١هـ).

وخلاصة هذا الرأي ان الصانع متقدم على الصنعة رتبةً لا زماناً، كتقدم العلة على المعلول الذي لا يتخلف عن علته الموجبة وقد ترجمنا له في كتابنا (فلاسفة الشيعة)، وعرضنا فيه لرأيه في هذا الموضوع بدراسة وافية.

دليل

مما يدل على أن الحوادث الماضية لا بدَّ لها من أول، أننا في كل وقتٍ من أوقات زماننا، بين آخر ما فيها، وأول مستقبلها. فقد علمنا- لا محالة- آخر ما مضى، وهو أحد طرفيه.

ثم نحن نعلم علماً لا نشك فيه أن ما يأتي من مستقبل الحوادث إلى ماية سنة، يُكَثِّر عدد الماضي، ويزيد فيه.

فمعلوم أنه قبل الزيادة أقل عدداً منه إذا انضمت (أي الزيادة) إليه.

وهذا يدل على تناهي عدد ما مضى، وحصر طرفيه. لأنه لو كان لا نهاية له، لم تتصور العقولُ دخولَ التكـثُّرِ فيه.

وقد صح بما بيناه أن الحوادث الماضية تصير إلى ماية سنة أكثر عدداً مما هي اليوم عليه[١].

فبان بهذا تناهيها، وصح أولها كما صح آخرها، ويبطل مقال الدهرية فيها.

معارضة

وقد قال الملحدون إن جميع ما ذكرتموه في الماضي عائد عليكم في المستقبل، لأنكم تقولون: أن أفعال الله تعالى المستقبلة لا آخر لها، ومع هذا فقد علمتم أولها، وهو أحد طرفيها، فيجب أن يكون ما يوجد إلى ماية سنـة ينقص منها. وإذا دخل النقصان فيها دَلَّ على تناهيها وإنحصار طرفيها.

انفصال

فيقال لهم: بين الماضي والمستقبل في ذلك فرق وهو أن الحوادث الماضية ليس منها إلا ما كان موجوداً قبل مضيه، فقد شمل جميعها حكم الوجود، فوجب أن يزيد فيها كلُ ما يخرج إلى الوجود.

وليس المستقبل كذلك، لأنها لم توجد، وإنما هي في إمكان الفاعل. فلا يصح فيها النقض، ولا سبيل إلى القول فيها بالتناهي.

---

(١) يعني به اليوم الذي افترضه.

دليل آخر على تناهي ما مضى

وهو أنه قد مضت أيام وليالٍ، ووقفنا اليومَ عند آخرها، فلا يخلوا: أن تكون الأيام أكثر عدداً من الليالي، أو يكون الليالي أكثر من الأيام، أو يكونا في العدد سواء.

فإن كانت الأيام أكثر من الليالي تناهت الليالي، لأنها أقل منها، واقتضى ذلك تناهي الأيام أيضاً. لبطلان إتصالها قبل الليالي بغير ليالٍ بينها. فوجب على هذا الوجه تناهيهما معاً.

وإن كانت الليالي أكثر من الأيام كان الحكم فيها نظير ما قدمنا من تناهي الأُوَل، فتناهي الأيام لزيادة الليالي عليها. ويقتضي ذلك تناهي الليالي أيضاً، لفساد اتصالها قبل الأيام بغيز أيامٍ بينها. فوجب على هذا الوجه الآخر تناهيهما معاً.

وإن كانت الأيام والليالي في العدد سواءً، كان بمجموعها أكثر عدداً من أحدهما بانفراده.

وهذا يشهد بتناهيهما. إذ لو كان كل واحدٍ منهما في نفسه غير متناهٍ ما تصورت العقول عدداً أكثر منه.

وقد علمنا أن الليالي مع الأيام جميعاً أكثر عدداً من أحدهما، وهذا موضح عن تناهيهما.

وبهذا الدليل نعلم أيضاً تناهي جميع ما مضى من الحركات والسكنات، ومن الإجتماعات والإفتراقات، ومن الطيور والبيض، والشجر والحب، وما يجري مجرى ذلك.

معارضة

قال الملحدون هذا الكلام عائد عليكم في نعيم المؤمنين في الجنة، وعذاب الكافرين في النار. وقد زعمتم (أن) كل واحدٍ منهما لا نهاية له، ولستم تذهبون إلى أن أحدهما أكثر من الآخر، فنخاطبكم بما ذكرتم ولكن نقول لكم: أنهما بمجموعهما أكثر عدداً من أحدهما. وهذا يوجب تناهيهما جميعاً وحصرهما.

إنفصال

يقال لهم: هذا الذي ذكرتموه لا يصح في المستقبلات، وهو لازم لكم في الماضيات. لأن الأعداد إذا يضم بعضها إلى بعض بعد وجودها وحصرها، وعدد الليل والنهار الماضيات فقد وجدا وانحصرا بالفراغ منها، والوقوف عند آخرها. فصح ضم بعضها إلى بعض، وأمكن ما ذكرنا فيها.

والمستقبلات من نعيم أهل الجنة وعذاب أَهل النار، فأمور متوقعة لم توجد، وليس لها آخر، لأنها تكون دائمة بغير انقضاء. وما لم يوجد من العدد فلا يصح فيه ضم بعض إلى بعض. وما يتوقع حدوثه أبداً بغير نهاية لا يكون مثل ما قد حدث وكان وتناهَى، بادراك آخره في كل حال.

دليل آخر

ومما يدل على أن للأفعال الماضية أَولاً، كونُها ووجودها، ولو لم يكن لها أول، ما صح وجودها، لأنها كالعدد الذي لا يصح أن يتوالى إلا أن يكون له أول. إما واحداً، أو جملةً يبتدىء بها، تقوم مقام الواحد.

إنفصال[١]

قيل لهم لا يجب ذلك من قبَل أن المستقبل منوط بقدرة القادر، والعادُّ يصح منه أَن يَعُدَّ ما دام حياً، فإذا كان ليس لوجوده آخر صح أن ليس لعدِّه آخر. ومع ذلك فلا بد من أن يكون لعدده أُول.

دليل آخر

ومما يدل على أَن الأَفعال لا يصح وجودها إلا بعد أن يبتدىء بأَولها، أنه لو قيل لرجل: لا تدخلن داراً حتى تدخل قبلها غيرها، لم يصح منه دخول شيءٍ من الدور أَبداً، ولم يمكن ذلك إلا بأن يبتدىء بواحدةٍ منها.

(١) ورد هذا الإنفصال أو الجواب من دون أن يذكر الإعتراض، وهو على الأرجح سقط من قلم الناسخ.

سؤال

فإن قالوا: هذا يستحيل كما ذكرتم في المستقبل من الأفعال، لأنه لا بد للمستقبلات من أول، فمن أين لكم أن هذا حكم الماضيات؟

جواب

قيل لهم: علمنا ذلك من قِبَل أن الماضيات قد كانت مستقبلة قبل وجودها ومضيها، فلو لم يكن لها أول ما صح وجودها.

وبعد فلو رأينا هذا الرجل الذي مثلنا به وهو يدخل داراً بعد دار، فقلنا له: هل كان بعد دخولك هذه الدور ابتداء، حتى يقول لنا لم ابتدأ بدار منها، ولا دخلت داراً حتى دخلت قبلها دوراً لا تتناهى، فعلمنا أنه كاذب فيما ادَّعى.

دليل آخر

ومما يدل على تناهي الأفعال الماضية وانحصارها وصحة طرفيها، خروجُها إلى الوجود على كمالها وفراغ فاعلها منها، وكل شيء فعله الفاعل فقد يتوهم منه أن يفعل أمثاله. وهذا وجه صحيح يدل على تناهيها وانحصار طرفيها، لجواز وجود أكثر منها.

معارضة

وقد قال الملحدة: هذا راجع عليكم في نعيم أهل الجنة، لأن الله تعالى يقدر على أمثاله، فيتناهى بوجود أكثر منه.

إنفصال

فيقال لهم: ومتى صحت المماثلة بين الموضعين؟ والأفعال الماضية قد خرج جميعها إلى الوجود.

ونعيم أهل الجنة ليس له جميع يخرج إلى الوجود، وإنما يوجد شيء من غير أن يوقف له على وجهٍ آخر من الوجوه.

فإن قالوا: فقد لزمكم على هذا أن يكون الله تعالى وعد أهل الجنة بنعيم لا يصلون إلى جميعه، ولا ينالون سائره.

قيل لهم: قد أعلمناكم أنه لا جميع له في الحقيقة ولا سائره إذ ليس له (آخر)[1]. والذي وعدهم الله به هو نعيم متصل غير منقطع، فلو وجد حتى لا يبقى منه شيء يُنتظر، لكان في الحقيقة لم يَفِ لهم بما وعده.

فإن قالوا: إن الأفعال الماضية أيضاً لا كُلَّ لها في الحقيقة، لاستحالة حصرها.

قيل لهم: ولِمَ زعمتم ذلك؟ وقد سلمتم لنا أنها قد دخلت في باب الوجود عن آخرها، واشتمل الحدوث عليها.

مسألة على الملحدة

يقال لهم: أخبرونا عن الشمس، أليس لم تتحرك بحركةٍ حتى تحركت قبلها بحركات لا نهاية لها؟

فإن قالوا: بلى. قِيل لهم: فإذا جاز أن تفرغ الحركات التي لا نهاية لها، وتحركت الشمس بها كلها حتى تنتهي إلى آخرها. فألاَّ جاز أن تتحرك بالحركات المستقبلة كلها حتى تفرغ منها، وتقف عند آخرها، ولا يبقى مستقبل بعدها.

فإن قالوا: إن المستقبلات لا كُلَّ في الحقيقة لها.

أجابوا بمثل قولنا. ثم لم ينفعهم ذلك فيما سألنا، لأن الفراغ مما لا نهاية له قد صح عندهم، وهو غير صحيح عندنا، إذ يلزمهم تقضيٌّ المستقبلات حتى توقف عند آخرها.

فإن قالوا: إن الشمس تتحرك بحركةٍ واحدةٍ باقية دائمة. قيل لهم: إنه ليس يلزمنا قبول ما لا طريق إلى فهمه، ولا سبيل لمدعيه إلى إثبات علمه. وهذا الذي زعمتموه دعوى عارية من برهان.

وبعد فإنا إذا لم ننازعكم في ذلك نسألكم:

فنقول: ألستم معترفين بأن الشمس قد دارت الفلك قبل هذه الدورة التي هي فيها دوراتٍ لا نهاية لها؟

---

(١) في الأصل (أخرى).

فلا بد لهم من الأقرار بذلك، فيقال لهم: فقد عاد الأمر إلى الفراغ مما لا نهاية له. فما أنكرتم أن تنقضيَ دوراتها المستقبلة التي تقولون أنها لا نهاية لها، ويفرغ منها حتى يقف عند آخرها كما فرغت فيما مضى، وهي الآن في آخره؟

فإن قالوا: هذا مستحيل في المستقبل، وهو صحيح في الماضي.

قيل لهم: بنظير الكلام المتقدم، وهو أن الماضي قد كان مستقبلاً، فلو استحال أن يصير المستقبل ماضياً، لاستحال في الماضي، لأنه قد كان مستقبلاً.

مسألة أُخرى عليهم

يقال لهم: أيجوز أن تدور الشمس في المستقبل دورات بعد الدورات الماضية أم لا يجوز ذلك؟

فإن قالوا: غير جائز، قيل لهم: لِمَ زعمتم ذلك؟ وعندكم أنها تدور في المستقبل دورات لا نهاية لعددها، أفليس في ذلك ما يفي بما قد مضى؟

فإن قالوا: لا يفي به، جعلوا الماضي أكثر من المستقبل، وأوجبوا تناهي المستقبل.

وإن قالوا: إن الشمس ستدور دورات يفي عددها بما مضى، أوجبوا تناهي ما مضى. وقيل لهم: أفيبقى من المستقبل بعد ذلك بقية؟

فإن قالوا: لا، أقروا بوجود الأول والآخر، وأوجبوا تناهي الزمان من طرفيه، وجعلوا له لدورات الشمس بداية ونهاية، وهو خلاف ما ذهبوا إليه.

وإن قالوا إنه ستدور دورات يفي بما مضى، ويبقى من المستقبل ما لا نهاية له أيضاً. لم يبق شبهة في تناهي الماضي، وصح أوله، وبطل مذهبهم في قدمه والحمد لله.

دليل آخر على أن للأفعال الماضية أَولاً [1]

مما يدل على ذلك أنه قد ثبت أن كل واحدٍ منها محدث كائن بعد أن لم يكن، ولها محدِث متقدم عليها، فوجب أن تكون جميعها محدثة كائنة بعد أن لم

(١) وهذا الدليل من أوضح الأدلة وأرسخها في الموضوع.

تكن، ولها محدث متقدم عليها، لأن جميعها هو مجتمع آحادها، ولا يصح أن يختلف في الجمع والتفريق هذا الحكم فيها.

كما أن كل واحد من الزنج بانفراده أسود فالجميع باجتماعهم سود. والحكم في ذلك واحد في الجمع والتفريق.

وقد اجتمع معنا على أن جميعها أفعال الفاعل، وصنعة الصانع، والعقول تشهد بوجوب تقدم الفاعل على أفعاله، وسبق الصانع لصنعته وليس يخالف في ذلك إلا مكابر لعقله.

واعلم أن الملحدة لما لم تجد حيلةً تدفع بها تقدم الصانع على الصنعة. قالت انه متقدم عليها تقدمَ رتبة لا تقدمَ زمان، فيجب أن نطالبهم بمعنى تقدم الرتبة ليوضحوه، فيكون الكلام بحسبه.

وقد سمعنا قوماً منهم يقولون: إن معنى ذلك أنه الفعال فيها، والمدبر لها.

فسألناهم. هل ذلك يدافع عنها حقيقة الحدوث، فعادوا إلى الكلام الأول، من أن كل واحدٍ من أجزاء الصنعة محدث.

فأعدنا عليهم ما سلف، حتى لزمهم الأقرار بحدوث الكل. وطالبناهم بحقيقة المحدث والقديم، فلم يجدوا مهرباً من أن التقدم والقديم في الوجود على المحدث، هو التقدم المفهوم المعلوم، الذي يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً.

وليس أيضاً من شرط التقدم والتأخر في الوجود أن يكون ذلك في زمان. والله تعالى متقدم على جميع الأفعال.

وليس أيضاً من شرط التقدم والتأخر في الوجود أن يكون ذلك في زمان، لأن الزمان نفسه قد يتقدم بعضه على بعض، ولا يقال إن ذلك مقتضٍ لزمان آخر.

والكلام في هذا الموضع جليل، ومن الحق[1] فيه سقطت عنه شُبه كثيرة.

---

(١) كذا في النسخة.

وقد كنت اجتمعت في الرملة برجلٍ عجمي، يعرف (بأبي سعيد البرذعي)(١)، وكان يحفظ شُبَهاً في هذا الباب. وكنت كثيراً ما أكلمه، واستظهر باثبات الحجة عليه. فأورد عليَّ شُبهةً، كانت أكبر مما في يديه، وتكلمت عليها بكلام لم أقنع به فأحكيه.

ثم إني كتبت كتاباً إلى بغداد، إلى حضرة سيدنا الشريف المرتضى ذي المجدين رضي الله عنه.(٢) وذكرت الشبهة فيه، فورد إليَّ جوابه عنها.

فأنا أذكر الشبهة والجواب وما وجدته بعد ذلك من الكلام في هذا الباب.

الشبهة

قال الملحد مستدلاً على أن الصانع لم يتقدم الصنعة: إني وجدت ظاهرهما لا يخلو من ثلاث خصال: إما أن تتقدم الصنعة عليه، أو أن تتأخر عنه، أو أن يكونا في الوجود سواءً.

وقد فسد باتفاقٍ تقدمها عليه.

---

(١) ورد ذكر البرذعي في بعض رسائل حمزة بن علي الزوزني الذي يعتبر مؤسس المذهب الدرزي به يبدأ تاريخ الدروز سنة ٤٠٨هـ أقول ورد ذكر البرذعي في رسالة حمزة السادسة عشرة سنة ٤٠٨هـ والرسالة التاسعة عشرة وغيرها بإسم أبي منصور البرذعي لا أبي سعيد كما ذكره المصنف وقد يكون أبو سعيد البرذعي الذي لقبه الكراجكي هو نفس أبي منصور البرذعي الوارد ذكره في رسائل حمزة بن علي.

(٢) هو أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي المعروف بعلم الهدى، أكبر شخصية شيعية في القرن الرابع الهجري، بالعلم والفقه والآثار والكلام والأدب والشعر وغيرها.

كان فقيهاً انتهت إليه زعامة الإمامية في عصره، كما كان أحد أعمدة علم الكلام والفلسفة الإسلامية، والأدب والشعر واشتهر بعلم النجوم، وبرز في غير ذلك من جوانب المعرفة والفكر.

وكان حادقاً في المناظرة والجدل، حاجَّ النظراء والمتكلمين، وناظر العلماء والمخالفين، وقد عده ابن الأثير من مجددي مذهب الإمامية في رأس المئة الرابعة. وتعتبر آراء الشريف المرتضى وآثاره سجلاً كاملاً لآراء الشيعية الإمامية وأقوالهم، وفي كتبه حفظت عقائدهم وآراؤهم الإسلامية. وله مؤلفات عديدة أبرزها من المطبوع: الشافي والإمالي وتنزيه الأنبياء، وهو من تلاميذ الشيخ المفيد. ولد في رجب سنة ٣٥٥هـ وتوفي ربيع الأول سنة ٤٣٦هـ وله في كتابنا (فلاسفة الشيعة) ترجمة بدراسة وإسهاب.

قال: ويفسد أيضاً تقدمه عليها. إذ كان لا يخلو من أن يكون تقدمه بمدة محصورة وتقدير أوقات متناهية، أو بمدةٍ غير محدودة وتقدير أوقات غير محصورة.

قال: وإن [كان] تقدمها بمدةٍ لا تحد، وتقدير أوقات لا تتناهي وتحصر، فلا آخر متناهٍ، وله أول وآخر. فكما أن آخره حدوث الصنعة، فكذلك أوله حدوث الصانع. ونعوذ بالله من القول بذلك.

قال: وإن [كان] تقدمها بمدةٍ لا تحد، وتقدير أوقات لا تتناهى وتحصر، فلا آخر لهذه المدة، كما لا أول لها. وإذا لم يكن لها آخر فقد بطل حدوث الصنعة[١].

وإن نفيتم الأوقات والأزمان التي يصح هذا فيها فإنه لا يمكنكم إنكار تقديرها. وفي التقدير يلزم هذا هنا.

قال: فهذا دليل على أن الصنعة والصانع قديمان لم يزالا.

و«الجواب» قاله الشريف المرتضى رحمه الله

أما الصانع من حيث كان صانعاً فلا بد من تقدمه على صنعته، سواء أكان قديماً أو محدثاً. لأن تقدم الفاعل على فعله حكمٌ، يجب له من حيث كان فاعلاً.

ويستوى في هذا الحكم الفاعل القديم والفاعل المحدث. غير أن الصانع القديم يجب أن يتقدم صنعته بما إذا قدرناه أوقاتاً وأزماناً كانت غير متناهية ولا محصورة.

ولا يجب هذا في الصانع المحدَث، بل يتقدم الصانع من المحدَثين صنعته بالزمان الواحد والأزمان المتناهية المحصورة.

والذي يدل على أن الصانع لا بد من أن يتقدم صنعته ويستوى في هذا الحكم القديم والمحدَث. أنه لو لم يتقدم عليها لم تكن فعلاً له وحادثةً به، لأن من

---

(١) لأنه ان كان الصانع متقدماً على الصنعة بمدة غير متناهية، فلا يمكن والحال هذه أن يكون لها آخر، كما لا يمكن حدوث الصنعة، لأن حدوثها يعني تناهي المدة التي فرض عدم تناهيها، وهذا خلف.

شأن الفاعل أن يكون قادراً، ولا يقدر على الموجود، لأن وجوده يُغني عن تعلق القدرة به. فهذا يدل على استحالة مصاحبة الفاعل لفعله.

فأما تقدم الفعل على فاعله فأظهر فساداً، لأن المؤثر في وجود الفعل وحدوثه كونُ فاعله قادراً. فكيف يتقدم المؤثر فيه على المؤثِر.

وأما تقدم الصانع القديم تعالى على صنعته فيجب أن يكون غير محصور الأوقات. وإنما وجب ذلك فيه ولم يجب في الصانع المحدث، لكونه قديماً. لأنه لو كان بين القديم والمحدَث أوقات متناهية لخرج من أن يكون قديماً ودخل في أن يكون محدثاً. لأن من شأن القديم أن لا يكون بوجوده إبتداء. وتناهي ما بينه وبين الأوقات وبين المحدَث يقتضي أن يكون بوجوده أول وابتداء.

فأما ما تضمنه السؤال من التقسيم والتعديل في إفساد تقدم الصنعة على الصانع على الإتفاق على ذلك، فغير صحيح، لأن مثل هذا لا يعول فيه على الإتفاق، بل لا بد أن يعين طريق العلم: إما من ضرورة، أو استدلال. وقد بينا ما يدل على أن الصنعة لا تتقدم الصانع.

فأما ما مضى من السؤال من إلزام نفي التناهي والآخر عن المدة التي تكون بين الصانع والصنعة كما نفى عنها الابتداء والتناهي من قبَل أولها، فغير صحيح ولا لازم. لأنا قد بينا أنا متى جعلنا بين الصانع القديم وصنعته مدةً متناهية الإبتداء محصورة، لحق القديم بالمحدَث، وخرج من أن يكون قديماً.

وإذا جعلناها(١) محصورة الإنتهاء لم يجب ذلك فيها، ولا أدّى إلى ما قد علمنا فساده من كون القديم محدثاً، ولا إلى غيره من ضروب الفساد. فلم يلزم نفي الآخر عن المدة قياساً على نفي الأول.

وقد بيّن شيوخ أهل العدل(٢) في كتبهم الفرقَ بين هذين الأمرين، وقالوا:

---

(١) الظاهر سقوط كلمة (غير) هنا، إذ لا يتم المعنى بدونها فتكون الجملة هكذا: وإذا جعلناها غير محصورة الإنتهاء لم يجب ذلك فيها..

(٢) المراد بأهل العدل هم المعتزلة والإمامية الذين يقولون باستحالة صدور الظلم والمنافي منه سبحانه، إما لعدم قدرته عليه كما يقوله المعتزلة أو أكثرهم، وإما لقبح صدوره عنه عقلاً مع قدرته عليه كما يقوله الإمامية.

من المستحيل إثبات فاعلٍ لم[1] يزل فاعلاً، وليس بمنكرٍ ولا مستحيل إثبات فاعلٍ لا يزال فاعلاً، وبينوا أن نفي التناهي والإبتداء عن الأفعال من قِبَل أولها يخرجها من أن تكون أفعالاً. وليس نفي التناهي عنها من قِبَلِ آخرها يخرجها من أن تكون أفعالاً.

وذكروا أن نعيم أهل الجنة وعقاب أهل النار دائمان، لا إنقطاع لها ولا آخر، ولم يؤدِ ذلك إلى المحال والفساد ما أدّى إليه نفي التناهي عن الأفعال من قبَلِ أولها.

وقالوا: ليس بمنكر أن يدخل داخل داراً بعد دارٍ أبداً بغير انقطاع.

ومن المستحيل المنكر أن يدخل داراً قبل دارٍ أبداً بلا أول.

وقد استقصينا نحن هذا الكلام في مواضع كثيرة من كتبنا، وذكرناه في «الملخص»[2] وغيره من أجوبة المسائل والنقوض على المخالفين.

وأما ما تضمنه السؤال من أن هذا يدل على أن الصنعة والصانع قديمان لم يزالا، فمناقضة ظاهرة، لأن وصف المتصف بالقدم ينقض كونه صفة، كما أن وصف القديم بأنه مصنوع ينقض كونه قديماً.

وهل هذا إلا تصريح بأن المحدَث قديم، والقديم محدَث. ولإخفاء بفساد ذلك.

وهل آخر الجواب الوارد إليّ من حضرة السيد الشريف المرتضى رضي الله عنه عن هذه الشبهة.

وجميع ما تضمنه من إطلاق القول بأن بين القديم وأول المحدَثات أوقات لا

---

(١) ويفهم من هذه العبارة أن كون الفاعل مرتبطاً بما يصدر عنه من أفعال، فإذا كان الفاعل فاعلاً منذ الأزل كانت أفعاله منذ الإبتداء قديمة معه وتخرج عن كونها أفعالاً محدثة، لذلك يستحيل كونها قديمة وبالتالي استحالة أن يكون الفاعل لم يزل فاعلاً. على خلاف اثبات فاعل لا يزال فاعلاً من حيث الآخر إلى غير نهاية فلا استحالة إذ لا يخرجها ذلك عن كونها أفعالاً. وهذا يتضح من قوله: وبينوا أن نفي التناهي الخ).

(٢) هو كتاب للشريف المرتضى في الأصول، ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي، والنجاشي، وابن شهر أشوب.

أول لها، فإنما المراد به تقدير أوقات، دون أن يكون القصد أوقاتاً في الحقيقة، لأن الأوقات أفعال.

فقد ثبت أن للأفعال أولاً، فلو قلنا أن بين القديم وأول الأفعال أوقاتاً في الحقيقة لَناقضناه ودخلنا في مذهب خصمنا. نعوذ بالله من القول بهذا.

جواب آخر عن هذه الشبهة

وقد قال بعض أهل العلم: أنه لا ينبغي أن نقول بين القديم وبين المحدَث، لأن هذه اللفظة إنما تقع بين شيئين محدودين، والقديم لا أول له.

والواجب أن نقول: إن وجود القديم لم يكن عن عدم.

ونقول: إنه لو أمكن وجود حوادث بلا نهاية ولم يتناقض ذلك، لأمكن أن يفعلها حادثاً قبل حادثٍ لا إلى أول، فيكون قد وُجدت حوادث بلا نهاية.

ولسنا نريد بذلك أنه كان قبل أن فعل مدة، يزيد امتدادها، لأن هذا هو الحدوث والتجدد، وهو معنى الزمان والحركة.

فإن قال قائل: إنه لا يثبت في الأوهام إلا هذا الإمتداد.

قيل له: ليس يجب إذا ثبت في الوهم أن يكون صحيحاً.

أليس عندكم أنه ليس خارج العالم خلاء؟ وذلك غير متوهم.

ثم يقال لهم: أيثبت في الوهم ذلك؟ مع فرضكم نفي الحركات والتغييرات، أم مع فرضكم إثبات ذلك.

فإن قالوا: مع فرضنا إثبات ذلك قيل لهم: فيجب مع نفي ذلك أن لا يثبت هذا التوهم.

وإن قالوا: يثبت هذا التوهم مع فرضنا نفي ذلك.

قيل لهم: فقد ثبت في التوهم النقيضان، لأن هذا التوهم هو أن ينتقل ويمتد.

قال: ثم يقال أرأيتم لو قال لكم قائل: ليس يثبت في ذهني موجود ليس في

جهةٍ، فيجب أن يكون الباري عز وجل في جهةٍ، أليس يكون يمكن أن يقال: إنما يثبت ذلك في الوهم متى فرضتموه جسماً

وأما متى فرضتموه غير جسم ولا متحيز فإنه لا يثبت ذلك في الوهم، فهكذا يكون جوابنا لكم.

ثم قال هذا المتكلم:

فإن قالوا: فإذا لم تثبتوا مدةً مديدةً قبل الفعل فقد قلتم ان الباري سبحانه لم يتقدم فعله.

قيل: بل نقول إنه يتقدم على معنى أن وجوده قارن عدم فعله ثم قارن وجود فعله. وقولنا (ثم) يترتب[1] على عدم الفعل لا غير.

قال: ونقول إذا فعل الله سبحانه شيئاً، إنه يجوز أن يتقدم، على معنى أنه يفعله، فيكون بينه وبين يومنا من الحوادث أكثر مما هو الآن، وليس الكثرة والتقدم والتأخر راجعاً إلا إلى الحوادث دون مدةٍ يقع فيها.

ثم تكلم في نفي المدة فقال:

والذي يُبَيِّن أن تقدم الحركات وتأخرها يثبت من دون مدةٍ يقع فيها، أنه لا يخلو هذه المدة من أن يكون شيئاً واحداً، لاإمتداد فيه ولا ينقل من حال إلى حال. أو يكون فيه تَنَقُّل وامتداد.

والأول يقتضي إثبات الزمان على غير الوجه المعقول، ويقتضي أن تكون الأشياء غير متقدم بعضها على بعض، إذا كان بالأجل تقدمه وتأخره تتقدم الأشياء وتتأخر ليس فيه تقدم وتأخر.

فليت شعري أَثَبَتَ التقدم والتأخر بنفسه أم بغيره؟

إن كان يثبت فيه بغيره أدَّى إلى ما لا نهاية له. وإن كان ذلك الزمان متقدماً ومتأخراً بنفسه من غير أن يكون في شيءٍ متقدم ومتأخر، فهلا قيل ذلك في الحركات واستغنى عن معنى غيرها.

---

(١) لأن كلمة (ثم) من أدوات العطف مع ترتب مدخولها على ما قبلها ولا يلزم أن يكون ما قبلها أمراً وجودياً بل يكفي في صحة الترتب مقارنة مدخولها لما قبله وإن كان عدماً.

فصل وبيان

وهذه الطريقة التي حكيتها هي عندي قاطعة لمادة الشبهة، كافية في إثبات الحجة على المستدل وهي مطابقة لإختيار أبي القاسم البلخي.[١] لأنه لا يطلق[٢] القول بأن بين القديم وأول المحدّثات مدة.

ويقول: إنه (أي الصانع تعالى) قبلها، بمعنى أنه كان موجوداً ثم وُجدت. وهو معنى ما ذكر هذا المتكلم في قوله: إن وجوده قارن عدم فعله ثم قارن وجود فعله، فهو على هذا الوجه قبل أفعاله.

واعلم- أيدَّك الله- أن العبارات في هذه المواضع تضيق عن المعاني، وتدعو الضرورة إلى النطق بما عُهد ووُجِدَ في الشاهد، وإن لم يكن المراد حقيقة في المتعارف، ويجوز ذلك إذا كان مؤدياً لحقيقة المعنى إلى النفس، كقولنا: قبل، وبعد، وكان، وثم. فليس المعهود في الشاهد استعمال هذه الألفاظ إلا في الأوقات والمدد.

فإذا قلنا ان الله تعالى كان قبل خلقه ثم أوجد خلقه، فلبس هذا التقديم والتأخير مفيداً لأوقات ومددٍ وقد يتقدم بعضها على بعض بأنفسها، من غير أن يكون لها أوقات أُخر.

وكذلك ما يطلق به اللفظ من قولنا: إن وجود الله قبل وجود خلقه. فليس الوجود في الحقيقة معنى غير الموجود. وإنما هو إتّساع في القول، والمعنى مفهوم معقول.

وقد سأل أبو القاسم البلخي نفسَه، فقال:

إن قال قائل أخبرونا عن أول فعلٍ فعله الله تعالى، أكان من الجائز أن يفعل قبل غيره؟

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي توفي سنة (٣١٧هـ) وهو من زعماء المعتزلة وشيوخهم ورأس طائفةٍ منهم يقال لها الكعبية، وهو أستاد أبي جعفر محمد بن عبد الرحمن المتكلم الشيعي المعروف (بابن قبة). وللبلخي مؤلفات عديدة منها كتاب (عيون المسائل والجوابات) ذكره المسعودي في مروج الذهب ج ص ١٥١. ولأبي الفاسم البلخي آراء كلامية تنقل عنه في كتب الكلام والفرق.

(٢) في الأصل (والقول) ويبـدو أن الواو فيها زائدة.

وأجاب عن ذلك فقال: هو جائزٌ، بمعنى أن يكون لم يفعله وفَعَل غيره بَدَله، وفعله هو. فأما غير ذلك فلا يجوز، لأنه يؤدي إلى المحال.

وفي هذا القدر كفاية في الكلام على الملحدة الدهرية والحمدلله.

مسألة في تأويل خبر

إن سأل سائل فقال: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله في الخبر المروي عنه:

«لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»

الجواب

قيل له: الوجه في ذلك. أن الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا[1] ينسبون ما ينزل به من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية والجدب، والخصب والفناء، إلى الدهر. جهلاً منهم بالصانع جلت عظمته، ويذمونه في كثير من الأحوال، من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال، فنهاهم النبي (ص) عن ذلك، وقال لهم: لا تسبوا من فعل بكم هذه الأفعال، ممن يعتقدون أنه هو الدهر، فإن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأفعال. وإنما قال إن الله هو الدهر من حيث نسبوا إلى الدهر أفعال الله تعالى.

وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم:

«ما هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر». سورة الجاثية: ٢٤

وقال لبيد:[2]

---

(١) في الأصل (كما) واتساق الكلام يقتضي أن يكون كما ذكرنا.

(٢) هو لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي المشهور الذي أدرك الإسلام وأسلم توفي سنة (٤٠هـ) و(٦٦٠م) وهو صاحب احدى المعلقات السبع التي أولها

عفت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبد غولها فرجامها

وله أمثال شعرية سائرة.

في قرومٍ سادةٍ من قومـــــه نظر الدهر إليهم وابتهـــــل
أي دعا عليهم.[1]

«قصيدة في الآداب والأمثال لإبن دريد»[2]

ما طاب فرع لا يطيب أصلـه حمى مؤاخـاة اللئـيم فعلــه
وكل من آخى لئيماً مثله

من يشتكي الدهر يطـل في الشكوى فالدهر مـا ليس عليـه عـدوى
مستشعر الحرص عظيم البلوى

مَن أَمِن الدهر أُتي من مأمنـــه لا تستثر ذا لبـدٍ[3] من مكمنه
وكل شيء يُبتغى من معدنه

لكـــل نـــاعٍ ذات يوم ناعي وإنمـــا السعي يقـــدر الساعي
قد يهلك المرعيّ عنف الراعي

من يـترك القصـد تضـق مذاهبه دل عـلى فعـل امرىءٍ مصاحبه
لا تركب الأمر وأنت عائبه

من لزم التقوى استبـان عدلـه من ملـك الصـبر عليـه عقلـه
نجا من العار وبان فضله

---

(١) تجد الكلام على ذلك في أمالي المرتضى ج(١) ص٤٥.

(٢) في الأصل (لابن دريده) وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ - ٣٢١هـ) من مشاهير علماء الأدب واللغة والشعر، وهو شاعر، له ديوان شعر، وعده ابن شهراشوب من شعراء أهل البيت، وذكر من شعره قوله.

أهوى النـــبي محمـــداً ووصيـــه وابنيـــه وابنتـــه البتول الطاهرة
أهــــل الولاء فانـــني بولائهم أرجو السلامـــة والنجـــا في الآخرة

وله مؤلفات عديدة منها كتاب الجمهرة في اللغة، وله مقاطيع محبوكة الطرفين، وقصيدة في المقصور والممدود، والمقصورة المشهورة التي تبلغ حوالي مائتي بيت، وهو أستاذ لجماعة من العلماء منهم أبو سعيد السيرافي وأبو عبدالله المرزباني، وقد مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد، فقال الناس يموت ابن دريد وأبو هاشم. أنظر الفهرست ص٩١ - ٩٢ والأمل قسم (٢) ص٦٢.

(٣) صفة للأسد.

يجلو اليقـــينُ كــدرَ الظنون   والمرء في تقلــــب الشئون
حتى توفاه يد المنون

يــــا رب حلوٍ سيعود سما   ورب حمدٍ تحوز ذمـــــا
ورب رَوح[1] سيصير هماً

من لم تصـل فـارضَ إذ حباكاً   وأولـــهِ حمداً إذا قلاكـــا
أو أوله منك الذي أولاكا

مالـــك إلا عليـــك مثلـــه   لا تحمـدَّن المرء مـا لم تبلُـه
والمرء كالصورة لولا فعله

يــا ربمـا أُدرئت اللجاجـة   مـا ليس للمرء إليـه حاجـه
وضيق أمرٍ يبتغي انفراجه

ليس يقي- من لم يقِ اللهُ- الحذر   وليس يقـدر امرؤ عـلى القـدر
والقلب يعمى مثلما يعمى البصر

كم من وعيـدٍ يخرق الآذانـا   كأنمـا يُعنـى بـه سوانـا
أَصَمَّنا الاهمال بل أعمانا

مـا أفسد الخرقَ وساء الرفـقُ   وخـير مـا أنبـا عنـك الصدقُ
كم صعقةٍ دل عليها البرق

لكـل مـا يؤذي وإن قَـلَّ ألم   ما أطول الليـل على من لم ينم
وسقم عقل المرء من شر السِقمَ

أعـداء غيـبٍ إخوة التلاقـى   يـا سوأتـا لهـذه الأخـلاق
كأنما اشتقت من النفاق

أنـف الفتى وهو صريم أجدع[2]   من وجهــه وهو قبيــح اشنـع
هل يستوى المحظوظ والمضيع

---

(١) الراحة والرحمة

(٢) الصريم والأجدع بمعنى واحد وهو الأقطع.

مـا منـك من لم يقبل المعاتبة وشر أخـلاق الفـتى المؤاربـة
ينجيك مما نكره المجانبة

مـتى تصيـب الصاحـب المهذبا هيهـات مـا أعسر هـذا المطلبـا
وشر ما طالبته ما استصعبا

أفٍ لعقـل الاشمـط النصـاب رُبَّ معيـب فعلـه عيـاَّب
ذم الكلام حذر الجواب

لكـل مـا يجري جواد كبوة مالـك إلا ان قبلـت عفوه
من ذا الذي يسقيك عفواً صفوه

لا يسلـك الشر سبيـل الخـير والله يقضي ليس زجر الطـير
كم قمر عاد إلى قمير

[لم] يجتمـعّ جمع لغـير بـينِ لفرقـةٍ كـلُ اجـتماع اثنـين
يعمى الفتى وهو البصير العين

الصمت إن ضاق الكلام أوسعُ لكـل جنـب ذات يوم مصرع
كم جامع لغيره ما يجمع

مالـك إلا مـا بذلـت مـالُ في طرفـة العـين يحول الحـال
ودون آمال الفتى الآجال

كم قـد بكت عين وليس تضحك وضـاق من بعـد اتساع مسلك
لا تبر مَنْ أمراً عليك يملك

خـير الأمور مـا حمدت غِبّـه لا يرهـب المذنـب إلا ذنبـه
والمرء مقرون بمن أحبه

كـل مقـامِ فلـه مقـالُ . كـل زمـانِ فلـه رجـال
وللعقول تضرب الأمثال

دع كـل أمرٍ منه يوماً تعتـذر عِف كل وردٍ غير محمود الصَدَر
لا تنفع الحيلة في ماضي القدر

نومُ أمرئٍ خـير لـه من يَقَظَـه   لم يرضـه فيـه الكرام الحفظـه
وفي صروف الدهر للمرء عِظه

مسألـة النـاس لبـاس ذل   من عَـفَّ لم يُسئَم ولم يُمَلُّ
فارضَ من الأكثر بالأقل

جواب سوء المنطـق السكوت   قـد أفلـح المبتـدىء الصَموت
ما حُمّ[1] من رزقك لا يفوت

في كـل شيء عِـبرة لمن عقـل   قـد يسعد المرء إذا المرء اعتدل
ترجو غداً ودون ما ترجو الأَجل

من لـك بالمحـض وليس محـض   يخبـث بعـض ويطيـب بعـض
ورب أَمرٍ قد نهاه النقضُ

كم زاد في ذنـب جهولٍ عـذره   ذا مرض يعنـى عليـك أمره
يخشى امرء شيئاً ولا يضره

يـا رب إحسان يعود ذنبـا   ورب سلمٍ سيعود حربـا
وذو الحجى يحمل إن أحبا

قـد يـدرك المعسر في إعساره   مـا لم يبلـغ الموسر في إيساره
وينتهي الهاوي إلى قراره

الشيء في نقـصٍ إذا تناهـا   والنفس تنقـاد إلى رداهـا
مذعنةً يحتثُّ سائقاها

النـاس في فطرتهم سواء   وإن تساوت بهم الأهواء
كل بقاءٍ بعده فناء

لم يغلُ شيء وهو موجود الثمن   مـال الفتى ما قصه لا ما احتجن
إذا حوى، جثمانه ثرى الجبن (كذا)

---

(١) حُمّ: قُدّر

المـــال يحكي الغي في أثقالـــه   وإنمـــا المنفـــق من أموالـــه
ما غمر الخلة من سؤاله

من لاح في عارضـــه القتـــير[١]   فقـــد أتـــاه بالبلـــى النذيرُ
ثم إلى ذي العزة المصير

رأيـت غـب الصـبر مما يحمد   وإنمـــا النفس كما تُعـــدَّد
وشر ما يطلب ما لا يوجد

إن اتبـــاع المرء كـــل شهوة   لَيلبس القلـــب لبـــاس قسوة
وكبوة العجب أشد كبوة

من يزرع المعروف يحصِد ما رضي   لكـــل شيءٍ غايـــةٌ ستنقضي
والشر موقوف لدى التعرض

لا يأكـل الإنسان إلا مـا رزق   مـا كـل أخلاق الرجال تتفق
هان على النائم ما يلقى الأرِق

من يلذع النـاس يجد من يلذعه   لسان ذى الجهـل وشيكاً يوقعه
لا يعدم الباطل حقاً يدمغه

كـــل زمـــانٍ فلـــه نوابـــغ   والحـــق للباطـــل ضـــد دامغ
لا يغصك المشرب وهو سائغ

رب رجـــاءٍ قـــص من مخافـــه   ورب أمنٍ سيعود آفـة
ذو النجح لا يستعبد المسافة

كم من عزيز قـــد رأيـــت ذَلاَّ   وكم سرورٍ مقبـــــلٍ تولى
وكم وضيع شال فاستقلا

لا خير في صحبة من لا ينصف   والدهر يجفو أمره ويلطـــف
والموت يفني كل عينٍ تطرف

---

(١) القتير هو الغبار وأراد به هنا الشيب مجازاً.

رب صبـــاح لأمرئٍ لا يُمسِه حتــف الفــتى موكــل بنفسه
حتى يحل في ضريح رمسه
إني أرى كـــل جديــدٍ بــالي وكـــل شيء فـــإلى زوال
فاستشف من جهلك بالسؤال
آن رحيـــلاً فأعـــدَّ الزادا آنَ معـــاداً فاحـــذر المعـــادا
لا يُملك العمر وإن تمادى
إنـــك مربوب مـــدين تُسئـــل والدهر عن ذي غفلـة لا يغفـل
وكلما قدمتـه محصـــــــل حـــتى يجيء يومـــك المؤجـــل

(فصل)

رُويَ عن أحد الأئمة عليهم السلام، أنه قال رسول الله ص):

إن الله عز وجل كتم ثلاثةً في ثلاثة: رضاه في طاعته، وكتم سخطه في معصيته، وكتم وليهُ في خلقه، ولا يستخفّ أحدكم شيئاً من الطاعات، فإنه لا يدري في أيها رضا الله تعالى، ولا يستقلنّ أحدكم شيئاً من المعاصي، فإنه لا يدري في أيها سخط الله، ولا يزرينَّ أحدكم بأحد من خلقه، فإنه لا يدري أيهم ولي الله.

ومن كلامه (ص):

من سرته حسنته، وساءته معصيته فهو مؤمن.

لا خير في العيش إلا لرجلين: عالم مطاع، ومستمع واعٍ.

كفى بالنفس غنى، وبالعبادة شغلاً.

لا تنظروا إلى صغير الذنب، ولكن انظروا إلى من اجترأتم.

وقال عليه وآله السلام:

آفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الفترة، وآفة الطرف الصلف.

لا حسب إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى، ولا عمل إلا بنية، ولا عبادة إلا بيقين.

إن العاقل من أطاع الله وإن كان ذميم المنظر، حقير الخطر، وإن الجاهل من عصى الله وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر.

أفضل الناس أعقل الناس.

إن الله تعالى قسّم العقل ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كمل عقله، ومن لم تك فيه فلا عقل له: المعرفة بالله تعالى، وحسن الطاعة، وحسن الصبر.

إن لكل شيءٍ آلة وعدة، وآلة المؤمن وعدته العقل، ولكل تاجر بضاعة، وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل خراب عمارة، وعمارة الآخرة العقل، ولكل سفر [1] فسطاط يلجئون إليه، وفسطاط المسلمين العقل.

(فصل)

رُوي عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أنه قال:

العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زيادة.

وروي عنه عليه السلام أنه قال:

هبط جبرئيل (ع) على آدم (ع) فقال:

يا آدم أُمرت أن أُخيّرك في ثلاث، فاختر منهن واحدة ودع اثنتين، فقال آدم وما الثلاث؟ قال: العقل والحياء والدين. فقال آدم فإني قد اخترت االعقل، فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا، فقالا يا جبرئيل إنا أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال فشأنكما وعرج.

(مسألة): إن سأل سائل فقال: كيف يحسن مخاطبة الحياء والدين؟ وكيف يصح منهما النطق؟ وهما داخلان في باب الأعراض، التي لا تقوم بأنفسها، ولا تصح الحياة والنطق منهما.

(الجواب): قيل له: هذا مجاز من القول، وتوسع في الكلام، والمعنى فيه: أنهما لو كانا حيين قائمين بأنفسهما، تصح المخاطبة لهما، والنطق. لكان هذا حكمهما، والمحكي عنهما جوابهما.

---

(١) سفر: القوم المسافرون.

وقد يستعمل العرب ذلك في كلامها، وهو نوع من أنواع فصاحتها، قال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني[1] مهلاً رويداً قد ملأت بطني

ونحن نعلم أن الحوض لا يصح منه النطق، ولكنه استعار النطق، لأنه عنده لو كان في صورة ما ينطق لكان هذا قوله.

(خبر آخر): في هذا المعنى، وهو المشتهر بين الخاصة والعامة، من أن أول شيء خلق الله تعالى العقل، فقال له: أقبل، فأقبل. ثم قال له أدبر، فأدبر.

فقال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك. بك أُعطي، وبك أُمنع، وبك أُثيب، وبك أُعاقب. وعزتي وجلالي، لا أكملتك إلا فيمن أحببت.[2]

فالمعنى فيه نظير ما تقدم، هو أن العقل لو كان قائماً بنفسه حتى يوجد مفرداً، لكان أول شيء خلقه الله تعالى لفضله، ولأن المنازل العالية لا تستحق إلا به، ولو كان حياً قادراً، لصح منه امتثال أمر الشارع إلى ما يؤمر به، ولم يقع خلاف للمراد منه.

وهذا كله بينة على شرف العقل وجلالته، وحث على وجوب الرجوع إليه، والتمسك بحججه، وفي القران لذلك نظائر.

(فصل مما ورد في القرآن في هذا المعنى)

فمن ذلك قول الله عز وجل:

« إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » النحل: ٤٠.

فدليل شاهد بأن المراد بذلك ليس هو القول، ولا يصح فيه حقيقةُ الأمر.

لأنه لو كان يأمر الشيء في الحقيقة بالكون، كان لا يخلو من حالين:

---

(١) معناه حسبي

(٢) تجد أكثر هذا الحديث في كتاب مشكاة الأنوار ص٢٢٧ وفي كتاب الأربعين للمجلسي وهو الحديث الثاني من أحاديثه ص٥ رواه بأسانيده.

إما أن يأمره بذلك، والشيء في حال عدمه، أو في حال وجوده.

ومحال أن يأمره وهو في حال عدمه، لأن المعدوم في الحقيقة ليس بشيء، فيتوجه إليه الأمر.

والذين يثبتون أنه شيء في حال عدمه من المتكلمين[1] لا يخالفون في أنه لا يصح أن يؤمر.

ومحال أيضاً أن يأمره وهو في حال وجوده، لأن الموجود هو الكائن.

ولا يقال للكائن (كن)، كما لا يقال للساكن (اسكن).

وأيضاً فلو كان يأمره في الحقيقة (بالكون) لكان الشيء المأمور هو الذي يفعل نفسه ويكوِّنها.

ولا يصح من شيء أن يفعل إلا أن يكون حياً قادراً، ولا يصح منه أن يفعل الحكم المتقن إلا بعد كونه عالماً.

وهذا كله[2] على أن المعدوم لا يؤمر ولا يفعل نفسه.

ولم يبق إلا أن يكون ذلك مجازاً في القول.

والمراد به الإخبار عن تيسر الفعل على الله سبحانه، أنه إذا أراده، وأنه غير متعذر منه، ومتى أراد كونه كان بغير حائل ولا مانع، حتى كأن الذي يريده لو كان حياً قادراً، يصح أن يكوِّن نفسه، ثم أمره الله تعالى بذلك، ليبادر إليه، ولم يتأخر عنه.

---

(١) اختلف المتكلمون في المعدوم هل هو شيء أم لا، فذهب بعضهم إلى أن المعدوم في حال عدمه شيء، واستدلوا بآيات منها: قوله تعالى (ولا تقولن بشيء إني فاعل ذلك غداً) إذ سماه شيئاً في حال عدمه، وقوله تعالى: (إن زلزلة الساعة بشيء عظيم) عبر عنها بكلمة شيء وهي معدومة وقبل أن تكون. وأنكر بعضهم أن يكون المعدوم شيئاً واستدلوا بآيات منها:
قوله تعالى: (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً)
وقوله تعالى: (ألم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) وقوله أيضاً: (لم يكن شيئاً مذكوراً) فقد نفى عن الذي لم يكن وكان معدوماً أن يكون شيئاً وحملوا تلك الآيات التي استدل بها مثبتوا الشيئية للمعدوم كما فعل المؤلف على المجاز.

(٢) لعله قد سقطت كلمة (يدل) ووضعناها ليستقيم الكلام.

ومثل ذلك قول الله عز وجل:

(ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض أتينا طوعاً أو كرهاً، قالتا (أتينا طائعين) سورة فصلت: ٥٠.

وليس المراد أن السماء والأرض وهما جماد، [نطقتا]، وإنما المعنى تيسر فعلها، وما أراده فيها.

فكأنها لو كانتا في حكم الأحياء القادرين الذين يصح منهم النطق والإتيان، لقالتا إذا أُمرتا بالإتيان (أتينا طائعين).

ونظير هذا في الكلام كثير.

والناس يجعلون من تيسر منه الفعل، كأن فعله قد أطاعه، ويقولون للشاعر الحاضر الخاطر: إن القوافي لتسمع [له] وتطيع، وإنك لتراها رأي العين، وإنها لمحصورة بين يديك.

ومراد هم أنها لا تتعذر عليه متى رامها، ولا يتوقف شيء منها إذا قصدها.

فكأنها لو كانت في حيزّها ترى، لرآها، أو في حكم من يطيع لأطاعت أمره إذا أمرها.

فأما الإخبار عن السماء والأرض بأنها (قالتا أتينا طائعين) بلفظ التذكير.
فيحتمل أن يكون المعنى أتينا بمن فينا، ومن يصح فيه التذكير.

ومن ذلك قول الله عز وجل:

﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت، وتقول هل من مزيد﴾ سورة ق: ٣٠.

وجهنم في الحقيقة لا يصح أن تخاطب، ولا يقع منها القول.

فالمعنى أنها لو كانت في حكم من يخاطب ويصح منها القول، لقالت (هل من مزيد).

وقيل في الآية بوجهٍ آخر.

وهو أن الذكر لها، والخطاب في الحقيقة متوجه لخزنتها، وهم القائلون (هل من مزيد).

وإنما أضيف ذلك إليها، كما يقال:
قالت البلدة الفلانية، أي قال أهلها.

وقال الله تعالى:
(واسئل القرية التي كنا فيها) يوسف: ٨٢ والمراد أهلها.

ومن ذلك قول الله عز وجل:
(يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون). النور: ٢٤

وقوله جل اسمه:
(وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة، وإليه ترجعون) فصلت: ٢١

فالقول عندنا في ذلك كله أنه على الإستعارة ومجاز اللغة، دون الحقيقة.

والمعنى فيه أن الجوارح لو كانت مما تنطق لنطقت على أصحابها بالشهادة، وقالت انطقنا الله.

وقد يجوز في أبعاض الإنسان ما تقام الشهادة بفعله، وإن لم يكن نطق.

والعرب تقول:
(رب عين أنطق من لسان) ويقولون:
(عيناك تشهد بسحرك، ونظرك يدل على خبرك).
والشواهد على هذا كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية.

مسألة من عويص النسب:

ألا قـــل لابن أم حماة أُمي ... أنـا ابن أخ ابن أختك غيروهم
فلو زوجت أختك من أخٍ لي ... فأولدها غلاماً كـان عمي
وكـان أخي لـذاك العم عماً ... وصـار العم مثـل دمي ولحمي
فمن أنا منك أو من أنت مني ... أجـب إن كنـت ذا لـبٍ وفهم

الجواب:

القائل ابن ابن المقول له، هو خال أبي القائل، وأُخت المقول له هي أُم أبي القائل.

فإذا تزوجها أخوا القائل لأمه، وهو جائز، لأنه لا قرابة بينها، فأولدها غلاماً. فالغلام عم القائل، لأنه يصير أخاً لأبيه، ويكون القائل أيضاً عماً للغلام من الأم، وكانت إخوة القائل من أبيه وأمه أعماماً للغلام.

فصل في ذكر الدنيا:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أحب دنياه أضرّ بآخرته».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

الدنيا دول، فاطلب حظك منها بإجمال الطلب.

وقال عليه السلام:

من أمن الزمان خانه، ومن غالبه هانه.

وقال:

الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر، فكلاهما عنك يمضي.

قال بعض الشعراء:

وإن امرءاً دنياه أكثر همه لمستمسك منها بحبل غرور

وقال بعضهم:

إياك الإغترار بالدنيا، والركون إليها، فإن أمانتها كاذبة، وآمالها خائبة، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، إما نعمةٍ زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة موجعة، وإما منية مفجعة.

وقال آخر:

صاحب الدنيا في حرب، يكابد الأهواء لتقدح، والجهالة لتقمح، والأرواع لتندفع، والآمال لتنال، والمكروه ليزال، وبعض ذلك عن بعضٍ

شاغل، والمشغل عنه ضائع، فلما رأى الحكماء أنه لا سبيل إلى إحكام ذلك تركوا ما يفني ليحرزوا ما يبقي.

فصل في ذكر الأَمَلَ.

روى أن الله تعالى قال:

يا ابن آدم يأتي رزقك وأنت تحزن، وينقص من عمرك وأنت لا تحزن، تطلب ما يطغيك، وعندك ما يكفيك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من كان يأمل أن يعيش غداً، فإنه يأمل أن يعيش أبداً.

وقال بعضهم:

الآمال لا تنتهي، والحي لا يكتفي.

وقيل: ما أطاع عبد أملَه، إلا قصُر عملُه.

وقال آخر:

لا يلهك الأمل الطويل عن الأجل القصير.

وقال آخر:

من جرى في عِنان أَمَله[1] عثر بأَجلِه.

وقال آخر:

إنك إذا أدركت أملَكَ قَرَّبك من أَجلِك، وإذا أَدركك أَجلُك لم تبلغ أَملَكَ.

لابن الرومي[2]

---

(١) في الأصل (عمله) وهذه الكلمة للإمام علي (ع) انظر: نهج البلاغة ص٥٦٧ رقم ١٨.

(٢) ابن الرومي هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج وقيل جرجيس ولد سنة (٢٢١هـ) وتوفي سنة (٢٨٣ أو ٢٨٤هـ) وقيل بل في سنة (٢٧٦هـ). وهو من الشعراء الموهوبين المبدعين وكان يتشيع وقصيدته الجمية في رثاء يحيى العلوي شاهد على ذلك.

والأبيات التي ذكرها المؤلف هي من قصيدته التي جرى فيها مجرى لزوم ما لا يلزم التي = يقول فيها:

خمسون عامـــاً كنـــت آملهـــا كانـــــت أمامي ثم خلفتهـــــا
كنز حيــــــاة لِيَ أنفقتـــــــه عـــلى تصاريـــف تطرّفتهـــا
لو كـــان عمري مايـــةً هـــدني تذكّـــري أنـــي تسوفتهـــــا

فصل في ذكر الموت.

رُوي أنه كان في التوراة مكتوباً:

يا بن آدم. لا تشتهي حتى تموت حتى تتوب، وأنت لا تتوب حتى تموت.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير.

وقال بعضهم:

لو رأيتم الأجل ومسيره، ولأبغضتم الأمل وغروره.

وأنشد:

نُراع لذكر الموت ساعـــــــــــة ذكره
فتعــــترض الدنيـــا فنلهو ونلعـــب

وقيل:

إن امرءاً آخره الموت لحقيق أن يخاف ما بعده.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام، ، سمع إنساناً يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال:

قولنا (أنا لله) إقرار منا له بالملك، وقولنا (وإنا إليه راجعون) إقرار على أنفسنا بالهلك[1].

= لهفـــي عـــلى الدنيـــا وهـــل لهفـة تنصــــف منهـــــا إن تلهفتهـــا
كم آهـــــةٍ لي قـــــد تأوهتهـــا فيهـــــا ومن أفٍ فأففتهـــا
أغـــدو ولا حـــال تسنمتهـــا فيهـــا ولا حـــال تردفتهـــا

(١) هذه الكلمة من كلمات الإمام علي (ع) المروية في نهج البلاغة من باب المختار من حكمه رقم (٩٩) ص ٥٨٢ وأنظر: تحف العقول ص١٤٥.

وقيل:

إن من عجائب الدنيا، أنك تبكي على من تدفنه، وتطرح التراب على وجه من تكرمه.

[قال] أبو نؤاس:(١)

غَرَّ جهولاً أمَلُـــه يموت من جــا أجَلُــه
ومن دنـــا من يومـــه لم تغن عنـــه حيلـــه
وكيـــف يبقي آخر قـــد مـــات عنـــه أولـــه
لا يصحـــب الإنسان من دنيـــاه إلا عملـــه

[قال] أبو ذؤيب:(٢)

وإذا المنيـــة أنشبـــت أظفارهـــا
ألفيـــت كـــل تميمـــةٍ لا تنفـــع

غيره:

ننافس في الدنيـــا ونحن نعيبهـــا
وقـــد حذَّرتناهـــا لعمري خطوبهـــا
ومـــا نحسب الساعـــات نقطـــع مـــدةً
عـــلى أنهـــا فينـــا سريـــع دبيبهـــا
كـــأني برهطي يحملون جنـــازتي إلى حفرةٍ يُحثـــى عـــلي كثيبهـــا
وباكيـــةٍ حرى تنوح وأنـــني على غفلـةٍ من صوتها لا أُجيبها

---

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي، كان جده مولى الجراح بن عبدالله الحكمي والي خراسان، ونسبه إلى مولاه المذكور، ولد أبو نؤاس سنة ١٤١هـ وتوفي سنة ١٩٥ أو ١٩٧ أو ١٩٨هـ، وهو من مشاهير الشعراء المجيدين وخاصة في الخمريات والغزل. وهو معدود في شعراء الشيعة وله مدائح في أهل البيت عليهم السلام.

(٢) أبو ذؤيب هو خويلد بن خالد بن محرِّث بن مخزوم ينتهي نسبه إلى نزار، وقد أدرك الجاهلية والإسلام، وعاش إلى أيام عثمان بن عفان وخرج غازياً لأفريقية مع عبدالله بن أبي سرح ومات في مصر والبيت هو من قصيدة قالها في رثاء أولاده الخمسة الذين هلكوا في عام واحد، وهي قصيدة جيدة طويلة أولها:

أمن المنون وريبهـــا تتوجـــع والدهر ليس بمعتـــب من يجزع

أيا هـادم اللـذات مـا منـك مهرب
يحـاذِر نفسي منـك مـا سيصيبهـا
رأيـت المنايـا قسمـت بـين أنفس
ونفسي سيـأتي بعـد ذاك نصيبهـا

لأبي إسحاق الصابي[1] من قطعةٍ كتبها إلى الشريف الرضي أبي الحسن الموسوي، وهو هذا:

وإني عـلى عيـب الردى في جوانـبي
ومـا كـفَّ من خطوي وبطش بنـاني
وإن لم يـدع إلا فؤاداً مروّعـاً
بـه غـير بـاقٍ من الخفقـان
تلوَّم تحت الحجـب تنقـب حكمـةً
إلى أُذن تصغي لنطـق لساني
لأعـلم أني ميـت عـاق دفنـه
دمـاء قليـل في غـدٍ هو فـان
وإن فماً لـلأرض غرثـان حائماً
يراصـد من أكـلي حضور أوان
بـه فـترة عم الورى لفجائـع
تَركْنَ فلانـاً ثاكـلاً لفـلان
غـداً فاغراً يشكو الطوى فهو راتـع
ومـا تلتقي يومـاً لـه شفتـان
وكيـف وحَـدُّ القوت منـه فناؤنـا
ومـا دون ذاك الحدِّ ردُّ عيـان

---

(١) هو ابراهيم بن هلال بن هارون الحراني الصابئي، من ألمع الأدباء المشاهير في العصر العباسي، ومن الكتاب المهرة البلغاء وقد أطراه كل من عرض لترجمته ونعته بصفات عالية. وتوفي عام (٣٨٤هـ) وكان صديقاً حمياً للشريف الرضي، حتى أن الشريف رثاه بعد موته بقصيدة دالية معروفة أولها:

أعلمـت من حملوا عـلى الأعواد   أرأيـت كيـف خبـا ضيـاء النـادي

إذا عاصيــــاً بالنسك ممن يعولـــــه
فــلا أولاً منـــه بمهلـــك ثـــان؟
إلى ذات يومٍ لا ترى الأرض وارثــاً
سوى الله من إنسٍ تراه وجـــــان

لغيره:

فــكم من صحيــحٍ بــات للموت آمنــاً
أتتــه المنايــا رقــدة بعدمــا هجــع
فــلم يستطــع إذ جــاءه الموت بغتــةً
فراراً ولا منـــــه بحيلـــــةٍ انتفـــع
فأصبـــح تبكيـــه النساء مكفنـــاً
ولا يسمــع الداعي إذا صوتــه رفــع
وقرّب من لحـــدٍ فصـــار مقيلــه
وفــارق مــا قــد كــان بالأمس قــد جمع

(فصل في ذكر الموت والقتل وما بينهما)

أعلم أن الموت غير القتل، والذي يدل على أنها غيران، قول الله عز وجل (فإن مات أو قتل) آل عمران: (١٤٤)

وقوله تعالى:

(ولئن متم أو قُتِلتم) آل عمران: (١٥٨)

وقوله سبحانه:

(ما ماتوا وما قتلوا) آل عمران: (١٥٦)

وليس يجوز أن يكون التأكيد والتكرير في اللفظين يرجعان إلى معنى واحد.

ويدل على ذلك أيضاً، العلمُ بأن الله سبحانه ليس بقاتل لمن مات حتف أنفه.

ولو قال قائل في ميت أن الله قتله لأعاب العقلاء عليه.

والموت والقتل عرضان، وليسا بجسمين.

وقد قال شيخنا المفيد رضي الله عنه[1]:

إن القتل متولد عن الأسباب، ومحله محل حياة الأجسام، والموت معنىً يضاد حياة الفاعل المخلوق، ولا يصح حلوله في الأجسام.

قال:

وهذا مذهب يختص بي.

والقتل عند جميع أهل العدل من مقدورات العباد، والموت لا يقدر عليه أحد إلا الله.

(تأويل آية)

إن سأل سائل عن قول الله سبحانه:

(وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت)[2] التكوير: ٨- ٩ .

فقال: كيف يصح أن يُسأل من لا عقل له؟ وأي فائدة في سؤالها عن ذلك ولا ذنب لها؟ وما المؤودة؟ ومن أي اشتقاقٍ هذه اللفظة؟

جوابٌ

قلنا في قوله تعالى (سُئِلت) وجهان:

---

(١) هو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي، ولد عام (٣٣٦ أو ٣٣٨هـ وتوفي ٤١٣هـ). وهو من أعمدة الشيعة في العلم والكلام والفقه والآثار، وأكبر شخصية شيعية علمية في القرن الرابع الهجري في الكلام والمناظرة.

وشيعه يوم وفاته ثمانون ألفاً. وقال عنه ابن حجر العسقلاني: «برع في العلوم حتى كان يقال: له على كل إمام منة».

ومؤلفاته قد تجاوزت المأتي كتاب في مختلف المواضيع العلمية، ولا يزال بعضها حياً إلى اليوم، وقد طبع شيء منها.

وقد كتبنا عنه دراسة مسهبة في كتابنا «فلاسفة الشيعة» ص (٤٥٤- ٤٦٩) فراجع

(٢) أنظر الكلام على هذه الآية في أمالي المرتضى م٢ ص٢٧٩- ٢٨٢.

أحدهما: أن يكون المراد أن قاتلها طولب بالحجة في قتلها، وسئل عن سبب قتله لها، وبأي ذنب قتلها، وذلك على سبيل التوبيخ والتعنيف، وإقامة الحجة.

فالقَتَلة ههنا هم المسؤولون على الحقيقة، لا المقتولة مسؤول عنها.

ومثله قوله تعالى:

وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولاً) الأسراء ٣٤

أي مطالباً به ومسؤولاً عنه.

والوجه الآخر: أن يكون السؤال توجه إلى المؤودة على الحقيقة، توبيخاً لقاتلها، وتقريعاً له، على أنه لا حجة له في قتلها.

ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام:

(أأنت قلت للناس اتخذوني وأُميَ آلهين من دون الله) المائدة ١١٩ على طريق التوبيخ لقومه، وإقامة الحجة عليهم.

فإن قيل: على هذا الوجه كيف يخاطب ويُسأل من لا عقل له ولا فهم؟

فالجواب: إن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبكيت القائل وتهجينه وإدخال الغم عليه في ذلك الموقف على طريق العقاب، لم يمتنع أن يقع، وإن لم يكن من المؤودة فهم. لأن الخطاب وإن توجه إليها، فالغرض في الحقيقة به غيرها.

وهذا يجري مجرى رجلٍ ضرب ضارب طفلاً له من ولده، فأقبل الرجل على ولده يقول له: لِمَ ضُربت؟ وما ذنبك؟ وبأي شيءٍ استحل هذا منك؟ وغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل.

وفي الناس من قال:

إن توجّه السؤال إلى المؤودة وإن كان الغرض فيه تبكيت القاتل، فإنه لا يكون إلا والمؤودة قد أكملت لها العقل وجُعِلت على أفضل الهيئآت، لأنها في القيامة تعوض عما نالها بالنعيم الدائم، فلابد من إكمال عقولها، لتعرف عدل الله

تعالى، ويحسن التذاذها بما وصل إليها. فليس يتوجه السؤال إليها إلا وهذه حالها.

وقد روي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه، عنهما وعن غيرهما، أنهم قرأوا:

(إذا المؤودة سألت) بفتح السين والهمزة وإسكان التاء(بأي ذنب قُتِلتُ) باسكان اللام وضم التاء الثانية، فكانت المؤودة والقائلة.

وإما المؤودة فهي المقتولة صغيرة.

وكانت العرب في الجاهلية تدفن البنات أحياءً، وهو قوله:

(أيمسكه على هونٍ، أم يدُسُّه في التراب) النحل: ٥٩

وهو قوله عز وجل:

(قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم) الأنعام: ١٤٠

ويقال: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين:

أحدهما: أنهم كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات بالله، فهو أحق بالبنات.

والأمر الآخر:

أنهم كانوا يقتلونهم خشية الإملاق، قال الله عز وجل:

(لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطأً كبيراً) الإسراء: ٣١

(فصل في معرفة الإسم والصفة)

اعلم أن الإسم غير المُسمَّى، والصفة غير الموصوف.

والإسم والصفة جميعاً لا يكونان إلا قولاً[1] من المسمى والوصف، أو كتابة يدل على ما يدل عليه القول.

---

(١) يعني أن الإسم والصفة هما لفظان مأخوذان اشتقاقاً من المسمى والوصف.

والإسم في الحقيقة ما دل على المسمى، والصفة ما دل على معنى في المسمى.

وفي هذا اللفظ تجوز، لأنها تعطي الظرفية والحلول. وربما كان الموصوف غير ظرف ولا محل.(١)

وأقرب من هذا أن يقال:

إن الصفة ما أفادت أمراً يكون في الموصوف عليه.

وإنما افتقر المتكلم إلى استعمال هذه الألفاظ لضيق العبارات عن استيفاء المعاني، فإذا فُهِمَ من اللفظ الغرض جاز استعماله.

فالإسم قولنا: زيد وعمرو ونحو ذلك، مما وسمت به الأشخاص، وحصل لها ألقاباً تتخصص بها عند الإشارات، وليست دالة على معنى في الموصوف، ولا مفيدةً أمراً هو عليه.

والصفة قولنا: قادر وعالم ونحو ذلك، مما يدل على أمور يكون الموصوف عليها.

فقولنا: قادر يفيد جواز وقوع الفعل منه، وقولنا عالم يفيد صحة وقوع الفعل المحكم منه.

فإن انكشف لنا الإعتبار عن خروج الموصوف عن هاتين الصفتين إلى ضدها، حتى يتعذر وقوع الفعل منه، ويستحيل حصول الفعل المحكم المتقن منه، فما ذاك إلا لأن فيه معنيين حالّين، وهما القدرة، والعلم، وبوجودهما صح منه فعل المحكم المتقن، وهما عرضان متغايران، وضداهما العجز والجهل، ولا يكون هذا إلا والموصوف محدث، وليس القدرة والعلم صفتين للقادر والعالم، وإنما الصفة قول الواصف: هذا قادر وهذا عالم، أو كتابته الدالة على ذلك.

وكذلك ليس السواد بصفةٍ للأسود، وإنما صفته قولنا: هذا أسود، ومن خالف في هذا فقد غلط.

---

(١) كما إذا كانت الصفة صادرة عن الموصوف لا قائمة فيه كالقتل والضرب وسائر الأفعال الصادرة عنه، ولم يكن محلاً لها.

إلا أن يقال: إن العلم للعالم، والسواد للأسود على وجه التوسع في الكلام، فذلك جائز.

وإن كشف لنا الإعتبار عن استحالة خروج الموصوف عما وُصِفَ به، وبطلان وصفه بضده فما ذاك إلا لأنها صفات نفسية. ولهذا قلنا: إن الله قادر وعالم لنفسه، وأنه لا علم ولا قدرة في الحقيقة له، لإستحالة خروجه من جواز وقوع الفعل المحكم المتقن منه.

فالمعاني التي دلت الصفات عليها هي ما استفدناه من حال الموصوف.

وقد ظنت المجبرة أن الصفة غير الوصف، وقالوا: إن الصفة معنى قائم بالموصوف، والوصف هو قول الواصف. وهذا فاسد، والصفة هي الوصف، وهما مصدران لفعل واحد.

تقول: وَصَفَ يَصِف صفة ووصفاً، وهذا كالوهب والواهب والهبة، والوعد والعِدَة. تقول: وهب يهب هبةً ووهباً، ووَعَدَ يَعِدُ عِدَةً ووَعْداً.

أسماء الله وحقيقتها

فصل في معرفة أسماء الله تعالى وحقيقتها.

فأما أسماء الله تعالى كلها فعائدة إلى الصفات، لأنها دالة على معانٍ، ومتضمنة لفوائد، وليس فيها إسم يخلو من ذلك. ويجري مجرى اللقب، إنما وضع على شخص تقع الإشارة إليه، ليفرق بينه وبين ما شاركه في جنسه من الأشخاص المتماثلة.

ولما كان الله تعالى يجلُّ عن المجانسة ويرتفع عن المماثلة، استحال أن يكون في أسمائه لقب، ووجب أن يكون جميعها مفيداً للمعاني، كما تفيد الصفات.

فأما التسمية له تعالى (بالله) فإنه يفيد من المعنى وَلَه العباد إليه، وتعلق نفوسهم به، ورغبتهم عند الشدائد في إزالة المكروه إليه.

وقد رويَ عن الصادق عليه السلام في هذا المعنى مثل ما ذكرناه في الحقيقة، وإن خالفه في بعض اللفظ.

فرويَ عنه أنه قال:

الإله يقتضي والهاً، والواله لابد له من مألوه. والإسم غير المسمى.[1]

والأصل في قولنا: الله. إلاه، ثم دخلت الألف واللام للتعريف، فصار الإله، فاسقطت الهمزة الثانية تخفيفاً، وجعلت اللامان لاماً واحدةً مشددةً، فقيل: الله.

فأما التسمية له بالرحمن الرحيم فهو أن الرحمن مشتق من فعل الرحمة على سبيل المبالغة في الوصف، لوقوعها في الفعل على حدٍ لا يصح وقوعها عليه من أحدٍ من الخلق.

وقد روي عن الباقر[2] عليه السلام صحة ذلك، فقال:

الرحمن لسائر الخلق، الرحيم بالمؤمنين.

فكأن أحد الإسمين مشتق من عموم الرحمة، وهو الرحمن. والآخر من خصوصها وهو الرحيم.

فأما تسميته باللطيف فيفيد اجتماع الحكمة والرحمة، ونفوذ مراده إذا شاء وقوعه على الحتم بلطائفه التي يلطف بها لخلقه، على العلم بمصالحهم.

وهذا معروف في اللسان. تقول العرب! فلانٌ لطيف في أمره، وفلانٌ لطيف في صنعته، إذا أرادوا وصفه بالحكمة في تدبيره.

وأما الخبير فيفيد علمه بالأشياء على حقائقها، وتَبَيُّنه لها على أوصافها.

وأما الكريم فهو مشتق من فعل الكرم، وهو التفضل بالنعم، والصفح عن الذنوب، والتطول بالمنن.

---

(١) الحديث المروي عن الصادق عليه السلام هكذا بعد أن سأله هشام بن الحكم عن أسماء الله واشتقاقاتها قال:

الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والإسم غير المسمى، فمن عبد الإسم والمعنى فقد اشرك وعبد الإثنين، ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد. أنظر توحيد الصدوق ص٢١٩.

(٢) هو الإمام محمد بن علي الباقر خامس الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ولد عام (٥٧هـ) وتوفي عام (١١٤هـ)

وأما الجواد فهو مشتق من الجود، وهو التفضل كما ذكرناه في معنى الكرم، غير أن لفظه أبلغ في الوصف في معنى الكرم من لفظ كريم.

وأما الغني فيفيد القدرة على ما يريد من غير معين عليه، وليس تستحق هذه السمة مع الله عز وجل على الحقيقة غيره، ومن وُصِف بها من المخلوقين فعلى سبيل الاتساع.

وأما السخي فمعناه عند من حقّق إطلاقه على الله سبحانه، بذل النّعم والتفضل بها.

وقد أبت جماعة من أهل التوحيد إطلاق السخاء على الله تعالى، لأنه لم ينقطع عذري[1] بكتابٍ منزل، ولا سنة متواترة، ولا إجماع، ولا أثر مستفيض جاء عن الصادقين عليهم السلام في تسمية الله تعالى بالسخاء، وليس له معنى تدل عليه العقول.

وقد ذكر بعض أهل التوحيد العارفين باللغة: أنه مأخوذ من السخاوة، وهي الأرض الرخوة.

وقد ثبت أن الأسماء لا تؤخذ إلا سماعاً، فلهذا وقفت ولم أقدم.

وأما قولنا: رب مأخوذ من التربية، ثم نقل إلى الملك.

وقولنا مالك مشتق من الملك

وجميع ما سوى هذا، مما سمي الله تعالى به نفسه فصفات مفيدة لمعانٍ، يفهم ذلك من تأمله.

(فصل في تمييز صفات الله تعالى)

اعلم أن جميع ما يوصف به على حقيقة، والمراد به معنى الوصف.

وقسم يوصف به مجازاً واتساعاً، والمراد به غير حقيقة ذلك الوصف.

وصفات الحقائق تنقسم أيضاً قسمين:

---

(١) هكذا وردت في الأصل، ولعل الأصوب (عذرهم)

فقسم صفات ذاتية، وهي التي لم يزل عليها، ولا يزول عن استحقاقها.

وقسم صفات أفعال، وهي التي تجددت عند فعله الأفعال، ولا يصح أن يقال أنه عليها فيما لم يزل.

بيان صفات الذات، والدليل عليها:

وهي قولنا:

حي، باق، وقادر، وعالم، وكذلك موجود، وقديم.

فهذه الصفات استحقها لنفسه لا لمعنى آخر.

والدليل على ذلك: أنه لو كان حياً بحياة، وباقياً ببقاء، وقادراً بقدرة، وعالماً بعلم، كان حياته، وبقاؤه، وقدرته، وعلمه، لا يخلو عن حالين:

إما أن تكون معاني قديمةً معه، وإما ان تكون حادثة.

فلو كانت قديمة لشاركته في أخص صفاته، وماثلته، فيبطل التوحيد.

وقد تقدمت الأدلة على صحته.

وأيضاً فلو ماثلت الصفة الموصوف لم تكن صفة له بأولى من أن يكون هو صفةً لها.

وإن كانت هذه المعاني الموصوف بها، أعني الحياة والبقاء والقدرة، والعلم، حادثةً، وجب أن يكون قبل حدوثها غير مستحق للوصف بها.

وقد ثبت الأدلة[1] على انه سبحانه لم يزل حياً، باقياً، قادراً، عالماً.

ولو كانت أيضاً حادثةً، لم يكن لها غناء عن محدث أحدثها.

ولا يصح أن يكون محدثاً غيره تعالى، لأنه الفاعل الأول، والقديم الذي لم يزل، فكيف يفعل الحياة لنفسه من ليس بحي؟ أو يحدث القدرة من ليس بقادر.

والعاقل يعلم أن هذا مستحيل باطل.

---

(١) الأولى ثبت بالأدلة بزيادة الباء

فعلم أنه حي وباقٍ وقادر وعالم لنفسه لا لمعانٍ غيره.

وربما أُطلق اللفظ إتساعاً بأن له قدرة وعلماً، قال[1] الله سبحانه كذا، والمعنى أنزله وهو عالم به، ويقول المتكلمون: قدرة الله عظيمة، والمعنى التعظيم لمقدوره، وأنه لا يعجزه شيء أراده.

فأما عند التحقيق فهو قادر عالم لنفسه.

وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في كلام له:

وجد الله تعالى وليس بينه وبين معلومه علمٌ غيرُه، به كان عالماً بمعلومه.

وهذا القول عنه عليه السلام[2] أنه تعالى عالم لنفسه وذاته، وأنه لا علم في الحقيقة له، تعالى الله الذي ليس كمثله شيء.

وقد ذهب المجبرة إلى أن الله تعالى موصوف بصفاتٍ قديمةٍ معه، وأنها ليست غيره، ولا بعضها غير بعض.

وهذا خروج عما يعقل ويفهم، لأن العقول شاهدة بأن الأشياء التي يقع عليها العدد، ويشملها الوجود، ويختص كل منها بدليل، لا تكون إلا غياراً،[3] بعضها سوى بعض.

وقد قال لهم أهل العدل!

إذا كانت لله تعالى صفات قديمة، وليست غيره، بقولها: إنها، أو هي هو، فأن العقل يقضي بأنه لا بد لكم في إثباتكم من أحد هذه الثلاثة الأقسام.

قالت المجبرة:

كل واحدٍ من هذه الثلاثة الأقسام قد ثبت الدليل على بطلانه، فلا سبيل إلى قوله.

ولكنا نقول: ليست الصفات عين الموصوف، ولا غيره، ولا بعضه.

---

(١) ربما سقطت من الناسخ كلمة وقيل: فيصح الكلام هكذا وقيل قال الله...

(٢) في الأصل تكرير أنه ويحتمل سقوط كلمة (يعني) أو ما يماثلها.

(٣) يعني بها المغايرة.

فقال لهم أهل العدل:

وقد هربتم من أن تقولوا بأحد هذه الأقسام لبطلانه، وصرتم إلى إدعاء ما لا تتصور العقول صحته، بل يشهد بفساده وبطلانه، فأخبرونا ما الفرق بينكم في قولكم إن صفاته لا هي هو، ولا غيره، ولا بعضه.

قالت الجبرة: هذا القول مناقضة.

قالت العدلية:

وقولكم في التناقض مثله، وأي شيء أردتموه في إبطال ما عارضناكم به، فقولكم يبطل بمثله.

وقد قالت الجبرة أيضاً في نصرة مذهبها:

إنا لم نرَ عالماً إلا وله علم، ولا قادراً إلاّ وله قدرة، فلما كان الله عالماً قادراً، وجب أن يكون له علم وقدرة.

قال لها أهل العدل:

إنكم إنما عولتم في ذلك على الشاهد، فقولوا إن علم الله تعالى غيره، وكذلك قدرته غيره. لأنكم لم تروا في الشاهد عالماً وقادراً إلا وهذا حكمه، وقولوا أيضاً إن علم الله تعالى محدث، وكذلك قدرته وجميع صفاته، لأنكم لم تروا ذات صفاتٍ إلا وصفاته محدثة، فاحتالوا في الخلاص مما لزمكم على سنن قياسكم.

بيان صفات الأفعال

اعلم ان صفة الفعل هي كل صفةٍ داخلة في باب المضاف، ومعنى ذلك أن يكون يقتضي وجود غير الموصوف، كقولنا آله، ورب، ومالك، وفاعل، وجواد، ورزاق، وراحم، ومتكلم، وصادق، ولحو ذلك.

لأنـا قد بينا أن الإِلَه والهٌ، والواله لا يكون إلا موجوداً، والرب يقتضي مربوباً، وكذلك مالك يقتضي وجود المملوك، لانه لا يقال قد ملك المعدوم، وفاعل صفة، لا شبهة في أنها لا تصح إلا إذا وجد المفعول. نعوذ بالله من القول

بان القديم لم يزل فاعلاً ، لأن ذلك يقتضي انه لم يتقدم أفعاله ، فيصير الفاعل قديماً ، وجميع صفات الأفعال جارية هذا المجرى لمن تأملها .

ألا ترى: لو قلنا إنه جواد فيما لم يزل ، اقتضى ذلك فعله للجود فيما لم يزل ، ووجود من يجود عليه أيضاً فيما لم يزل.

وكذلك قولنا : متكلم يقتضي وجود كلام إذا تكلم ، فكلام الله تعالى أحد أفعاله ، كما أن رزقه أحد أفعاله ، وهو موجود قبل كلامه.

فأما صادق فلا يصح إلا بعد صحة التكلم ، والجميع صفات أفعالٍ على ما تبين.

(فصل في فروق صفة الذات وصفة الفعل)

الفروق بينهما كثيرة:

فمنها ان تنظر الصفة التي تصف الله تعالى بها ، فإن كانت داخلةً في باب المضاف ، فهي نفسية ، كقولنا موجود ، وقديم ، وباقٍ وحي.

وكذلك إن كانت تقتضي إضافته إلى أمر غير موجود ، كقولنا: قادر ، فالقادر لا يكون إلا على مقدور ، ولكن المقدور غير موجود .

ويجري مجرى ذلك قولك: عالم ، لأنه لا يكون عالماً إلا بمعلوم ، وقد يصح أن يكون المعلوم معدوماً غير موجود .

فأما ما سوى ذلك من الصفات الداخلة في باب المضاف المقتضية إثبات غير الموصوف مما يكون موجوداً غير معدوم ، فكلها صفات أفعال.

فرق آخر:

ومنها أن كل صفة تصف الله تعالى بها ، ولا يجوز أن يدخلها التخصيص ، فتثبتها له في حال ، وتنفيها منه في أخرى فهي صفة نفسية ، كقولك: موجود ، وحي ، وقادر ، وعالم ، فإنه لا يجوز أن ينتفي عنه ولا يتخصص شيء من ذلك .

وكل صفة تصفه بها ، ويجوز التخصيص فيها ، فتثبتها في حال ، وتنفيها عنه

في غيرها فهي صفة فعلٍ. كقولك: فاعل، وراحم، ورازق، ومتكلم، فإنك تقول: إنه سبحانه يفعل الخير ولا يفعل الشر، ويرحم المؤمن ولا يُرحم الكافر، ويرزق زيداً ولا يرزق عمراً، وكلم الله موسى، ولم يكلم فرعون. فيكون فيها صفات أفعال، صح فيها التخصيص، وهذا واضح.

فرق آخر:

وهو أن كل ما استحال أن يوصف بالقدرة عليه وعلى ضده فهو من صفات ذاته.

ألا ترى أنه يستحيل قولك: يقدر أن يحيِيَ ويقدر على الإحياء، ويقدر على ان لا يقدر.

ويقدر على أن يعلم، ويقدر على أن لا يعلم، فهذه صفات ذاته.

فأما إن كان ما يوصف به يصح أن يوصف بالقدرة عليه وعلى ضده فهو من صفات الأفعال.

ألا ترى أنك تقول: يقدر أن يفعل، ويقدر أن لا يفعل، ويقدر أن يرحم ويرزق، ويقدر أن لا يرحم ولا يرزق، ويقدر أن يتكلم، ويقدر أن لا يتكلم، فهذه كلها صفات أفعال، فافهم ذلك.

بيان صفات المجاز:

فأما الذي يوصف لله تعالى به ومرادنا به غير حقيقة الوصف في نفسه، فهو كثير، فمنه مريد وكاره وغضبان وراضٍ ومحب ومبغض وسميع وبصير ورائِ ومدرك، فهذه صفات لا تدل على وجوب صفة يتصف بها، وإنما نحن متبعون للسمع الوارد بها، ولم يرد السمع إلا على مجاز اللغة واتساعاتها، والمراد بكل صفةٍ منها غير حقيقتها.

القول في المريد

أعلم أن المريد في الحقيقة والمعقولة هو القاصد إلى أحد الضدين اللذين خطرا بباله الموجب له بقصده وايثاره دون غيره.

وهذا من صفات المخلوقين التي تستحيل أن يوصف في الحقيقة بها رب العالمين. إذ كان سبحانه لا يعترضه الخواطر، ولا يفتقر إلى أدنى روية وفكر، إذ كان هذا على ما بيناه، فإنما معنى قولنا: إن الله تعالى مريد لأفعاله، أنها وقفت وهو عالم بها غير شاغلة، ولا هو موجوداً لمسببٍ وجب من غيره مريداً له. فصح إذا أردنا أن نخبر بأن الله تعالى يفعل لا من سهوٍ ولا غفلةٍ ولا بإيجابٍ من غيره، أن تقول هو مريد لفعله، ويكون هذا الوصف استعارة، لأن حقيقته كما ذكرناه لا يكون إلا في المحدث.

دليل

والذي يدل على صحة قولنا في وصف الله تعالى بالأرادة، أنه سبحانه لو كان مريداً في الحقيقة لم تخل الأمر من حالين:

إما أن يكون مريداً لنفسه، لوجب أن يكون مريداً للحسن والقبح، كما أنه لو كان عالماً لنفسه كان عالماً بالحسن والقبح. وإرادة القبح لا تجوز على الله سبحانه.

والكلام في هذا يأتي محرراً على المجبرة في خلق الأفعال.

فإذا ثبت أن الله عز وجل لا يجوز أن يريد المقبحات عُلِم أنه غير مريد لنفسه.

وإن كان مريداً بإرادة، لم تخلُ الإرادة من حالين:

إما أن تكون قديمة، أو حادثة.

ويستحيل أن تكون قديمة، بما بيناه من أنه لا قديم سواه عز وجل.

والكلام على المجبرة في هذا داخل في باب نفي الصفات التي أدعت المجبرة أنها قديمة مع الله تعالى.

وأيضاً فلو كان الله سبحانه مريداً فيما لم يزل، إما لنفسه وإما بإرادة قديمةٍ معه، لوجب أن يكون مراده فيما لم يزل، لأنه لا مانع له مما أراده، ولا حائل بينه وبينه، ولكان ما يوجده من الأفعال لا تختلف أوقاته، [ولا] يتأخر بعضه عن بعض، لأن الإرادة حاصله موجدة في كل وقت، وهذا كله موضح أنه عز وجل ليس بمريد فيما لم يزل، لا لنفسه ولا لإرادةٍ قديمةٍ معه.

وإذا بطل هذا لم يبق إلا أن يكون مريداً بعد أن لم يكن مريداً بإرادة محدثة، وهذا أيضاً يستحيل، لأن الإرادة لا تكون إلا عرضاً، والعرض يفتقر إلى محل، والله تعالى غير محل للأعراض، ولا يجوز أن تكون إرادته حالة في غيره، كما لا يجوز أن يكون عالماً بعلم يحل في غيره، وقادراً بقدرةٍ تحل في غيره.

ولا يجوز أيضاً أن تكون لا فيه ولا في غيره،[1] لأنه عرض، والعرض يفتقر إلى محل يحملها، ويصح بوجوده وجودها.

ولو جاز أن توجد إرادة لا في مريدٍ بها، ولا في غيره، لجاز أن توجد حركة لا في متحرك بها ولا [في] غيره.

فإن قيل أن الحركة هيئة للجسم، وليس يجوزان تكون هيئة غير حالةٍ فيه.

قلنا: ولِمَ لا يجوز ذلك؟

فإن قيل: لأن تغيير هيئة الجسم مدرك بالحاسة، فوجب أن يكون المعنى الذي يتغير به حالاً فيه.

قلنا: وكذلك المريد للشيء بعد أن لم يكن مريداً له، قد يتغير عليه حِسٌّ نفسه، فوجب أن تكون إرادته تحله.

فإن قيل: أي شيء من الحواس تحس الإرادة؟

قلنا: وبأي شيء يحس الصداع؟

فإن قيل: إن الإنسان يدرك ألم الصداع في موضعه ضرورةً.

قلنا: فلم نركم أشرتم إلى حاسةٍ بعينها أدركه بها؟

ولنا أن نقول: وكذلك المريد في الحقيقة، يعلم بتغير حسه، ويدرك ذلك من نفسه ضرورةً.

---

(١) وقد ذهب هشام بن الحكم إلى أن صفات الله ليست هي هو ولا غيره تبعاً للجهم بن صفوان، واستدل لهذا الرأي بأن حدوث الصفة في ذاته يلزم منه التغير في ذاته وإن يكون محلاً للحوادث، وإن حدثت الصفة في محل فيكون الموصوف بالعلم مثلا هو ذلك المحل لا الباري تعالى وقد شرحنا ذلك في كتابنا «هشام بن الحكم» فراجع

(**فصل**) من كلام شيخنا المفيد رضي الله تعالى عنه في الإرادة.

قال: الإرادة من الله جل إسمه نفس الفعل، ومن الخلق الضمير وأشباهه، مما لا يجوز إلا على ذوي الحاجة والنقص.

وذاك أن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلا بقلب، كما لا تكون الشهوة والمحبة إلا لذي قلب، ولا تصح النية والضمير والعزم إلا على ذي خاطر، يصَوّر معها في الفعل الذي تغلب عليه الإرادة له، والنية فيه والعزم.

ولما كان الله تعالى يجلٌّ عن الحاجات، ويستحيل عليه الوصف بالجوارح والآلات، ولا يجوز عليه الدواعي والخطرات، بطل أن يكون محتاجاً في الأفعال إلى التصور والعزمات، وثبت أن وصفه بالإرادة مخالف في معناه لوصف العباد، وأنها[1] نفس فعله الأشياء، وإطلاق الوصف بها عليه مأخوذ من جهة الإتباع[2] دون القياس، وبذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى عليهم السلام.

قال شيخنا المفيد رحمه الله:

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه[3] عن محمد بن يعقوب الكليني عن أحمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال:

قلت لأبي الحسن عليه السلام[4]:

«أخبرني عن الإرادة من الله تعالى ومن الخلق.

فقال: الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم من الفعل، والإرادة من الله تعالى إحداثه الفعل لا غير ذلك، لأنه جل اسمه لا يهم ولا يتفكر».[5]

---

(١) في الأصل وإن بها نفس فعله، وصوبناه لما ذكرناه اعتماداً على ما سيأتي.

(٢) يعني به السماع.

(٣) من علماء الأمامية المحدثين الثقات وهو استاذ الشيخ المفيد، له مؤلفات منها (كامل الزيارات) توفي عام ٣٦٨ أو ٣٦٧هـ.

(٤) هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المتوفي سنة ١٨٣هـ وقيل بل ١٨٦هـ.

(٥) روى الصدوق المتوفي عام ٣٨١هـ هذا الحديث في كتابه «التوحيد» مع تغيير في بعض ألفاظه لا تؤثر في روح الحديث.

قال شيخنا المفيد رحمه الله:

وهذا نص من مولانا عليه السلام على اختياري في وصف الله تعالى بالإرادة، وفيه نص على مذهب لي آخر منها، وهو: أن إرادة العبد تكون قبل فعله، وإلى هذا ذهب البلخي [١].

والقول في تقدم الإرادة للمراد كالقول في تقدم القدرة للفعل، وقول الإمام عليه السلام في الخبر المقدم أن الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم من الفعل صريح في وجوب تقدمها للفعل، إذ كان الفعل يبدو من العبد بعدها، ولو كان الأمر فيها على مذهب الجبائي لكان الفعل بادياً في حالها، ولم يتأخر بدوه إلى الحال التي هي بعدها لها.

فصل: اعلم أنا نذهب إلى أن الإرادة تتقدم المراد كتقدم القدرة للمقدور، غير أن الإرادة موجبة للمراد، والقدرة غير موجبة للمقدور، والإرادة مما لا يصح أن يفعل الشيء فضده بدلاً منه، والجميع[٢] أعراضٌ لا يصح بقاؤها.

«فصل من القول في أن الإرادة موجبة»:

هو أن الحي متى فعل الإرادة لشيء، وجب وجود ذلك الشيء، إلا أن يمنعه منه غيره، فأما أن يمتنع هو[٣] من مراده فلا يصح ذلك.

ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أنه قد ثبت تقدم الإرادة على المراد، لاستحالة أن يريد الإنسان ما هو فاعل له في حال فعله، فيكون مريداً للموجود، كما يستحيل أن يقدر على الموجود. وإذا ثبت أن الإرادة متقدمة للمراد لم يخل أمر المريد لحركة يده من أن يكون واجباً وجودها عقيب الإرادة بلا فصل، أو كان يجوز عدم الحركة، فلو جاز ذلك لم يعدم إلا بوجود السكون منه بدلاً منها.

ولو فعل السكون في الثاني من حال إرادته للحركة لم يخلُ من أن يكون

---

(١) هو أبو القاسم البلخي وتقدمت ترجمته.

(٢) في النسخة والجمع.

(٣) في النسخة كلمة (لا) بعد (هو) وهو غير واضح ولعلها زائدة

فعله بإرادته له أو سهو عنه، ومحال أن يفعله بإرادة، لأن ذلك موجب لإجتماع إرادتي الحركة والسكون لشيء واحدٍ في حالةٍ واحدة، ومحال وجود السكون في حال إرادته الحركة، فيبطل جواز امتناع الإنسان مما قد فعل الإرادة له على ما شرحناه.

مسألة إن قال قائل: إذا كنتم تقولون أن إرادة الله تعالى لفعله هي نفس ذلك الفعل، ولا تثبتون له إرادة غير المراد، فما معنى قولكم أراد الله بهذا الخبر كذا، ولم يرد كذا، وأراد العموم ولم يرد الخصوص، وأراد الخصوص ولم يرد العموم؟

جواب قيل له معنى ذلك أن في المقدور أخباراً كثيرة عن أشياء مختلفة، فقولنا أراد كذا ولم يرد كذا، فهو أنه فعل الخير الذي هو عن كذا، ولم يفعل الخير الذي هو عن كذا، وفعل القول الذي يفهم منه كذا، ولم يفعل[1] القول الذي يفهم منه كذا.

وهذا كقولنا: إنا إذا قلنا: الحمد لله رب العالمين وأردنا القول كان ذلك قرآناً، وإذا أردنا أن يكون منا شكر لله تعالى كان كذلك.

فانا لسنا نريد أن قولاً واحداً ينقلب بإرادتنا قرآناً إن جعلناه قرآناً، ويكون كلامنا إن جعلناه لنا كلاماً، وإنما معناه أن في مقدورنا كلامين نفعل هذا مرة وهذا مرة.

فإن قال: فكان من قولكم أن (الحمد لله رب العالمين) إذا أردتم به القرآن يكون مقدوراً لكم.

قلنا: هذا كلام في الحكاية والمحكي، وله باب يختص به، وسنورد إن شاء الله تعالى طرفاً منه.

فصل: فأما إرادة الله تعالى لأفعال خلقه فهي أمره لهم بالأفعال، ووصفنا له بأنه يريد منهم كذا إنما هو استعارة ومجاز، وكذلك كل من وصف بأنه مريد

---

(١) في النسخة (ولم يفهم) وهي خطأ من الناسخ والصواب ما ذكرناه.

لما ليس من فعله تعالى بطريق الإستعارة والمجاز. وقول القائل: يريد مني فلان المصير إليه إنما معناه أنه يأمرني بذلك ويأخذني به، وأرادني فلان على كذا أي أمرني به، فقولنا: إن الله يريد من عباده الطاعة إنما معناه أنه يأمرهم بها.

وقد تعبر بالإرادة عن التمني والشهوة مجازاً وإتساعاً، فيقول الإنسان أنا أُريد أن يكون كذا أي أتمناه، وهذا الذي كنت أُريد أن يكون كذا أي أتمناه، وهذا الذي كنت أُريده أي اشتهيه وتميل نفسي إليه.

والإستعارات في الإرادات كثيرة، فأما كراهة الله تعالى للشيء فهو نهيه عنه، وذلك مجاز كالإرادة فاعلمه.

القول في الغضب والرضا

وهاتان صفتان لا تصح حقيقتها إلا في المخلوق، لأن الغضب هو نفور الطباع، والرضا ميلها وسكون النفس، ووصف الله تعالى بالغضب والرضا إنما هو مجاز، والمراد بذلك ثوابه وعقابه،[1] فرضاه وجود ثوابه، وغضبه وجود عقابه، فإذا قلنا رضي الله عنه فإنما نعني أثابه الله تعالى، وإذا قلنا غضب الله عليه فإنما نريد عاقبه الله، فإذا علّق الغضب والرضا بأفعال العبد فالمراد بها الأمر والنهي، نقول إن الله يرضى الطاعة بمعنى يأمر بها، ويغضب من المعصية بمعنى ينهي عنها.

القول في الحب والبغض

وهاتان الصفتان انما يوصف الله تعالى بها مجازاً، لأن المحبة في الحقيقة ارتياح النفس إلى المحبوب، والبغض ضد ذلك من الأوزاع والتنفر الذي لا يجوز على القديم، فإذا قلنا إن الله عز وجل يحب المؤمن ويبغض الكافر فإنما نريد بذلك أنه ينعّم على المؤمن ويعذب الكافر، وإذا قلنا إنه يحب من عباده

---

(١) وبهذا المعنى وردت عدة أحاديث منها ما في حديث هشام بن الحكم عن الصادق (ع): قال (ع) من حديثه: فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، التوحيد للصدوق ص١٦٠).

الطاعة، ويبغض منهم المعصية جرى ذلك مجرى الأمر والنهي أيضاً على المعنى الذي قدمنا في الغضب والرضا.

القول في سميع وبصير

أعلم أن السميع في الحقيقة هو مدرك الأصوات بحاسة سمعه، والبصير هو مدرك المبصرات بحاسة بصره، وهاتان صفتان لا يقال حقيقتها في الله تعالى، لأنه يدرك جميع المدركات بغير حواس ولا آلات، فقولنا: إنه سميع إنما معناه لا تخفي عليه المسموعات، وقولنا: بصير معناه أنه لا يغيب عنه شيء من المبصرات، وأنه يعلم الأشياء على حقائقها بنفسه لا بسمعٍ وبصر، ولا بمعانٍ زائدة على معنى العلم:

وقد جاءت الآثار عن الأئمة عليهم السلام بما يؤكد ما ذكرناه.

قال المفيد رضوان الله عليه:

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن محمد بن عيسى عن حماد بن حريز عن محمد بن مسلم الثقفي قال: قالت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: إن قوماً من أهل العراق يزعمون أن الله تعالى سميع بصير كما يعقلونه، قال: فقال: الله تعالى إنما يعقل ذلك فيما كان بصفة المخلوق، وليس الله تعالى كذلك.

وبإسناده عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد مرسلاً عن الرضا عليه السلام: أنه قال في كلام له في التوحيد، وصفة الله تعالى كذلك: بأنه سميع إخبار بأنه تعالى لا يخفي عليه شيء من الأصوات، وليس على معنى تسميتنا بذلك، وكذلك قولنا بصير، فقد جمعنا الإسم، واختلف فينا المعنى، وقولنا أيضاً مدرك وراءٍ لا يتعدى به معنى عالم، فقولنا راءٍ معناه عالم بجميع المرئيات، وقولنا مدرك معناه عالم بجميع المدركات، فهذه صفات المجازات والحمد لله.

القول في الخالق

اعلم أن حقيقة الخالق في لغة العرب هو المقدر للشيء قبل فعل المُروِّى

المفكّر فيه، قال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان.[1]

ولأنـت تفري مـا خلقـت   وبعـض القوم يخلق ثم لا يفري

وقال الحجاج بن يوسف[2]:

«إني لا أعِدُ إلا وفيت، ولا أخلق إلاّ فريت».

والشواهد في هذا كثيرة.

وإذا كان هذا حقيقة الخالق، أعلم إن وصف الله تعالى به اتساع وتجوّز، والمراد به فاعل، لأن الله تعالى لا يصح أن يقدر برويّ وتفكر.

(فصل في صفة أهل الإيمان)

في كتاب المحاسن للبرقي[3] قال مَرَّ أمير المؤمنين (ع) بمجلسٍ من مجالس قرش، فإذا هو بقوم بيضٍ ثيابهم، صافيةٍ ألوانهم، كثيرٍ ضحكهم، يشيرون بأصابعهم إلى من مر بهم. ثم مرّ بمجلس للأوس والخزرج، فإذا هو بقوم بليت منهم الأبدان، ورقّت منهم الرقاب، واصفرت منهم الألوان، قد تواضعوا بالكلام، فتعجب أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك، ودخل على رسول الله

---

(١) زهير بن أبي سلمى من الشعراء الجاهليين المتقدمين ومن أصحاب المعلقات المعروفة، وهو صاحب المعلقة التي أولها:

أمن أم أوفـى دمنـة لم تكـلم   بحومانـة الـدراج فالمتثـلم

وهو ممن كان يتأله في شعره من الجاهلين، ويكاد يكون مدحه وقفاً على هرم بن سنان المري، والبيت الذي استشهد به المؤلف هو من قصيدة أولها:

لمن الديـار بقنّـة الحجر   أقوين من حجـجٍ ومن شهر

وتوفي عام ١٤ قبل الهجرة وعام ٦٠٨م

(٢) هو من أعاظم رجال الأمويين وقوادهم، ومن جبابرة القواد وطغاتهم ولولاه لانهار ملك بني مروان، ولما قامت لهم قائمة، توفي بواسط المدينة التي بناها سنة ٨٣هـ وكانت وفاته سنة (٩٥هـ) و٧١٣م.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي القمي توفي سنة (٢٧٤هـ) أو (٢٨٠هـ) من أعلام الإمامية في الآثار والأحاديث، وكتابه المحاسن يحتوي على ثمانين كتاباً وله سواه كتب عديدة.

صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله مررت بمجلس لآل فلان ثم وصفهم، ثم قال: وجميعٌ مؤمنون، فأخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن فنكس. رسول الله (ص) رأسه، ثم رفعه، فقال:

«عشرون خصلة في المؤمن، من لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إن من أخلاق المؤمن يا علي، الحاضرون الصلاة، والسارعون إلى الزكاة، والمطعمون المساكين، والماسحون رأس اليتيم، والمطهرون أظفارهم، والمتزرون على أوساطهم، الذين إن حدثوا لم يكذبوا، وإن وعدوا لم يخلفوا، وإن تمنّوا لم يخونوا، وإن تكلموا صدقوا، رهبان بالليل، أُسد بالنهار، صائمون النهار، قائمون الليل، لا يؤذون جاراً، ولا يتأذى بهم جار، الذين مشيهم على الأرض هوناً، وخطاهم إلى المساجد وإلى بيوت الأرامل وعلى أثر المقابر، جعلنا الله وإياكم المتقين».

أخبرني أبو الرجا محمد بن علي بن طالب البلدي، قال أخبرني أبو المفضل محمد بن عبدالله بن محمد بن المطلب الشيباني الكوفي(1) قال حدثنا عبدالله بن جعفر بن حجاب الأزدي بالكوفة، قال حدثني خالد بن يزيد بن محمد الثقفي، قال حدثني أبي خالد، قال حدثني حنان بن سدير عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال قال علي عليه السلام لمولاه نوف الشامي، وهو معه في السطع(2):

---

(1) ينتهي نسبه إلى ذهل بن شيباني أصله من الكوفة، قضى عمره في طلب الحديث توفي سنة ٣٨٧هـ قال النجاشي عنه: كان في أول أمره ثبتاً ثم خلط ورأيت جل أصحابنا يغمزونه ويضعفونه، ويكثر محمد بن علي الحزاز في كتابه كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر، الرواية عنه، وكذا الصدوق وخاصة في كتابه كمال الدين وتمام النعمة. وللشيباني مؤلفات منها مزار أمير المؤمنين (ع) وكتاب مزار الحسين (ع) وكتاب من روى حديث غدير خم.

(2) لعله السطح لكن في النهج قال: وقد خرج ذات ليلة وهو ينظر إلى النجوم وهذا الحديث مروي في النهج وفي أمالي المفيد ص ٧٨ وفي تاريخ بغداد للخطيب م٧ ص١٦٢ وفي مروج =

«يا نوف أرامق أم نبهان؟ قال: نبهان أرمقك يا أمير المؤمنين، قال هل تدري مَن شيعتي؟ قال: لا والله، قال: شيعتي الذبل الشفاء، الخمص البطون، الذين تعرف الرهبانية والربّانيّة في وجوههم، رهبان بالليل، أُسد بالنهار، الذين إذا جنهم الليل اتزروا على أوساطهم، وارتدوا على أطرافهم، وصفوا أقدامهم، وافترشوا جباههم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم، وأما النهار فحلماء علماء كرام نجباء أبرار أتقياء، يا نوف، شيعتي الذين اتخذوا الأرض بساطاً، والماء طيباً، والقرآن شعاراً، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، شيعتي من لم يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولم يسأل الناس ولو مات جوعاً، إن رأى مؤمناً أكرمه، وإن رأى فاسقاً هجره. هؤلاء والله يا نوف شيعتي، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، اختلفت بهم الأبدان ولم تختلف قلوبهم.

قال: قلت يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك، أين أطلب هؤلاء، فقال لي في أطراف الأرض. يا نوف، يجيئ النبي (ص) يوم القيامة آخذاً بحجزة ربه جلت أسماؤه، يعني يحمل الدين وحجزة الدين، وأنا آخذ بحجزته، وأهل بيتي آخذون بحجزتي، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فإلى أين؟ إلى الجنة ورب الكعبة، قالها ثلاثاً».

وأخبرني أيضاً أبو الرجا محمد بن علي بن طالب الرازي، قال أخبرني أبو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن المطلب الشيباني، قال حدثني أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر العلوي الحسني، قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى الوابشي، قال حدثني عاصم بن حميد الخياط.

قال أبو المفضل الشيباني: وحدثنا محمد بن علي بن أحمد بن عامر البندار

= الذهب ج٤ ص ١٩٣ وفي حلية الأدلياء ج١ ص ٧٩، وفي الخصال للصدوق القمي ج١ ص ٢٩٩. ونوف هو نوف البكالي والراوي عنه هو أبو عبد الله الشامي كما في معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٢٧.

بالكوفة من أصل كتابه، وهذا الحديث بلفظه وهو أتم سياقة، قال حدثنا الحسن بن علي بن بزيع، قال حدثنا مالك بن إبراهيم بن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن رجل من قومه، يعني يحيى بن أم الطويل، أنه أخبره عن نوف البكالي قال: عرضت لي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حاجة، فاستبعثت إليه جندب بن زهير والربيع بن خيثم وابن أخيه همام بن عبادة بن خيثم، وكان من أصحاب البرانس، فأقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين (ع)، فألفيناه حين خرج يؤم المسجد، فأفضى ونحن معه إلى نفرٍ متدينين قد أفاضوا في الأحدوثات تفكها، وبعضهم يلهي بعضاً، فلما أشرف لهم أمير المؤمنين (ع) أسرعوا إليه قياماً، فسلموا ورد التحية. ثم قال: من القوم؟ فقالوا: أُناس من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم: خُباً.

ثم قال: يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم شيمة شيعتنا وحلية أحبتنا أهل البيت؟

فأمسك القوم حياءً. قال نوف: فأقبل عليه جندب والربيع فقالا: ما سمة شيعتكم وصفتهم يا أمير المؤمنين؟ فتثاقل عن جوابها، فقال: اتقيا الله أيها الرجلان وأحسنا، «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» النحل: ١١٨

فقال همام بن عبادة وكان عابداً مجتهداً:

أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم وفضلكم تفضيلاً، إلا أنبأتنا بصفة شيعتكم، فقال: لا تقسم، فسأنبئكم جميعاً.

وأخذ بيد همام فدخل المسجد فسبح ركعتين وأوجزهما وأكملهما، ثم جلس وأقبل علينا، وحف القوم به، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

«أما بعد فإن الله جل شأنه وتقدست أسماؤه خلق خلقه، فألزمهم عبادته، وكلفهم طاعته، وقسم بينهم معائشهم، ووضعهم في الدنيا بحيث وضعهم، ووصفهم في الدين بحيث وصفهم. وهو في ذلك غني عنهم، لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه منهم، لكنه تعالى علم قصورهم عما يصلح

عليه شؤونهم، ويستقيم به أودهم وهم في عاجلهم، وآجلهم، فأدبهم بإذنه في أمره ونهيه، فأمرهم تخييراً وكلفهم يسيراً، وأماز سبحانه بعدل حكمه، وحكمته بين الموجف من انامه إلى مرضاته ومحبته، وبين المبطيء عنها، والمستظهر على نعمته منهم، بمعصيته فذلك قول الله عز وجل (أم حسب الذين اجترحوا السيئآت أن نجعلهم، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم، ومماتهم ساء ما يحكمون).

ثم وضع أمير المؤمنين (صلى الله عليه) يده على منكب همام بن عبادة، فقال: ألا من سأل من شيعة أهل البيت، الذين اذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم في كتابه مع نبيه تطهيراً، فهم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل والفواضل، منطقهم الصواب، وملبسهم الإقتصاد، ومشيهم التواضع، وبخعوا لله بطاعته، وخضعوا له بعبادته، فمضوا غاضين أبصارهم عما حرّم الله عليهم، واقفين اسماعهم على العلم بدينهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء، كالذين نزلت منهم في الرخاء رضىً عن الله بالقضاء، فلولا الأجال التي كتب الله لهم، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم، طرفة عين، شوقاً إلى لقاء الله، والثواب، خوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم، وصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة، كمن رآها، فهم على آرائكها متكئون، وهم والنار، كمن دخلها، فهم فيها يعذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، وأجسادهم لحيفة، وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، ومعرفتهم في الإسلام عظيمة، صبروا أياماً قليلة، فأعقبتهم راحة طويلة، وتجارة مربحة، يسرها لهم رب كريم، أناس أكياس، ارادتهم الدنيا، فلم يريدوها، وطلبتهم فأعجزوها.

أما الليل فصافون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلاً، يعظون أنفسهم، بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة، يفترشون جباههم وأكفهم، وركبهم، وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، ويمجدون جباراً عظيماً، ويجأرون إليه، جل جلاله، في فاك رقابهم هذا ليلهم، فأما نهارهم، فحلماء علماء بررة أتقياء، براهم خوف بارئهم فهم أمثال القداح يحسبهم الناظر إليهم مرضى، وما بالقوم من مرض، أو خولطوا وقد خالط القوم من عظمة ربهم

وشدة سلطانه، أمر عظيم، طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى، بالأعمال الزاكية لا يرضون بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل فهم منهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون إن ذكر أحدهم خاف مما يقولون، وقال انا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي، اللهم لا تؤاخذني، بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، فإنك علام الغيوب، وساتر العيوب. هذا، ومن علامة أحدهم، أن ترى لـه قوة في دين وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً على علم، وفهماً في فقه، وعلماً في حلم، وكيساً في رفق، وقصداً في غنى، وتحملاً في فاقه، وصبراً في شدة، وخشوعاً في عباده، ورحمة للمجهود، وإعطاءٍ في حق، ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال، وتعففاً في طمع، وطمعاً في غير طبع أي دنس، ونشاطاً في هدى، واعتصاماً في شهوة، وبراً في استقامة، لا يغيره ما جهله، ولا يدع أحصاء ما عمله، يستبطىء نفسه في العمل، وهو من صالح عمله على وجل، يصبح، وشغله الذكر، ويمسي وهمه الشكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً لما أصاب من الفضل والرحمة، أن استعصبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها، فيما إليه تشره، رغبة فيما يبقى، وزهادة فيما يفنى، قد قرن العمل بالعلم، والعلم بالحلم، يظل دائماً نشاطه بعيداً كسله، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقعاً أجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربه، قانعة نفسه، عازباً جهله، محرزاً دينه، ميتاً داؤه، كاظماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً من جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، ثبتاً صبره، كثيراً ذكره، لا يعمل شيئاً من الخير رياء، وما يتركه حياءً، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان بين الغافلين، كتب في الذاكرين، وان كان مع الذاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه؛ قريب معروفه، صادق قوله، حسن فعله، مقبل خيره، مدبر شره، غائب مكره، في الزلازل وقور، وفي المكارة صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يدعي ما ليس له، ولا يجحد ما عليه، يعترف بالحق، قبل أن يشهد به عليه، لا يضيعُ ما استحفظه، ولا ينايز بالألقاب، ولا يبغي على أحد، ولا يغلبه الحسد. ولا يضارُ بالجار، ولا يشمت بالمصاب، مؤدٍ للأمانات، عامل بالطاعات سريع إلى

الخيرات، بطيء عن المنكرات، يأمر بالمعروف، ويفعله، وينهي عن المنكر ويجتنبه، لا يدخل في الأمور. بجهل، ولا يخرج من الحق بعجز، إن صمت لم يعيه الصمت، وإن نطق لم يعبه اللفظ، وإن ضحك لم يعل به صوته، قانع بالذي قدّر له، لا يجمح به الغيظ، ولا يغلبه الهوى، ولا يقهره الشحُّ، يخالط الناس بعلم، ويفارقهم بسلم، يتكلم ليغنم، ويسأل ليفهم، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أراح الناس من نفسه، وأتعبها لإخوته أن بُغي [عليه] صبر ليكون الله تعالى هو المنتصر، يقتدي بمن سلف، من أهل الخير قبله، فهو قدوة لمن خلف من طالب البرّ بعده،أولئك، عمال لله، ومطايا أمره وطاعته، وسرج أرضه وبريته، أولئك شيعتنا وأحبتنا، ومنّا ومعنا آهاً شوقاً إليهم.

فصاح همام بن عبادة صيحة وقع مغشياً عليه، فحرّكوه فإذن هو قد فارق الدنيا، رحمة الله عليه، فاستعبر الربيع باكياً، وقال، لا سرع ما أودت موعظتك يا أمير المؤمنين با ابن أخي ولوددت أني بمكانه فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها، أما والله لقد كنت أخافها عليه فقال له قائل: فما بالك أنت يا أمير المؤمنين، فقال ويحك أن لكل واحد أجلاً لا يعدوه، وسبباً لن يتجاوزه، فلا تعد بها، فإنما ينفثها على لسانك الشيطان، قال فصلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام عشية ذلك اليوم، وشهد جنازته ونحن معه.

قال الراوي عن نوف، فصرت إلى الربيع بن خيثم فذكرت له ما حدثني نوف، فبكى الربيع حتى كادت نفسه أن تقبض، وقال صدق أخي ان موعظة أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه ذلك مني بمرىء، ومسمع ما ذكرت ما كان من همام بن عبادة، يومئذٍ وأتاني هنيئة الا كدّرها ولا شدة إلا فرّجها[1].

---

(١) هذه الخطبة رواها ابن شعبة الحراني في تحف العقول ص١٠٧ - ١٠٩ وسليم بن قيس الهلالي في كتابه ص١٦٠ - ١٦٤، وأبو جعفر الكليني في أصول الكافي م٢ ص٢٢٦ - ٢٣٠ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص١٣٨ - ١٣٩ وفي نهج البلاغة، وغيرهم، انظر كتابنا مصادر نهج البلاغة ص٢١٢.

فصل:

من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه في الأخوان وآداب الإخوة.

في الإيمان الناس إخوان، فمن كانت إخوانه في غير ذات الله فهي عداوة، وذلك قوله عز وجل:

«الاخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين». الزخرف: ٦٧

من قلّب الأخوان عرف جواهر الرجال.

إمحض أخاك بالنصيحة حسنةً كانت أم قبيحة. ساعده على كل حال، وزل معه حيث زال. لا تطلبن منه المجازاة فإنها من شيم الدناة. إبذل لصديقك كل المودة، ولا تبذل له كل الطمأنينة.

واعطه كل المواساة، ولا تفض إليه بكل الأسرار، توفى الحكمة حقها، والصديق واجبه. لا يكون أخوك أقوى منك على مودته.

البشاشة فخ المودة، والمودة قرابة مستفادة. لا يفسدك الظن على صديق، أصلحه لك اليقين. كفى بك أدباً لنفسك ما كرهته لغيرك. لأخيك عليك مثل الذي لك عليه. لا تُضَيّعَنَّ حق أخيك إتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من ضَيَّعت حقه.

ولا يكن أهلك أشقى الناس بك. اقبل عذر أخيك، وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً.

لا يكلّف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته. لا ترغبَنَّ فيمن زهد فيك، ولا تزهدنَّ فيمن رغب فيك، إذا كان للمخالطة موضع.

لا تكثرنَّ العتاب فإنه يورث الضغينة، ويجرُّ إلى البغيضة، وكثرته من سؤ الأدب. إرحم أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك.

احتمل زلة وليك لوقت وثبة عدوك. من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شأنه.

من كرم المرء بكاه على ما مض من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه.

(فصل مما جاء نظماً في الأخوان)

روى أن الصادق جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام كان يتمثل كثيراً بهذين البيتين:

أخوك الذي لو جئت بالسيف عامداً ... لتضربه لم يستغشك في الود
ولو جئته تدعوه للموت لم يكن ... يردك إبقاء عليك من الود

وقال مسلم بن وابصة:[1]

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأن به من كل فاحشةٍ وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذىً ... ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجرا
إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلةٌ ... فكن أنت محتالاً لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

لغيره:

إذا جمع الفتى حسباً وديناً ... فلا تعدل به أبداً قريناً
ولا تسمح بحظك منه بل كن ... بحظك من مودته ظنينا

لآخر:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي ... وأشرقني على حنقٍ بريقي
غفرت ذنوبه وصفحت عنه ... مخافة أن أعيش بلا صديق[2]

ولآخر:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه، يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهداً كل عثرةٍ ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب[3]

---

(١) هو سالم بن وابصة الأسدي لا مسلم بن وابصة، وهو شاعر إسلامي تابعي، وأبوه وابصة بن سعيد صحابي جليل، ولسالم بن وابصة مقطعات شعرية في حماسة أبي تمام.

(٢) رواهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ج٧ ص١٦ باختلاف كبير.

(٣) في النسخة نقصان وتشويش، وقد صححنا البيتين عن الموشى للوشاء، وعن محاضرات الأدباء للأصفهاني وفي عيون الأخبار ج٧ ص١٦ وهما لكثير.

وقال إياس ابن الفائق:[1]

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا
فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معاً ... كفى بالمات فرقة وتنائيا
إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها ... فقدت صديقي والبلاد كما هيا

وقال حاتم بن عبد الله:[2]

وما أنا بالساعي بفضل زمامها ... لتشرب ما في الحوض قبل الركائب
وما أنا [بالطاوي] حقيقة[3] رحلها ... لأبعثها حقاً وأتركَ صاحبي

لبعضهم:

بدا حين أثرى بإخوانه ... ففتكَّ عنهم شباه العدم
وذكرهم الحزم غِبَّ الأمور ... فبادر قبل انتقال النعم

لغيره:

ألا إن عبد الله لما حوى الغنى ... وصار له من بين إخوانه مال
رأى خلةً منهم يسد بما له ... فساواهم حتى استوت بهم الحال

لموسى بن يقطين:

تتبع إخوانه في البلاد ... فأغنى المقل عن المكثر

ولسليمان بن فلاح:

لي صديق ما مسني عدم ... مذ وقعت عينه على عدم
قام بعذري لما قعدت به ... ونمت عن حاجتي ولم ينم
أغنى وأقنى ولم يسم كرماً ... يقبل كف له ولا قدم

---

(١) هذه الأبيات من شعر حماسة أبي تمام ولم أجد لإياس هذا ترجمة.
(٢) هو حاتم بن عبدالله الطائي من أجواد العرب وقد أصبح بجوده مضرب المثل والبيتان من قصيدة أولها
ومرقبةٍ دون السماء علوتها ... أقلب طرفي في فضاء السباسب
(٣) في ديوان حاتم (حفيبة) وهو الأرجح.

لبشار بن برد، ويكنى أبا معاذ، ويلقب بالمرعث الداعمي.(١)

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاقبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مفارق ذنب مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

لزياد الأعجم:(٢)

أخ لك لا تراه الدهرَ إلا على العلات بَسَّاماً جوادا
أخ لك ليس خلته بمذق إذا ما ماد فقر أخيه عادا

[وله](٣)

إذا كان ذواقاً أخوك من الهوى موجهة في كل فجٍ مذاهبه
فخل له وجه الطريق ولا تكن مطية رَحَّال كثيرٍ مذاهبه
تخاف المنايا أن ترحَّل صاحبي كأن المنايا في المقام تناسبه

ولبشار أيضاً:

خير إخوانك المشارك في المر وأين الشريك في المر أينا
الذي إن شهدت سرك في النا س وإن غبت كان أذناً وعينا
مثل سر العقيان إن مسه النا ر جلاه البلا فازداد زينا

---

(١) هو بشار بن برد مولى بني عقيل وقيل بل لبني سدوس ويكنى أبا معاذ، ويلقب بالمرعث، والمرعث هو الذي جعل في أذنيه الرعاث وهي الأقراط، ولا أعرف سبب نسبته إلى الداعمي، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين، ومن أشعر المحدثين طبعاً واسترسالاً وعمقاً، أتهم بالزندقة، وقتل على ذلك سنة ١٦٧/١٦٨هـ ويشك في صحة هذه التهمة الموجهة، والأرجح أنها سياسية لا عقائدية وخاصة بعد قوله.

إن في البعث والحساب لشغلاً عن وقوفٍ برسم دار محيل

تجد أخباره في كتب الأدب والتاريخ كالأغاني ومعاهد التنصيص وسواها.

(٢) هو زياد بن جابر بن عمرو مولى عبد القيس، كان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه فقيل الأعجم، أصله ومولد ومنشأه اصبهان، ومات بخراسان، أحد الشعراء المجيدين في عهد بني أمية، وله مدائح جياد في المهلب بن أبي صفرة، أخباره موجودة في الأغاني ج١٤ والشعر والشعراء لابن قتيبة.

(٣) كذا في النسخة وهنا سقوط كلمة (وأيضاً) أو كلمة لغيره).

وأنشدت لابن نعمه الخطيب مما قاله في مجلس ابن خالويه:[١]

أيها العالم الذي ملأ الأرض علمه
قلت لما جرحت قلبي بجال تغمه
لا يفر الحوار إن يتوطاه أمه
ولعمري لضمّه كان أحلى وشمه
لا تهجم[٢] على الصديق بشيء يغمه
فإذا احوج[٣] الشجاع[٤] بدا منه سمه

قال وانشد لغيره:

[لا][٥] توردنّ على الصديق من الدعاية ما يغمه
واحذر بوادر طيشه يوماً إذا ما طال حلمه
فالعجل تنطحه على إدسان مس الضرع أمه

---

(١) هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالدية من شيوخ العربية البارزين، دخل بغداد وأخذ من علمائها كابن الأنباري وابن عمر والزاهد وابن دريد والسيرافي وانتقل إلى حلب ولزم سيف الدولة الحمداني، وهو من علماء الشيعة ومؤلفاته كثيرة منها: (كتاب ليس) وهو مبني على أنه ليس في كلام العرب كذا و(كتاب الآل) وعرض فيه للأئمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم، وكتاب في إمامة علي (ع) و(شرح مقصودة ابن دريد)، وأورد السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال دعاءً عن ابن خالدية في أعمال شهر شعبان عن علي (ع)

قال: كان أمير المؤمنين والأئمة (ع) يدعون به في شهر شعبان.

وتوفي في حلب سنة (٣٧٠هـ)

وله شعر منه قوله:

إذا لم يكن صدر المجالس سيد
فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل مالى رأيتك راجلاً
فقلت له من أجل أنك فارس

(٢) هكذا في النسخة والوزن معها غير مستقيم ولعله (لا تهجمن).
(٣) هكذا في النسخة والمعنى معها قلق ولعله في الأصل (أحرج) بدل أحوج.
(٤) الشجاع هو ذكر الحية.
(٥) ليس في الأصل كلمة (لا) وقد وضعناها ليستقيم الوزن والمعنى.

(فصل آخر في ذكر الأخوة والأخوان)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا آخى أحدكم رجلاً فليسأله عن اسمه واسم أبيه وقبيلته ومنزله، فإنه من واجب الحق، وصافي الأخاء، وإلا فهو مودة حمقاء».

وروي ان داود قال لإبنه سليمان عليهما السلام: يا بني لا تستدلنّ بأخ أخاً مستفاداً إما استقام لك، ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد، ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق.

وأُنشد لأمير المؤمنين عليه السلام:

وليس كثيراً ألف خلٍ وصاحبٍ وإن عدواً واحداً لكثير

ورُويَ أن سليمان عليه السلام قال:

لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا من يصاحب، فإنما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، وينسب إلى أصحابه وأخوانه.

ورويَ أنه كانت بين الحسن والحسين صلوات الله عليهما وحشة، فقيل للحسين عليه السلام: لِمَ لا تدخل على أخيك وهو أسن منك؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أيما اثنان جرى بينهما كلام، فطلب أحدهما رضاء صاحبه كان سابقاً له إلى الجنة، فأكره أن[1] أسبق أبا محمد إلى الجنة، فبلغ ذلك[2] الحسن عليه السلام فقام يجر رداءه حتى دخل على الحسين صلوات الله عليهما فاسترضاه.

حدثني الشريف أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن الحسين بن طاهر الحسيني رحمه الله وكتب لي بخطه قال حدثنا عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصلي، قال أخبرنا أحمد بن محمد بن رباح، قال حدثنا محمد بن العباس الحسيني عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني عن صفوان الجمال قال: وقع بين أبي عبد

(١) في النسخة إذا فصوبناها (أن).

(٢) في النسخة زيادة (إلى) والأصوب حذفها.

الله جعفر بن محمد عليهما السلام وبين عبد الله بن الحسن بن الحسين كلام، حتى ارتفع الضوضاء، واجتمع الناس عليهما، فتفرقا عشيتهما تلك، ثم غدوت في حاجةٍ لي، فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام على باب عبد الله بن الحسن، وهو يقول: يا جارية قولي لأبي محمد، هذا جعفر بالباب، قال فخرج عبد الله، فقال يا أبا عبد الله ما بَكَّرَ بك؟ فقال: أبو عبد الله عليه السلام: إني ذكرت آيةً من كتاب الله البارحة، فأقلقتني، قال وما هي؟ فقال: قول الله عز وجل:

«والذي يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» الرعد: ٢١.

فقال عبد الله: صدقت والله يا أبا عبد الله، كأني لم أقرأ هذه الآية قط.

وروي في الكامل أن عبد الله بن علي بن جعفر بن أبي طالب، افتقد صديقاً له من مجلسه، ثم جاءه فقال اين كانت غيبتك؟ قال: خرجت إلى عرضٍ من أعراض المدينة مع صديق لي، فقال له: إن لم تجد من صحبة الرجال بداً فعليك بصحبة من إن صحبته زانك، وإن خفقت له صانك، وإن احتجت إليه [أعانك][1]، وإن رأى منك خلةً سدها، أو حسنةً عدها، أو وعدك لم يحرضك، وإن كثّرت عليه لم يرفضك، وإن سألته أعطاك، وإن أمسكت عنه ابتداك.

وقال بعضهم:

قارب إخوانك في لقائهم تسلم من بوائقهم.

وفي كتب الهند:

ثق بذي العقل والكرم، واطمئن إليه، وواصل غير ذي الكرم واحترس من سيء أخلاقه، وانتفع بعقله، وواصل الكريم غير العاقل وانتفع بكرمه، وانفعه بعقلك، واهرب من اللئيم الأحمق.

وقال آخر:

---

(١) في النسخة مكان كلمة أعانك (مانك).

دع مصارعة أخيك وإن حثّ التراب في فيك.

وقيل:

إياك وطاعة الأسفال فإنه يهجم بصاحبه على مكروه، وإذا صفا لك أخ فكن به أشد ضناً منك بنفائس أموالك. ثم لا يزهدنك فيه أن ترى منه خلقاً تكرهه، فإن نفسك التي هي أخص الأنفس بك لا تطيعك كالمقادة في كل ما تهوى، فكيف تلتمس ذلك من غيرك، وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره، فقد قالت العرب: من لك يوماً بأخيك كله.

ووصف إعرابي رجلاً فقال:

كان والله يتحسّى مرارة الأخوان، ويسقيهم عذبه.

وقيل لخالد بن صفوان[1] أي الأخوان أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي، ويقبل عللي، ويسد خللي.

وسئل رجل عن صديقين له فقال:

أما أحدهما فعلق[2] مصيبة لا تباع، وأما الآخر فعلق مصيبة لا تبتاع.

وكان آخر يقول:

اللهم احفظني من الصديق، فقيل له ولِمَ؟ قال لأني من العدو متحرز، ومن الصديق آمن وأنشد:

احـــذر مودة مـــاذق[3] شاب المرارة بالحـــــلاوة

يحصى العيوب عليك ايام الصداقة للعداوة

وقيل لبعضهم: كم لك من صديق؟ فقال: لا أدري، لأن الدنيا علي مقبلة، فكل من يلقاني يظهر لي الصداقة، وإنما احصيهم إذا ولّت عني.

---

(١) هو خالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم من الخطباء البلغاء وهو معدود في البخلاء توفي في عهد السفاح سنة ١٣٢هـ- ٧٥٠م.

(٢) هو النفيس من كل شيء، وهو القطعة أيضاً.

(٣) هو من كان وده غير خالص.

وقيل ليحيى بن خالد[1] وهو في الحبس وقد احتاج: لو كتبت إلى فلان فإنه صديقك، فقال: دعوه يكون صديقاً.

لبعضهم:

قد أخلق الدهر ثوب المكرمات فلا   تخلق لوجهك في الحاجات ديباجة
ولا يَغرّنْك إخوان تعدهمُ   أنت العدوُّ لمن كلفته حاجة

لغيره:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها   فحيث ما انقلبت يوماً له انقلبوا
مساعدوه على الدنيا فإن وثبت   يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

لغيره:

هي توبتي من أن أظن جميلا   بأخ ودودٍ أو أعدّ خليلا
كشفت لي الأيام كل خبيئةٍ   فوجدت إخوان الصفاء قليلا
الناس سلمك ما رأوك مسلماً   ورأوا نوالك ظاهراً مبذولا
فإذا امتحنت بمحنةٍ ألفيتهم   سيفاً عليك مع الردى مسلولا

للشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي رحمه الله.

وقد كنت مذلاح المشيب بعارضي   انقرّ[2] عن هذا الورى وأُكشّف
فما إذ عرفت الناس إلا ذمتهم   جزى الله خيراً كل من لست أعرف

ولإبراهيم بن هلال الصابي:

أيا رب كل الناس أبناء علةٍ[3]   أما تغلط الدنيا لنا بصديق
وجوه بها من مضمر الغل شاهد   ذوات أديم في النفاق صفيق[4]
إذا اعترضوا عند اللقاء فإنهم   قذىً لعيون أو شجاً لحلوق
وإن عرضوا[5] برد الوداد وظله   أسروا من الشحناء حر صديق

---

(١) هو يحيى بن خالد البرمكي كان رجل الدولة العباسية عقلاً ورأياً وسياسة وكان إلى هذا من الخطباء البلغاء الأجواد، حبسه الرشيد بعد فتكه بالبرامكة ومات في الحبس سنة ١٩٠هـ.

(٢) في النسخة (انفّر) بدل انقّر

(٣) أي أبناء ضرة.

(٤) الصفيق السميك.

(٥) في النسخة أعرضوا والأوجه ما ذكرناه.

ألا ليتني حيث انتوت أفرخ القطا   بأقصى محلٍ في البلاد سحيق
أخو وجدةٍ قد آنستني كأنثى   بها نازل في معشري وفريقي
فذلك خير للفتى من ثوابه   بسغبةٍ من صاحبٍ ورفيق

لغيره:

اسم الصديق على كثير واقع   وقد اختبرت فما وجدت فتىً يفي
كعجائب البحر التي اسماؤها   مشهورة[1] وشخوصها لم تعرف

لأحمد بن إسماعيل:

مذ سمعنا باسم الصديق فطالبنا   بمعناه فما استفدنا صديقاً
أتراه في الأرض يوجد لكن   نحن لا نهتدي إليه طريقا
أم ترى قولهم صديق مجازاً   لا نرى تحت لفظه تحقيقا

لعبد الملك بن مروان[2]:

صديقك حين تستغني كثير   ومالك عند فقرك من صديق
فلا تأسف على أحدٍ إذا ما   لهى عنك الزيارة وقت ضيق

لبعضهم:

هو خـــــل ولكن   لعن الله ولكن
لفظة في ضمنها السوء   تحامي في أماكن

« مسألة فقهية »

رجل صحيح دخل على مريض، فقال له: أوصى فقال: بما أوصى. وإنما يرثني زوجتاك واختاك وعمتاك وخالتاك وجدتاك، وفي ذلك يقول الشاعر:

أتيت الوليد ضحىً عائداً   وقد خامر القلب منه السقاما
فقلت له أوصِ فيما تركت   فقال ألا قد كفيت الكلاما
ففي عمتيك وفي جدتيك   وفي خالتيك تركت السواما

---

(١) في النسخة معروفة مشهورة.

(٢) هو أحد ملوك بني أمية، وهو الذي وطد حكمهم وقضى على عبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث وعلى عمرو بن سعيد الاشدق، كان معروفاً بالحزم والحنكة ولد سنة ٢٦هـ وتوفي سنة ٨٦هـ.

وزوجـــــاك حقها ثابـــــت واختـــاك منـــه تحوز التامـــا
هنالـــك يـــا بن أبي خالـــدٍ ظفرت بعشر حويـــت السهامـــا

الجواب

هذا المريض تزوج جدتي الصحيح أم أمه وأم أبيه، فأولد كل واحدةٍ منها ابنتين، فابتناه من جدته أم أمه خالتا الصحيح[1]، وتزوج الصحيح جدتي المريض أم أبيه وأم أمه، وتزوج أبو المريض أم الصحيح، فاولدها ابنتين، فقد ترك المريض أربع بنات، وهما عمتا الصحيح وخالتاه، وترك جدتيه وهما زوجتا الصحيح، وترك امرأتيه وهما جدتا الصحيح، وترك أختيه لأبيه، وهما اختا الصحيح لأمه. فلبناته الثلثان، ولزوجته الثمن، ولجدتيه السدس، ولاختيه لأبيه ما بقي.

وهذه القسمة على مذهب العامة دون الخاصة[2].

شبهة المجبِّرة

استدل المجبرة على أن الإيمان فعل الله تعالى، أن قالت: قد قال الله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم)[3]، ولا شك انه أراد بذلك تعليمنا سؤاله، فلا تخلو هذه الهداية التي تسأل فيها من حالتي: إما أن [تكون] الدلالة على ما يقولون، وإما أن يكون الايمان على نقول.

وزعموا أنها لا تصح أن تكون الدلالة لأن الله عز وجل قد فعلها. قالوا: ولا يجوز أن تسأله في فعل ما قد فعله، وإذا لم يصح أن يكون السؤال في الدلالة، فما هو إلا في أن يفعل لنا الايمان فنكون بفعله مهتدين.

---

(١) هنا كما يبدو قد سقط بيان نسبة البنتين المولودتين من أم أبيه، وهما يكونان عمتي الصحيح.

(٢) لأنه لا يرث في مذهب الإمامية في مثل هذه المسألة إلا بنات الميت وزوجتاه أما جدتاه وأختاه فلا ارث لها هنا.

(٣) سورة الفاتحة آية ٦.

نقض عليهم

أما قولهم ان هذه الهداية المسئول فيها لا تخلو في حالتين إما أن تكون الدلالة وإما ان يكون الإيمان فخطأ، لأنها قد تحتمل غير ذلك، ويجوز أن يكون المراد بها فعل الألطاف التي إذا فعلها الله تعالى ازداد بها الصدر إنشراحاً للإيمان، ولا تكون هذه الألطاف إلا لمن آمن واهتدى، وقد تكون الألطاف هداية، قال الله تعالى:

(والذين اهتدوا زادهم هدى) محمد: ١٧

وأما قولهم إنها لا تجوز أن تكون الدلالة فخطأ، لأن الدلالة وإن كان الله قد فعلها وأزاح علل المكلفين بإقامتها، فإنه قد يصح أن تسأله في الزيادة فيها، وأن يقوي خواطرنا بالتيسير لنا إدراك ادلةٍ أُخرى بعدها.

ولا شِبهةٍ في أن ترادف الأدلة زيادة في الهدى.

وأما قولهم إنه لا يجوز سؤال الله تعالى في فعل ما قد فعله فخطأ أيضاً.

وقد يصح أن نسأل الله سبحانه في فعل ما فعله، وفي أن لا يفعل ما يجوز أن فعله.

وقد علَّمنا ذلك في كتابه وندبنا إلى ما فعله عبادة تعبدّنا بها ومصلحة هدانا إليها فقال سبحانه حاكياً عن ملائكته (اغفر للذين تابوا وتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) غافر: ٧

ولا شك أنه قد فعل ذلك بهم قبل المسألة منهم.

وكقوله: (رب احكم بالحق)
ونحن نعلم أنه لا يحكم إلا به

وكذلك ما تعبدنا به منى من سؤاله أن تصلي على أنبيائه ورسله مع علمنا أنه قد صلى عليهم ورفع أقدارهم.

وحكى لنا سؤال إبراهيم خليله (ﷺ) في قوله: (ولا تخزني في يوم يبعثون) الشعراء: ٨٧، وهو يعلم أنه لا يخزيه.

وعلمنا سبحانه كيف تقول: (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)، ونحن نعلم أنه لا يكلف عباده ما لا يطيقون.

وقد شهد بذلك قوله عز وجل:

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة: ٢٨٦.

وإنما جازت العبادة بذلك ونحوه لما فيه من التذلل والخضوع والاستكانة والخشوع، فيجوز على هذا الوجه أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، بمعنى يدلنا عليه، وإن كان قد دل وهدى جميع المكلفين، قال الله تعالى:

(وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى). فصلت: ١٧.

مسألة لهم

قالت المجبرة ما معنى قول الله تعالى:

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وكيف يجوز أن يتعبدنا بالدعاء، وعندكم أن النسيان من فعله سبحانه، ولا تكليف على الناس في حال نسيانه.

جواب

يقال للمجبرة لسنا نحيل أن يكون المراد من النسيان المذكور في هذه الآية السهو وفقد العلم، ويكون وجه الدعاء إلى الله تعالى بترك المؤاخذة عليه جارياً مجرى ما تقدم ذكره من الإنقطاع إليه، وإظهار الفقر إلى مسألته) والاستعانة به، وإن كان مأموناً منه في المؤاخذة بمثله، على المعنى الذي أوضحنا قبل هذه المسألة، ويجوز أيضاً أن نحمل النسيان المذكور فيها على أن المراد به الترك كما قال سبحانه: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبلُ فنسي) طه: ١١٥.

أي فترك، ولولا ذلك لم يكن فعله معصية كقوله تعالى: (نسوا الله فنسيهم) أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته، وقد يقول الرّجل لصاحبه: لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها.

وأنشد أبو عرفه:

ولم أك عند الجود للجود قالياً ... ولا كنت يوم الروع للطعن ناسياً

يعني تاركاً:

ويشهد بصحة ذلك قول الله عز وجل:
(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم). البقرة: ٤٤ بمعنى وتتركون أنفسكم.

فصل:

من الفرق بين مذهبنا ومذهب المجبرة في الأفعال. التي نعتقدها.(١)

أن الله تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم إلا على ما يفعلون.

وأن الإيمان فعل المؤمن. وأن الكفر فعل الكافر.

وتزعم المجبرة: أن الله تعالى يكلف العبد ما لا يطيقه، ويأمره بما لا يقدر عليه ولا يتأتى منه، ويثيبه ويعاقبه على ما لم يفعله والإيمان والكفر فعلان لله تعالى.

ونعتقد أن القدرة التي أعطاها الله تعالى للعبد هي قدرة على الإ يمان والكفر وأنه يفعل بها أيهما شاء باختياره، ولا يصح أن يفعلها معاً في حال واحدة لتضادهما. فحصل من هذا أن الذي أمره الله بالإيمان ونهاه عن الكفر قادر على ما أمره به ونهاه عنه، وصح أنه سبحانه لا يكلف العبد إلا بما يستطيعه.

وتزعم المجبرة أن القدرة التي اعطاها الله عز وجل للعبد لا تصلح إلا لشيء واحد، إما للإيمان وإما للكفر.

وأن قدرة الإيمان تضاد قدرة الكفر، ولا يصح اجتماعهما معاً.

فالذي معه قدرة الإيمان قد كلف ترك الكفر وهو غير قادر عليه، والذي معه قدرة الكفر قد كلف فعل الإيمان ولا قدرة معه عليه. فحصل من هذا تكليف ما لا يطاق، وإلزام ما لا يستطاع. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ونعتقد أن القدرة على الفعل توجد قبله، وأن الفعل يوجد بعدها،

---

(١) في الأصل نعتقده.

فالمأمور بالإيمان قادر عليه غير فاعلٍ له، وإنما أمر بمعدوم ليوجده وهو يقع ويحصل ثاني وقت القدرة كما قدمناه.

وكذلك المنهي عن الكفر إنما نهي وهو قادر على أن يفعل كفراً يقع منه في ثاني حال قدرته، فإذا كان كافراً وقت قدرته، فكفره ذلك إنما صح منه بقدرةٍ أُخرى تقدمته.

وتزعم المجبرة أن القدرة على الفعل توجد هي والفعل معاً، ولا يتأخر الفعل عنها.

فالمأمور بالإيمان ومعه قدرة عليه إنما أُمر بموجود، والمنهي عن الكفر ومعه قدرة عليه إنما نهي عن موجود، فكأنه قيل للمؤمن افعل ما قد فعلت، والموجود المفعول لا يفعل، وقيل للكافر: لا تفعل ما قد فعلت، وما قد فعل ووجد لا يصلح الإمتناع منه. وهذا تخبيط محكم.

ونعتقد أن القدرة غير موجبةٍ للمقدور ولا حاملة عليه، وأن القادر مُخَيَّر بين أن يفعل الشيء أو ضده بدلاً منه.

وتزعم المجبرة أن القدرة موجبة للمقدور حاملة عليه، ولا يصح وجودها إلا والمقدور معها.

ونعتقد أن المقدور الكائن بالقدرة هو فعل العبد في الحقيقة، سواء كان طاعة أو معصية أو مباحاً، وأن العبد محدث الفعل وموجده.

وتزعم المجبرة أن جميع المقدورات فعل الله تعالى، وهو المحدث لسائر الأفعال في الحقيقة، ولا محدث سواه، ويقولون أن معنى قولنا إن العبد فعل إنما هو اكتسب، فإذا سئلوا عن حقيقة الكسب لم يتحصل منهم فيه فائدة تعقل.

ونعتقد أن الله تعالى لا يريد من العباد إلا الطاعة، وأنه مريد لما أمر به، كاره لما نهى عنه.

وتزعم المجبرة أن الله تعالى يريد من قوم الطاعة ويريد من آخرين معصيته، وأنه قد أمر الكافر بالإيمان ولا يريده منه، فقد أمره بما لا يريد ونهى عما أراد.

ونعتقد أن الله تعالى إذا أراد شيئاً فهو كان يحبه ويرضاه، وإذا كره شيئاً فإنه لا يحبه ولا يرضاه.

وتزعم المجبرة أن الله عز وجل قد يريد شيئاً ويشاؤه ولا يحبه ولا يرضاه، وأنه قد يكره شيئاً ويحبه ويرضاه.

وهذه مناقضة لا تخفي على عاقل.

وكل ما ذهبنا إليه في الأفعال بما وصفناه وعددناه فالمعتزلة توافقنا عليه، وتخالفنا المجبرة فيه. وكل من قال: الله لا يكلف عباده مالا يطيقون ولا يعذبهم على ما لم يفعلوا فهو من أهل العدل، ومن خالف في ذلك فهو من أهل الجور والجبر.

قبح التكليف بما لا يطاق

فصل: من القول في أن الله تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون.

الذي يدل على أن الله تعالى لا يفعل ذلك، أنا وجدنا قد قَبَّحَهُ في عقولنا، لا لعلةٍ من نهي أو غيره، بل جعل العقول شاهدة بأنه قبيح لنفسه. وما كان قبيحاً لنفسه لا للنهي عنه، فلن يجوز أن يفعله فاعل إلا وقد خرج من كونه حكيماً، ولو جاز أن يكلفنا سبحانه وتعالى مالا نطيق، لجاز أن يكلف الأعمى النظر، والأخرس النطق، والزمن[1] العَدْوَ، ولجاز أن يكلف السيد منا عبده ذلك، ويعاقبه على مالا يقدر عليه. وهذا واضح البطلان، فَعُلِمَ أنه لا يكلف أحداً من عباده إلا ما يطيقه ويستطيعه.

فإن قالوا: إن تكليف مالا يطاق قبيح، وهو حسنٌ من خالقنا، لأن الخلقَ خلقُه، والأمَر أمرُه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

قيل لهم: فأجيزوا عليه الإخبار بالكذب، وقولَنا إن ذلك قبيح بيننا، حسن من خالقنا، لأن الخلق خلقه، والأمر أمرُه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(١) الزَمِن هو المقعد الذي لا يستطيع المشي.

فإن اعتقدوا ذلك وجب أن لا يثقوا بشيء مما تضمنه القرآن من الأخبار، وإن امتنعوا طولبوا بعلة الإمتناع.

فمهما قالوه في قبح الإخبار بالكذب من قول، قيل لهم: قد قبح تكليف مالا يطاق مثله.

فأما ما يشهد من القرآن بأن الله تعالى لا يكلف ما لا يطاق، فقوله سبحانه:

(لا يكلف الله نفساً إلا وُسعها) البقرة: ٢٨٦.

وقوله عز وجل:

(لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) الطلاق: ٧

فصل: من القول في أن القدرة على الايمان هي قدرة على الكفر

مما يدل على ذلك أن الكافر مأمور بالإيمان، فلو كانت قدرة الإيمان ليست معه، كان قد كُلِّفَ مالا يطيقه، وقد تقدم القول في فساد هذا.

وإذا كانت معه فلا يجوز أن تكون غير قدرة الكفر الحاصلة له، لما في ذلك من اجتماع الضدين. فعُلِمَ أنها قدرة واحدة تصلح للضدين على أن يفعل بها ما يتعلق به اختيار المكلف منها.

فإن قالوا: إذا كانت قدرة على الضدين، فيجب أن يفعلها معاً.

قيل لهم: لا يجب ذلك، لأن القدرة غير موجبة للفعل، والقادر بها مُخَيَّر غير مجبر.

فإن قالوا: فجوزوا أن يختارهما فيفعلهما.

قيل لهم: هذا غير صحيح ولا جائز، لأن الإختيار هو أن يختار أحدهما على الآخر فيفعله بدلاً منه، ولا يصح ذلك فيهما معاً.

وبعد فهما ضدان، وكل واحدٍ منهما تَرْكٌ لصاحبه، فلا يصح أن يوجدا في حالٍ واحدٍ معاً. وقد أجمع المسلمون على أن الله تعالى يقدر على أن يبقي العبد

على حاله، ويغنيه ويحييه، ويميته، ولا يجوز أن يفعل ذلك أجمع في وقت واحد.

فإن قيل: فإذا كان الله تعالى قد أعطى العبد قدرة، تصلح للكفر، فقد أراد الكفر منه.

قلنا: ليس الأمر كذلك، لأن الله سبحانه إنما أعطاه القدرة ليطيع بها مختاراً، فلو كانت لا تصلح إلا للطاعة، لكان في فعلها مضطراً. ومثل القدرة كمثل السيف الذي يعطيه السيد لعبده ليقتل به أعدائه، وهو يصلح أن يقتل به أولياءه، وكالدراهم التي تصلح أن تنفق في الطاعة والمعصية، ويدفع إلى من ينفقها في الطاعة، وينفقها في المعصية. والقدرة معنى تحل[1] القادر، يصح به الفعل، وهي القوة، وهي أيضاً الإستطاعة.

فصل من القول في أن القدرة على الفعل توجد قبله

الدليل على أن القدرة متقدمة في الوجود للفعل أنها يحتاج إليها ليحدث بها الفعل، ويخرج بها من العدم إلى الوجود. فمتى وجدت والفعل موجود، فقد وجدت في الإستغناء عنه.[2]

ومما يدل على تقدمها، أنها لو كانت مع الفعل، كان الكافر غير قادرٍ على الإيمان، لأنه لو قدر عليه لكان موجوداً منه على هذا المذهب، فكأن يكون مؤمناً في حال كفره، وهذا فاسد.

ولو لم يكن قادراً على الإيمان لَما حسن أن يؤمر به ويعاقب على تركه، لما قدمناه من قبح تكليف ما لا يطاق وبطلانه.

وقد قال أصحابنا مؤكدين القول بتقدُّم القدرة على الفعل فيمن كان في يده شيء فألقاه، إن استطاعة الإلقاء لا تخلو من حالتين: إما أن تأتيه والشيء في يده، أو تأتيه وهو خارج عن يده، فإن كانت تأتيه والشيء في يده، فقد صح

(١) هكذا في النسخة

(٢) هذا بيان لعدم صحة القول بمقارنة القدرة للمقدور.

تقدم القدرة على الإلقاء، وهو الذي قلنا، وإن كانت تأتيه والشيء خارج عن يده، ملقى عنها، فقد أتت في حال الغنى عنها.

وفي ذلك أيضاً أنه قد قدر على أن يلقي ما ليس في يده، وهذا محال. وليس بين كون الشيء في يده، وكونه خارجاً عنها واسطة ومنزلة ثالثة.

وقد قال أهل العلم أيضاً:

لو كانت القدرة والفعل يوجدان معاً، ولا يصح غير هذا، لم تكن القدرة المؤثرة فيه بأولى من أن يكون هو المؤثر فيها.

وقالوا: ولو كان لا يصح وجود القدرة حتى يوجد الفعل، كما لا يصح وجود الفعل حتى توجد القدرة، لكان لا يصح أن يوجدا.[١]

حدثني شيخي رحمه الله[٢]:

إن متكلمين أحدهما عدلي، والآخر جبري، كانا كثيراً ما يتكلمان في هذه المسألة، وإن الجبري أتى منزل العدلي، فدَقَّ عليه الباب، فقال العدل من ذا؟ قال: أنا فلان، قال له العدلي: أدخل، قال له الجبري: افتح لي حتى أدخل، قال العدلي: ادخل حتى أفتح، فأنكر هذا عليه وقال له: لا يصح دخولي حتى يتقدم الفتح. فوافقه على قوله في القدرة والفعل، وأعلمه بذلك وجوب تقدمها عليه، فانتقل الجبري عن مذهبه وصار إلى الحق.

فصل: من القول في أن القدرة غير موجبةٍ للفعل

الدليل على أنها غير موجبةٍ ما قدمناه، من أنها قدرة على الضدين، فلو كانت موجبةً لأوجبتها فأدَّى ذلك إلى المحال، وكون المكلف حاضراً ومسافراً في حالٍ، ومتحركاً ساكناً في حال.

---

(١) وذلك لأن كل واحدٍ من الفعل والقدرة يتوقف وجوده على وجود الآخر المتوقف على نفسه وهو من الدور المحال، وما ترتب على المحال محال.

(٢) المراد به هو الشيخ المفيد.

ولو كانت القدرة أيضاً موجبة، لكان القادر بها مضطراً، ويخرج من كونه مختاراً. والمضطر لا معنى لتوجه الأمر والنهي إليه، ولا يحسن ثوابه وعقابه على أمرٍ هو مضطر فيه

[أفعال الإنسان]

فصل: من القول في أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد وأنها فعلٌ لهم على سبيل الإحداث والإيجاد.

الدليل على أنه سبحانه لم يفعلها أن فيها قبايح، من كفرٍ وفسقٍ، وظلم، وكذب، وليس بحكيم من فعل القبائح. ولا يجوز من الحكيم أيضاً سب نفسه وسوء الثناء عليه.

ثم نحن نعلم أن من فعل شيئاً اشتق له إسم من فعله، كما يقال فمن فعل الحركة أنه متحرك، ومن فعل السكون أنه ساكن، ومن فعل الضرب ضارب، ومن فعل القتل قاتل. فلو كان الله تعالى هو الفاعل لأفعالنا والخالق لها دوننا، لوجب أن يسمى بها الله عز وجل عن ذلك وتعالى.

والذي يدل على أنها فعل لنا دون غيرنا، وقوعها بحسب تصورنا وإرادتنا، وانتفاء المنفي منها بحسب كراهتنا، وانتظام ما ينتظم منها بحسب مبلغ علومنا، واختلالها بقدر اختلالاتنا.

فلو كانت فعلاً لغيرنا لم يكن الأمر مقصوداً على ما ذكرنا. ونحن قد نفرق- ضرورةً- بين حركةٍ نحدثها في بعض جوارحنا، وبين الرعشة إذا حدثت في عضوٍ منا، ونرى وقوع إحدى الحركتين عن قصد، ووقوع الأُخر بخلاف ذلك، فلسنا نشك في أن إحداهما حادثة منا، وفعل في الحقيقة لنا، وهي الكائنة عن قصدنا.

وشيء آخر: وهو أن الله تغالى خلق فينا الشيب والهرم، والصحة والسقم، ولم يأمرنا بشيء من ذلك، ولا نهانا عنه، ولا مدح الشاب على شبيبته، ولا ذَمَّ الشيخ لشيخوخته، عدلاً منه سبحانه في حكمه. فلو كانت الطاعات والمعاصي

أيضاً من فعله وخلقه، لجرت مجرى ذلك، وقبح أن يأمرنا بطاعة، أو ينهانا عن معصية، ولم يصح على شيء من ذلك مدح ولا ذم، ولا ثواب ولا عقاب، وهذا واضح لمن عقل.

فصل: من القول أن الله تعالى لا يريد من خلقه إلا الطاعة، وأنه كاره للمعاصي كلها.

وأما الذي يدل على أنه سبحانه لا يريد المعاصي والقبائح، ولا يجوز أن يشاء شيئاً منها، وأنه كاره لها، ساخط لجميعها. فهو أنه تعالى نهى عنها، والنهي إنما يكون نهياً بكراهة الناهي للفعل المنهي عنه.

ألا ترى أن لا يجوز أن ينهي إلا عما يكرهه، فلو كان النهي في كونه نهياً غير مفتقرة[1] إلى الكراهية لم يجب ما ذكرناه. لأنه لا فرق بين قول أحدنا لغيره: لا تفعل كذا وكذا ناهياً له، وبين قوله: أنا كاره له، كما لا فرق بين قوله: افعل، أمراً له، وبين قول: أنا مريد منك أن تفعل.

وإذا كان سبحانه كارهاً لجميع المعاصي والقبائح من حيت كونه ناهياً عنها، استحال أن يكون مريداً لها، لاستحالة أن يكون مريداً، كارهاً لأمرٍ واحد على وجهٍ واحد.

ويدل على ذلك أيضاً أنه لو كان مريداً للقبيح لوجب أن يكون على صفة نقصٍ وذمٍ إن كان مريداً له بلا إرادة، وإن كان مريداً بإرادة وجب أن يكون فاعلاً للقبيح، لأن إرادة القبيح قبيحة، ولا يكون كذلك، كما في الشاهد ،كما لا خلاف في قبح الظلم من أحدنا.

وقد دل السمع من ذلك على مثل ما دل عليه العقل، قال الله عز وجل:

(وما الله يريد ظلماً للعباد) غافر: ٣١

وفي موضع آخر:

---

(١) والأولى مفتقر بدل (مفتقرة).

(وما الله يريد ظلماً للعالمين) آل عمران: ١٠٨
وقال الله تعالى:
(كل ذلك كان سيّئه عند ربك مكروهاً) الإسراء: ٣٨
وقال تعالى:
(يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر) البقرة: ١٨٥.
ونعلم أن الكفر أعظم العسر، وقال تعالى:
(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: ٥٦.
فإذا كان خَلَقَهم للعبادة فلا يجوز أن يريد منهم غيرها، وقال:
(ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تشكروا يرضه لكم) الزمر: ٧

إيراد على أهل الجبر

فصل:

وقد سأل أهل العدل الجبرة عن مسألة، ألزموهم بها ما لم يجدوا فيه حيلة.

وذلك أنهم قالوا لهم:

أخبرونا عن رجل نكح إحدى المحرمات عليه بأحد المساجد المعظمة، في نهار شهر رمضان، وهو عالم غير جاهل، أتقولون إن الله تعالى أراد منه هذا الفعل على هذه الصفة؟

قالت الجبرة: بل الله أراده.

قال لهم أهل العدل: أخبرونا عن إبليس اللعين، هل أراد ذلك أم كرهه؟

قالت الجبرة: بلى، هذا إنما يريده إبليس ويؤثره.

قال لهم أهل العدل: فأخبرونا: لو حضر النبي (ص)، وعلم بذلك أكان يريده أم يكرهه؟

قالت الجبرة: بل يكرهه ولا يريده.

قال لهم أهل العدل: فقد لزمكم على هذا أن تثنوا على إبليس اللعين، وتقولوا: إنه محمود لموافقة إرادته لإرادة الله عز وجل. وهذا ما ليس فيه حيلة لكم مع تمسككم بمذهبكم.

[حكاية للمؤلف في مجلس بعض الرؤساء]

وقد كنت أوردت هذه المسألة في مجلس بعض الرؤساء مستظرفاً له بها، وعنده جمع من الناس، فقال رجل ممن كان في المجلس يميل إلى الجبر: إن كان هذه المسألة لا حيلة للمجبرة فيها، فعليكم أنتم أيضاً مسألة لهم أُخرى، لا خلاص لكم مما يلزمكم منها.

فقلت: وما هي؟ قال: يقال لكم إذا كان الله تعالى لا يشاء المعصية، وإبليس يشاؤها، ثم وقعت معصية من المعاصي، فقد لزم من هذا أن تكون مشيئة إبليس غلبت مشيئة رب العالمين.

فقلت: إنما تصح الغلبة عند الضعف وعدم القدرة، ولو كنا نقول إن الله تعالى لا يقدر أن يجبر العبد على الطاعة، ويضطره إليها، ويحيل بينه وبين المعصية بالقسر والإلجاء إلى غيرها، لزمنا ما ذكرت، وإلا بخلاف ذلك. وعندنا أن الله تعالى يقدر أن يجبر عباده، ويضطرهم، ويحيل بينهم وبين ما اختاروه، فليس يلزمنا ما ذكرتم من الغلبة.

وقد أبان الله تعالى فقال:

(ولو شاء ربك لجعل الناس أُمة واحدة) هود: ١١٨

وقال تعالى:

ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها) السجدة: ١٣

وإنما لم يفعل ذلك، لما فيه من الخروج عن سنن التكليف، وبطلان استحقاق العباد للمدح والذم. فتأمل ما ذكرت تجده صحيحاً، فلم يأت بحرفٍ بعد هذا.

جناية المجبرة على الإسلام

فصل: اعلم- أيدك الله تعالى- أن جناية المجبرة على الإسلام كثيرة، وبليتها عظيمة، بحملها المعاصي على الله تعالى، وقولها أنه لا يكون إلا ما أراده الله تعالى، وأنه لا قدرة للكافر على الخلاص من كفره، ولا سبيل للفاسق إلى ترك فسقه، وأن الله تعالى قضى بالمعاصي على قوم، وخلقها لهم، وفعلها فيهم، ليعاقبهم عليها. وقضى بالطاعات على قومٍ، وخلقهم لها، وفعلها فيهم، ليثيبهم عليها.

وهذا الإعتقاد القبيح يسقط عن المكلف الحرص على فعل الطاعة، والإجتهاد والإحتناب عن المعصية، لأنه يرى أن اجتهاده لا ينفع، وحرصه لا يغني، بل لا إجتهاد في الحقيقة ولا حرص، لأنه مفعول فيه غير فاعل، وموجد فيه غير موجد، ومخلوق لشيء لا محيد له عنه، ومسبوق لأمر لا انفصال له منه، فأي خوفٍ مع هذا يقع؟ وأي وعيدٍ معه ينفع. نعوذ بالله مما يقولون، ونبرأ إليه مما يعتقدون. وأُنشدت لبعض أهل العدل شعراً:

سألــــت المخنــــث عن فعلـــه
عـــــلامَ تَخَنَّـــثُ يـــا مـــاذق
فقـــال ابتـــلاني بـــدائي العضـــال
وأسلمـــــني القـــــدر السابـــق
ولُمـــــت الزنـــــاة عـــــلى فعلهم
فقالوا: بهـــــذا قضى الخالـــــق
وقلـــت لآكـــل مـــال اليتـــيم
[ألُوماً][1] وأنـــــت امرؤ فاسق
فقـــــال ولجلـــــج في قولـــــه
أكلـــــت وأطعمـــــني الرازق

---

(١) اضفنا هذه الكلمة لإستقامة الوزن، وهي في النسخة غير موجودة.

وكـــلٌ يحيـــل عـــلى ربـــه
وما فيهم أحـــدٌ صـــادق

التجوز في التعبير بالإستطاعة عن الفعل، وبنفيها عن نفيه

فصل: أعلم أيدك الله تعالى، [أنه] قد يعبر عن نفي الفعل بنفي الإستطاعة توسعاً ومجازاً، فيقال لمن يعلم أنه لا يفعل شيئاً، لثقله على قلبه، ونفور طبعه منه، إنك لا تستطيعه، وإن كان في الحقيقة مستطيعاً له، ويقول أحدنا لمن يعلم أنه يبغضه: إنك لا تستطيع أن تنظر إلي، والمعنى أن ذلك يثقل عليك، ويقال للمريض الذي يجهده الصوم: إنك لا تستطيع الصيام، وهو في الحقيقة يستطيعه، ولكن بمشقةٍ تدخل عليه، وثقل يناله منه.

وعلى هذا المعنى يتأول قول الله جل إسمه فيما حكاه عن العالم الذي تبعه موسى عليه السلام، حيث قال له موسى:

(هل اتبعك على أن تعلمني مما عُلِّمتَ منه رشداً، قال إنك لن تستطيع معي صبراً). الكهف: ٦٦ - ٦٧

المعنى فيه أنك لا تصبر ولا يخف عليك، وأنه يثقل على طبيعتك، فعبَّر عن نفي الصبر بنفي الإستطاعة، وإلا فهو قادر مستطيع، فيدل على ذلك قول موسى عليه السلام في جوابه له:

(ستجدني إن شاء الله صابراً) الكهف: ٦٩.

ولم يقل: إن شاء الله مستطيعاً، ومن حق الجواب أن يطابق السؤال، فدل جوابه على أن الإستطاعة المذكورة في الإبتداء هي عبارة عن الفعل نفسه مجازاً كما ذكرنا.

وقد يستعمل الناس هذا كثيراً، وأُنشده شعراً

أرى شهوات لست أُسطيـــع تركهـــا
وأحـــذر إن واقعتهـــا ضرر الإثم

فـلا النفس تنهـاني وتبصر رشدهـا
وأكره إتيــان العقــاب عــلى عــلم

ولسنا نشك في أن الشاعر عنى بقوله لست أستطيع تركها، أن تركها يثقل عليه، ولا يلاءم طبعه، وأنه لم ينف الإستطاعة في الحقيقة عن نفسه، ولو كان أراد نفيها لم يكن معنى لقوله (واحذر أن واقعتها ضرر الإثم)، وقوله (وأكره اتيان العقاب على علم).

وعلى هذا المعنى يتأول قول الله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) هود: ٢٠

وهو أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى، وكراهتهم تأملها وتدبرها، جروا مجرى من لا يستطيع السمع. كما يقال لمن عُهدَ منه العنـاد واستثقال استماع الحجج والبينات، ما يستطيع استماع الحق، وما يطيق أن يذكر له.

قال الأعشى:(١)

ودع هريرة إن الركــــب مرتحل
وهــل تطيــق وداعـاً أيهـا الرجـل

ونحن نعلم أنه قادر على الوداع، وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والإستثقال، ومعنى قوله: (وما كانوا يبصرون) أن أبصارهم لم تكن نافعة لهم، ولا مجدية عليهم نفعاً، لإعراضهم عن تأمل آيات الله عز وجل وتفهمها، فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه، كما يقال عن المعرض عن الحق، العادل عن تأمله(٢) مالك لا تسمع ولا تعقل.

وقد تأول الشريف المرتضى رحمه الله هذه الآية على وجهٍ آخر(٣)، وهو أن يكون (ما) في قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للنفي، بل تجري مجرى

---

(١) هذا البيت مطلع معلقة الأعشى المشهورة وهو من شعراء الجاهلية المشهورين أدرك الإسلام ولم يسلم توفي سنة (٧) للهجرة و(٦٢٩م) وهو الأعشى ميمون بن قيس ينتهي إلى نزار، ويقال له صناجة العرب لجودة شعره.

(٢) في الأصل تأملها.

(٣) أنظر كلامه على هذه الآية في الآمالي م٢ ص١٦٣- ١٦٧.

قولهم: لا واصلتك ما لاح نجم، (لا أُقيمن على مودتك ما طلعت شمس).

قال الله تعالى:

(يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون). هود: ٢٠.

ويكون المعنى اتصال عذابهم ودوامه ما كانوا أحياءً.

مسألة:

وقد سألت المجبرة عن معنى قول الله تعالى (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) البقرة: ١٨ وظنوا أن لهم في هذه الآية حجة يتشبثون بها.

والجواب: إن ظاهر هذه الآية يقتضي أن المنافقين كانوا بهذه الصفات، ومعلوم من حالهم أنهم كانوا بخلافها، ولا شيء أدل على فساد التعلق بظاهرها من أن يعلم أن العيان بخلاقه، فوجب- ضرورة- صرف الآية عن ظاهرها إلى ما يقتضيه الصواب من تأويلها.

والمراد بها أنهم لما لم ينتفعوا بهذه الحواس والآلات فيما خلقت له، وأنعم عليهم بها لأجله، صاروا كأنهم قد سُلبوها وحُرموها. وهذا مستعمل في الشاهد، يقول أحدنا لغيره وقد بَيَّنَ له الشيء وبالغ في إيضاحه، وهو غير متأمل بوروده: إنك أصم وأعمى فلا تستطيع كذا تسمع [قد ختم][1] على قلبك.

وربما تجاوز ذلك فقال له: إنك ميت لا تفهم ولا تعقل، قال الله تعالى:

(إنك لا تسمع الموتى) النمل: ٨٠.

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي[2]

---

(١) قد أضفنا ما بين القوسين تصحيحاً للتعبير.

(٢) هذا البيت على ما أحفظه لأبي تمام الطائي الشاعر المشهور توفي سنة ٢٣١، وبعد البيت قوله:
ونـاراً إن نفخت بها أضاءت ... ولكن أنـت تنفـخ في رمـاد

شبهة للمجبرة

وقد احتجت في تصحيح قولها أن الله تعالى خلق طائفة من خلقه ليعذبهم، بقوله سبحانه:

(ولقد ذرأنا كثيراً من الجن والانس) الإعراف: ١٧٩.

قالت: فبيّن أنه خلقهم لمجرد العذاب في النار، لا في غيره.

نقض عليهم

يقال لهم: حمل هذه الآية على ظاهرها منافٍ للعدل والحكمة، ومباين لما وصف نفسه به من الرأفة والرحمة، ومناقض لقوله عز وجل:

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: ٥٦.

ولقوله تعالى:

(إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرةً وأصلا). الفتح: ٤٥ - ٤٦.

من ص ٧٧ الى ص ١٨٤

ولقوله سبحانه:

(ليذكّروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) الفرقان: ٥٠

ولقوله جل إسمه:

(أنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الحديد: ٢٥

ولقوله تبارك وتعالى:

(وهو الذي أنزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور) الحديد: ٩

فالواجب ردها إلى ما يلائم هذه الآيات المحكمات، ويوافق الحجج العقلية والبينات.

والوجه في ذلك أن يكون المراد بقوله (ولقد ذرأنا لجهنم) العاقبة، فكأنه قال:

ولقد ذرأناهم، والمعلوم عندنا أن مصيرهم ومآل أمرهم، وعاقبة حالهم، دخول جهنم بسوء اختيارهم، قال الله عز وجل:

(فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَناً) القصص: ٨ والمراد أن ذلك يكون أمرهم، لأنهم ما التقطوه إلا ليسروا به، وكقوله سبحانه:

(وكذالك جعلنا في كل قريةٍ أكابر مجرميها ليمكروا فيها) الأنعام: ١٢٣ [١]

والمراد أن أمرهم يؤول إلى هذه، وعاقبتهم إليه، لا لأن الله عز وجل جعلهم فيها ليعصوا ويمكروا.

وقوله (إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً) وإنما أخبر بذلك عن قاقبتهم.

وهذا ظاهر في اللغة، مستعمل بين أهلها قال الشاعر:

أُمَّ سماكٍ فـــــــلا تجزعي فللموت مــا تلـــد الوالـــدة.

وقال آخر:

فللموت تغـــذوا الوالـــدات سخالهـــا

كما لخراب الـــدور تبـــنى المساكن

وهي لا تغذو أولادها للموت، ولا تبنى المساكن لخرابها، وإنما تبنى لعمارتها وسكناها، وتغذى السخال لمنفعتها ونموها، ولكن لما كانت العاقبة تؤول إلى الموت والخراب جاز أن يقال ذلك.

ومثله قول الآخر:

أموالنـــا لـــذوي المـــيراث نجمعهـــا

ودورنـــا لخراب الدهر نبنيهـــا

والمعنى في هذا كله واحد، والمقصود به العاقبة، وفيما ذكرناه كفاية.

---

(١) وتسمى هذه اللام في مثل هاتين الآيتين في عرف النحاة لام العاقبة.

مسألة لهم أخرى

وقد احتجوا لمذهبهم بقول الله تعالى:

(لا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم، إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون). هود: ٢٤

وقالوا: ظاهر هذه الآية يدل على أن نصح النبي (ص) لا ينفع الكفار الذين أراد الله بهم الكفر والغواية، وهذا خلاف مذهبكم.

نقض عليهم

يقال لهم:

إن الغواية هي الخيبة وحرمان الثواب.

قال الشاعر:

فمن يلـق خـيراً يحمـد النـاس أمره
ومن يغو لا يعـدم عـلى الغي لائمة

فكأنه قال: ولا ينفعكم نصحي إن كنتم مصرين على الكفر الذي يريد الله معه أن يحرمكم الثواب ويخيبكم منه.

وأيضاً: قد سمى الله تعالى العقاب غياً، قال: (فسوف يلقون غياً) مريم: ٥٩

فيكون المعنى على هذا الوجه: إن كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم، فليس ينفعكم نصحي إلا بأن تفعلوا وتتوبوا.

وما قبل الآية يشهد بصحة هذا، وإن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى، فقالوا: يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصاديقين، قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين، ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون. سورة هود: ٣٣- ٣٤

ووجه آخر في الآية

وهو أنه قد كان في قوم نوح طائفة [تقول] بالجبر، فنبههم بهذا القول على فساد مذاهبهم، وقال لهم على طريق الإنكار عليهم، والتعجب من قولهم: إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي، فلا تطلبوا مني نصحاً وأنتم على قولكم لا تنتفعون به.

من هم القدرية؟

(فصل: في معرفة القدرية)

أعلم أنا وجدنا كل فرقةٍ تعرف باسم أو تنعت بنعتٍ فهي ترتضيه ولا تنكره، سواء كان مشتقاً من فعلٍ فعلته، أو قول قالته، أو من اسم مُقدَّم لها تبعته، ولم نجد في أسماء الفرق كلها اسماً ينكره أصحابه، ويتبرأ منه أهله، ولا يعترف أحد به إلا القدرية. فأهل العدل يقولون لأهل الجبر: أنتم القدرية، وأهل الجبر يقولون لأهل العدل: أنتم القدرية.

وإنما تبرأ الجميع من هذا الإسم لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن القدرية، وأخبر أنهم مجوس الأُمة، والأخبار بذلك مشتهرة.

فمنها: ما حدثني به أبو القاسم هبة الله بن ابراهيم بن عمر الصواف بمصر، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي، قال: حدثنا عباس بن محمد الدوسي، قال: حدثنا عثمان بن زفر، قال: حدثنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لكل أُمةٍ مجوس، ومجوس هذه الأُمة القدرية، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم في طريق فالجأوهم إلى ضيقه».

وهذا القول من رسول الله (ص) دلالة لنا على المعرفة بالقدرية، وتمييز لهم من بين الأُمة، لأنهم لم ينعتهم بالمجوسية إلا لموضع المشابهة بينهم وبين المجوس في المقال والإعتقاد. وقد علمنا - بغير شك ولا ارتياب - أن من قول المجوس أن الله تعالى فاعل لجميع ما سر ولَذَّ وأبهج، ومالت إليه الأنفس، واشتهته الطباع،

كائناً ما كان، حتى أنه فاعل الملاهي والأغاني، وكلما دخل في هذا الباب، وهذا مذهب المجبرة بغير خلاف.

ويقول المجوس إن الله تعالى محمود على فعل الخير، وهو لا يقدر على ضده، وإن ابليس مذموم على فعل الشر ولا يقدر على ضده. وهذا بعينه يضاهي قول المجبرة: إن المؤمن محمود على الايمان وهو لا يقدر على ضده، وإن الكافر مذموم على الكفر ولا يقدر على ضده.

وتذهب المجوس إلى القول بتكليف ما لا يطاق، وهو رأيها الذي تدين به في الإعتقاد. ولهم في السنة يوم، يأخذون فيه بقرة، قد زينوها، فيربطون يديها ورجليها أوثق رباط. ثم يقربونها إلى سفح الجبل ويضربونها لتصعد، فإذا رأوا أن قد تعذر عليها ذلك قتلوها، ويسمون هذا اليوم- عيد الباقور-.

وهذا هو مذهب المجبرة في القول بتكليف ما لا يستطاع، فهم مجوس هذه الأمة وقدريتها بما اقتضاه هذا البيان.

وقد قالت العدلية للمجبرة: إن من أدل دليل على أنكم القدرية قولكم: إن جميع أفعال العباد بقدر من الله عز وجل، وإنه الذي قَدّرَ على المؤمن أن يكون مؤمناً، وعلى الكافر أن يكون كافراً، وإنه لا يكون شيء إلا أن يُقدِّره الله تعالى.

قالت المجبرة: بل أنتم أحق بهذا لأنكم نفيتم القدر وجحدتموه، وأنكرتم أن يكون الله سبحانه قَدَّر لعباده ما اكتسبوه.

قالت العدلية: قد غلطتم فيما ذكرتموه، وجرتم فيما قضيتموه، لأن الشيء يجب أن ينسب إلى من أثبته وأوجبه، لا إلى من نفاه وسلبه، ويضاف إلى من أقر به واعتقده، لا إلى من أنكره وجحده، فتأملوا قولنا تعلموا أنكم القدرية دوننا.

تهمة المعتزلة للشيعة بالإرجاء

فصل: وقد ظنت المعتزلة أن الشيعة هم المرجئة، لقولهم: إنا نرجو من الله تعالى العفو عن المؤمن إذا ارتكب معصية ومات قبل أن تقع منه التوبة.

وهذا غلط منهم في التسمية، لأن المرجئة إسم مشتق من الإرجاء، وهو التأخير، يقال لمن أخر أمراً: أَرجأت الأَمر يا رجل فأنت مرجىً، قال الله: (أرجه وأخاه) الإعراف: ١١١أي أخره، وقال تعالى:

(وآخرون مرجون لأمر الله). التوبة: ١٠٦ يعني مؤخرون إلى مشيئته.

وأما الرجاء فإنما يقال منه: رجوت فأنا راج، فيجب أن تكون الشيعة راجية لا مرجئة.

والمرجئة هم الذين أَخروا الأَعمال ولم يعتقدوها من فرائض الايمان، وقد لعنهم النبي عليه السلام فيما وردت به الأخبار.

حدثنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري بمصر سنة ست وعشرين وأربعمائة، قراءة منه علينا، قال: أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن يوسف، قال: حدثنا علي بن محمد بن مهرويه القزويني ببغداد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، قال: حدثنا داود بن سليمان العادي، قال: حدثنا علي بن موسى الرضا، قال:[1] حدثنا أبي الحسين بن علي، قال حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله (ص): صنفان من أُمتي ليس لهم في الآخرة نصيب: المرجئة والقدرية.

أغلاط للمعتزلة

فصل: وأعلم أن المعتزلة لها من الأَغلاط القبيحة، والزلات الفضيحة ما يكثر تعداده. وقد صنف ابن الراوندي[2] كتاب فضائحهم، فأورد فيه جملاً

---

(١) يبدو أن هنا سقطاً في سلسلة السند، وهي: حدثنا أبي موسى بن جعفر قال حدثنا أبي، جعفر بن محمد، قال حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي الخير إلخ.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن اسحاق البغدادي مات سنة ٢٤٥هـ له كتب كثيرة منها: كتاب فضيحة المعتزلة الذي رد عليه ابن الخياط المعتزلي بكتابه الإنتصار وهو يرمي بالزندقة.

من اعتقاداتهم وآراء شيوخهم، مما ينافر العقول، ويضاد شريعة الرسول (ص).

وقد وردت الأخبار بذمهم من أهل البيت، ولعنهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال:

(لعن الله المعتزلة، أرادت أن توحّد فألحدت، ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت).

فمن أقبح ما تعتقده المعتزلة، وتضاهي فيه قول الملحدة، قولهم: إن الأشياء كلها كانت قبل حدوثها أشياءً، ثم لم يقنعهم ذلك حتى قالوا: إن الجواهر في حال عدمها جواهر، وإن الأعراض قبل أن توجد كانت أعراضاً، حتى أن السواد عندهم قد كان في عدمه سواداً. وكذلك الحركة قد كانت قبل وجودها حركة. وسائر الأعراض يقولون فيها هذا المقال.

ويزعمون أن جميع ذلك في العدم ذوات، كما هو في الوجود ذوات.

وهذا إنكار لفعل الفاعل، ومضاهاة لمقال الملحدين. وقد أطلقوا هذا القول إطلاقاً، فقالوا: إن الجواهر والأعراض ليست بفاعلها. وفسروا ذلك، فقالوا: أردنا أن الجوهر لم يكن جوهراً بفاعله، ولا كان العرض أيضاً بفاعله، وإنهما على ما هما عليه من ذلك لنفوسهما قبل وجودهما، ولا بجاعلٍ جعلها. وهذا تصريح غير تلويح.

وقال لهم شيوخنا وعلماؤنا: فإذا كانت الذوات في عدمها ذواتاً، والجواهر والأعراض قبل وجودها جواهر وأعراضاً، فما الذي صنع الصانع؟

قالت المعتزلة: أوجد هذه الذوات.

قال أهل الحق لهم: ما معنى قولكم: أوجدها؟ وأنتم ترون أنها لم تكن أشياء به، ولا ذواتاً بفعله، ولا جواهر ولا أعراضاً أيضاً بصنعته.

قالت المعتزلة: معنى قولنا أنه أوجدها، أنه فعل لها صفة الوجود.

قال أصحابنا: فإذا ما فعلها، ولا تعلقت قدرته بها، وإنما المفعول المقدور هو الصفة دونها، فأخبرونا الآن ما هذه الصفة لنفهمها؟ وهل هي نفس الجوهر

ونفس العرض، فهما اللذان فُعِلا فكانا جوهراً وعرضاً بفاعلهما؟ وإن قلتم: إنهما شيء آخر غيرها، فهل هي شيء أم ليست بشيء؟

وأعلموا أنكم إن قلتم أنها شيء لزمكم أن تكون في عدمها أيضاً شيئاً، وإن قلتم أنها ليست بشيء، نفيتم أن يكون الله تعالى فعل شيئاً.

قالت المعتزلة: هي أمر معقول ولم تزد على ذلك، وأتت فيه بنظير ما أتى أصحاب الكسب المخلوق[1].

وجميع المعتزلة على هذا القول إلا أبو القاسم عبدالله بن أحمد البلخي، فإنه يرى أن الأشياء قد كانت كلها في عدمها أشياء، ولم تكن جواهر ولا أعراضاً ولا ذواتاً، وإنما جعلت كذلك بفاعلها، ولم تكن أشياء بفاعلها. فقد تبين لك رأي المعتزلة في هذا.

[نظرية الأصلح]

فصل: من الكلام في الأصلح. وقد اشتهر عن المعتزلة أنها من أهل العدل، وذلك لقولها أن الله تعالى لا يكلف العبد إلا ما يستطيع.

ولها مع ذلك قول تنسب الله عز وجل فيه إلى الأمر القبيح، وتضاد به ما أوجبه الدليل من وصفه بالحسن الجميل، وهو ما ذهب إليه الجبائي وابنه عبد السلام ومن وافقها، وهم اليوم أكثر المعتزلة، من أن الله تعالى وإن كان عدلاً كريماً، فإنه لا يفعل بخلقه الأصلح، ولا يتفضل عليهم بالأنفع، وإنه يقتصر بهم من النفع والصلاح على نهايةٍ غيرها أفضل منها وأصلح، مع حاجتهم إلى ما يمنعهم إياه من الصلاح، أو فقرهم إلى المنافع، التي حرمهم إياها، من الإنعام والإحسان، وهو قادر على ما يحتاجون إليه، ومع ذلك هو غني عن منعه، عالم بحسن بذله وفعله. والعباد يتضرعون إليه في التفضل عليهم به، فلا يرحم

(١) هم القائلون بأن للعبد إرادة مقارنة لإرادة الله تعالى التي هي الفاعلة فقط دون إرادة العبد، غاية ما هناك أن إرادة العبد المفترضة هي المصححة للثواب والعقاب وإن لم يكن لها أي أثر في وجود الأفعال وتسمى هذه الارادة أو هذه القدرة بالكاسبة أي التي بها يكتسب العبد التكليف والثواب والعقاب.

تضرعهم، ويسألونه المنة بفعله فلا يجيبهم، ويرجونه فيخيب رجاءهم، ويتمنونه من فعله فلا يهب لهم مناهم. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والذي نذهب في ذلك إليه مما وافقنا البلخي[1] فيه:

هو أن الله سبحانه متفضل على جميع خلقه بنهاية مصالحهم، متطول عليهم بغاية منافعهم، لا يسألونه صلاحاً إلا أعطاهم، ولا يلتمسون منه ما يعلم أنه لهم أنفع إلا فعله بهم، ولا يمنعهم إلا مما يضرهم، ولا يصدهم إلا عما يفسدهم، ولا يحول بينهم وبين شيء يصلحهم، وأنه لا يقضي عليهم بشيء، يسرهم أو يسوؤهم إلا وهو خير لهم، وأصلح مما صرفه عنهم.

والذي يدل على ذلك هو ما ثبت من أن الله تعالى عالم بقبح القبيح، وغني عن فعله، لا يُجبر على الحسن، ولا يحتاج إلى منعه، وأنه مستحق للوصف بغاية الجود، ومنفي عنه البخل والتقصير، خلق الخلق لمنافعهم، واخترعهم لمصالحهم.

فلو منعهم صلاحاً لناقض ذلك الغرض في خلقهم، ولم يكن مانعاً نفعاً، هو قادر عليه، عالم بحسنه إلا لحاجةٍ إليه، أو للبخل به، أو الإفتقار في صنعه. وذلك كله منفي عن الله سبحانه.

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه: أنا وجدنا الحكيم إذا كان آمراً بطاعته، فلن يجوز أن يمنع المأمور ما به يصل إليها إذا كان قادراً على أن يعطيه إياه، وكان بذله له لا يضره، ولا يخرجه من استحقاق الوصف بالحكمة، ومنعه لا ينفعه.

وكذلك إذا كان له عدو، يدعوه إلى موالاته، ويحب رجوعه إلى طاعته، فلن يجوز أن يعامله من الغلظة أو اللين إلا مما يعلم أنه أنجع فيما يريده منه، وأدعى له إلى ترك ما هو فيه من عداوته، والرجوع إلى ولايته. فإن عرض له أمران من الشدة والغلظة، أو الملاطفة والملاينة، يعلم أن أحدهما أدعى لعدوه إلى المراجعة والإنابة، والآخر دون ذلك، ففعل الدون، وترك أن يفعل

---

(١) هو أبو القاسم البلخي تقدمت ترجمته.

الأصلح إلا الأدعى، وكلاهما في قدرته سواء، ولا يضره بذلها، ولا ينفعه منعهما، كان عند الحكماء جميعاً مذموماً، خارجاً عن استحقاق الوصف بالجود والحكمة.

فلما كان هذا فيما بينا على ما وصفنا، وكان الله تعالى قادراً حكيماً جواداً، عالماً بمواضع حاجة عباده، آمراً لهم بطاعته، وترك عداوته، والرجوع إلى ولايته، لا يضره الإعطاء، ولا يلحق به صفة الذم، ولا ينفعه المنع، ولا يزيد في ملكه، علمنا أنه لا يفعل بعباده إلا ما كان أصلح بحالهم، وأدعاها إلى طاعته، صحةً كان أو سقماً، لذةً كان أو ألماً، آمنوا أو كفروا، أطاعوا أم عصوا، قال الله تعالى لرسوله عليه السلام:

(قولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) طه: ٤٤

هذا حين علم أن الدعاء على جهة اللين أصلح له، ثم قال في موضعٍ آخر:

(ولقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك، وأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) الأنعام: ٤٢

حين كانت الشدة والغلظة أصلح في دعائهم إلى التضرع والخشوع لديهم.

وأعلم أن الأصلح إذا فُعِل بالعبد لا يضطره إلى إيجاد الفعل، وإنما هو تيسّرٌ في إيجاده، ومعونة عليه، كما أن القدرة لا تضطر العبد إلى إيجاد الفعل، وإنما هي تمكين منه وإزاحة للعلة فيه.

فمن نسب الله تعالى إلى أنه تعالى لا يفعل بمن كلفه(١) الأصلح فقد جعله بخيلاً ومقتصداً. ومن نسبه إلى أن لا يعطي من كلفه الطاعة القدرة عليها، فقد جعله ظالماً جائراً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

[نقوض على هذه النظرية مع دفعها]

فإن قال قائل: إذا كان قد فعل بجميع خلقه الأصلح، فقد ساوى بين وليه وعدوه، ومن ساوى بينهما فغير حكيم في فعله.

(١) في النسخة زيادة كلمة (إلا) فحذفناها لئلا ينقلب المعنى المقصود.

قلنا: إنما التسوية بينهما أن يثيبهما جميعاً، أو يمدحهما، أو يفعل بهما جميعاً ما يشتهيانه ويلذهما، وليس التسوية بينهما أن يفعل لهما ما يكون أدعى إلى طاعته، وأزجر عن معصيته.

ألا ترى أن رجلاً لو كان له عبدان، قد أطاعه أحدهما، وعصاه الآخر، فقصد إلى الذي أطاعه فمدحه، وأعطاه لتزداد بذلك رغبته في طاعته، ويُرغّب عبيده في فعلها، وقصد إلى الآخر فشتمه وعاقبه على ذنبه الذي ارتكبه، ليزجره عن معصيته، ويصير إلى طاعته، وينزجر غيره أيضاً عن مثل فعله، لكان قد فعل بكل واحدٍ منهما ما هو أصلح له. ولم يجز أن يقال- مع ذلك- أنه قد ساوى بينهما، وقد أمر الله تعالى عبديه المؤمن والكافر بالطاعة، ونهاهما جميعاً عن المعصية، وأقدرهما على ما كلفهما، وأزاح عللهما. ولا يقال مع ذلك أنه قد ساوى بينهما، إلا أن يراد بالمساواة، أنه قد عدل فيهما، ولم يظلم أحدهما، فذلك صحيح.

فإن قال: إذا أوجبتم أن يفعل بعباده كل ما فيه صلاحهم في دينهم، وفي أداء ما كلفهم، فقد أوجبتم أن لما عنده مما فيه صلاحهم غايةً ونهايةً.

قلنا: لسنا نقول ذلك، بل نقول: لا غاية لما عندالله تعالى مما فيه صلاح العباد ولا نهاية له، ولا نفاد، وأن في سلطانه وقدرته أمثالاً لما فعله بهم مما فيه صلاحهم. ولكنه إنما يأتيهم من ذلك في كل وقتٍ بقدر حاجتهم، وما يعلم أنه الأصلح لهم.

فإن قال: فإذا كان الذي فعل بهم مما تقولون أنه الأصلح لهم، أمثال، فقد وجب إذا جُمعت لهم تلك الأمثال أن تكون أصلح لهم من الواحد.

قلنا لهم: ليس يجب ذلك.

ومما يدل على أن القول ما قلنا، أنه يكون صلاح المريض مقداراً من الدواء، ولذلك المقدار من الدواء أمثال، لو جمعت كلها له لصار تضرراً عليه، ولقتلته.

وكذلك الجائع قد يكون مقدار من الطعام فيه صلاحه، ولذلك المقدار

أمثلة، لو ضمت فأكلها لعادت عليه ضرراً ولأمرضته.

وكذلك قد يكون معنى، هو صلاح العبد في دينه، وله أمثال، لو جمعت له لم يكن فيها صلاحه، بل كان فيها ضرره وفساده.

وقد جاءت الأخبار عن آل محمد صلوات الله عليهم: بأن الله لا يفعل بعبده إلا أصلح الأشياء له.

أخبرني شيخنا المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن يعقوب، عن عدةٍ من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن يحيى بن ابراهيم عن عاصم بن عبيد عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين أنه قال: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله بما قضى عليه فيما أحب أو كره هو خير له».

وقد ظن من لا معرفة له أنا لما قلنا إن الله تعالى يفعل بعباده الأصلح لهم، أنه يلزمنا على ذلك، أن يكون ما يفعله بأهل النار من العذاب أصلح لهم.

وقد رأيت من أصحابنا من يلتزم ذلك، ويقول: قد أخبر الله تعالى عن أهل النار، أنهم (لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه).، قال: ولو ردوا وعادوا لاستحقوا من العذاب أكثر مما يُفعل بهم في النار، فالاقتصار بهم على ما هم فيه أصلح لهم.

وهذا غير صحيح، والأصلح إنما هو التيسير إلى فعل الطاعة، وتسهيل الطريق التي هي تناولها. وهذا لا يكون إلا في حال التكليف دون غيرها.

فأما الآية فإنما تضمنت تكذيب أهل النار فيما قالوه، لأن الله تعالى أخبر عنهم فقال: (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) الأنعام: ٢٧.

فقال الله تعالى مكذباً لهم:

(بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون). الأنعام: ٢٨.

[رأي الجبائي ومن تبعه من المعتزلة في الترك، ومناقشة المصنف له]

فصل من الكلام في الترك

وقد اختار عبد السلام الجبائي لنفسه قولاً قبيحاً، ضاهى فيه قول المجبرة، إن الله تعالى يعذب العبد على ما لم يحدثه، وزاد عليهم بأنه قال: إنه يعذب العبد من غير فعل فعله، ولا شيء اكتسبه.

وذلك لأنه يقول إن ترك الطاعة التي افترضها الله تعالى وأوجبها، يجوز أن لا يكون فعلاً، ثم يعذب الله تعالى العبد لأنه ترك، وإن لم يكن ترك شيئاً، لا فعلاً ولا كسباً.

وهذا قول انفرد به، ورأي استحدثه، ثم تبعه معظم المعتزلة عليه من بعده.

والذي يدل على أن الله تعالى لا يعذب العبد إلا على فعل فعله، أنا رأينا العذاب إنما يستحقه من يستحق الذم واللوم، ورأينا في الشاهد أنا لا نستحسن ذم أحد إلا وقد استقبحنا حالاً حصل المذموم عليها، متى ارتفعت من أوهامنا ارتفع استحساننا لذمه، ومتى حصلت حسن ذمه، حتى إنه متى خفي أمره فلم يُعلم على أي حال هو لم يستحسن حمده ولا ذمه، إلا بتعليقه بحال ما حصل عليها، نستحسنها في عقولنا أو نستقبحها، فنقول إن كان على كذا حسن حمده وقبح ذمه، وإن كان على كذا حسن ذمه وقبح حمده.

وكذلك من انتهى إلى آخر أوقات الظهر حتى تيقن أنه لم يبق من وقته إلا مقدار أربع ركعات من أخف ما يجزي، وهو قادر، ممكن، ذاكر للواجب عليه من الصلاة، فلم يصل، فإن العقول لا تمتنع من استقباح حال هذا الإنسان على أي هيئة حصل عليها، من اضطجاع أو قعود أو قيام أو مشي، أو غير ذلك من الهيئآت التي لا تصح معها الصلاة.

وقد علمنا أن الاستقباح يتعلق بمستقبح، فقد وجب أن يكون هناك

قبيح. وإذا كان هذا الإستقباح إنما يوجد عند وجود إحدى تلك الهيئآت، ويعدم بعدمها، لأنها متى عدمت كان مصلياً، وجب أن تكون هي القبيح الذي تعلق به الإستقباح.

ولذلك ثبت حسن ذمه في عقولنا عند حصول هذا الإستقباح ووجود هذه الهيئة، وإلا لم يحسن، وإذا ثبت أن لهذه الهيئة حسن ذمه. ثم استدللنا بدلائل حدوث الهيئآت أن هذه الهيئة حادثة من فعله، صح بذلك أنه لا يحسن ذم الإنسان [إلا] على فعله.

وكذلك سبيل سائر المستحقين للذم، إنهم لا يستحقون إلا وقد جروا مجرى هذا التارك للصلاة.

وإذا كان الذم لا يحسن إلا لما قلنا، وجب أن يكون العقاب لا يحسن إلا له. وذلك بَيِّنٌ لمن تأمله.

فإن اعترضه معترض في هذا وقال: ما تنكرون أن يكون الإنسان[1] يستحق الذم، لأنه لم يفعل ما وجب عليه، إذا كان قد يحسن من العقلاء فيما بيننا إذا لاموا إنساناً، فقيل لهم لِمَ لمتموه؟ أن يقولوا لأنه لم يفعل ما وجب عليه، ويقتصروا على هذا القدر في استحقاقه الذم.

قلنا: إنا لسنا نمنع من أن يكون الإنسان يعبر عن الشيء ويريد غيره، مما يتعلق به مجازاً واستعارة أو لعادةٍ جارية، أو لدلالةٍ قائمة، فيعبر في حالٍ بعبارةِ نفي، والمراد بها إثبات ضد المنفي، ألا ترى أنا نقول للإنسان: أنت قادر على أن لا تمضي مع فلان، وعلى أن لا تقوم معه، وأنا أُريد منك أن لا تصحبه ولا تمشي معه.

والقدرة عندنا وعند مخالفينا إنما هي قدرة على أن يفعل الشيء، ليس على أن لا يفعل.

---

(١) في النسخة زيادة كلمة أن المصدرية.

فقولنا: أنت قادر على أن لا تمشي معه، إنما نريد أنه قادر على أن يفعل ضد الشيء وما لا يقع المشي معه. وكذلك في الإرادة.

وإذا كان هذا كما وصفنا لم يجز لعاقل أن يقتصر في هذا الباب على ما يطلقه الناس من عباراتهم، ويدع التأمل للمعنى الذي تعلق به الذم في العقول.

وأيضاً: فإنا نعلم أنهم كما يقولون لمن لم يصل أسأت إن لم تصل، فكذلك يقولون له أسأت في تركك الصلاة وتشاغلك عنها بما لا يجدي عليك في دينٍ ولا دنيا، وفرَّطت وضيَّعت، وظلمت زيداً إذ منعته حقه الذي له عليك، وفعلت ما لا يحل ولا يحمد. فيعلقون الذم في ظاهر القول بأفعال. وقد علمنا أنهم لم يقصدوا من الذم بأحد القولين إلا إلى ما يقصدونه بالآخر، وفي أحد القولين الإفصاح عن فعلٍ عقلوه، فوجب أن يكون هو المقصود بالقول الآخر، وهو الفعل المعقول الذي هو الترك.

فصل

وأعلم أن الفاعل المحدث لا يخلو من أخذٍ أو تركٍ، وهما فعلان متضادان، فهو لا [يعرو] من الأفعال في تعاقب الأضداد.

ولا يقال أن الله سبحانه لا يخلو من أخذ أو ترك، لأنه يصح أن يخلو من الأفعال، وليس هو بمحلٍ للأعراض ولا لتعاقب الأضداد.

والترك في الحقيقة يختص بالمحدثين، ولا يوصف الله تعالى به إلا على المجاز والإتساع، ولا يصح أن يقال: إنه لم يزل تاركاً في الحقيقة، لأن ذلك يوجب أنه لم يزل خالياً من الأفعال، والقول الصحيح أنه كان قبل خلقه ليس بفاعل ولا تارك، متقدماً لجميع الأفعال فافهم ما ذكرناه.

[مواعظ وكلمات في النهي عن الظلم]

(فصل مما ورد في ذكر الظلم)

روى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبيائه: ابن آدم أذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي، فلا امحقك فيمن أمحق، فإذا ظُلِمْتَ بمظلمة فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري خير من انتصارك لنفسك، واعلم أن الخلق الحسن يذيب السيئة كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

وروي عن رسول الله (ص) قال:

« من ولي شيئاً من أمور أُمتي، فحسنت سريرته لهم رزقه الله تعالى الهيبة في قلوبهم، ومن بسط كفه لهم بالمعروف رزق المحبة منهم، ومن كف يده عن أموالهم وقى الله عز وجل ماله، ومن أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً، ومن كثر عفوه مُدَّ في عمره، ومن عَمَّ عدله نصر على عدوه، ومن خرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه الله عز وجل بغير أنيس، وأعانه بغير مال »

وروي أن في التوراة مكتوباً:

« من يظلم يخرب بيته »

ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل:

(فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) النمل: ٥٢

وقيل:

إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك.

وقال رسول الله (ص):

« إن الله تعالى يمهل الظالم حتى يقول أهملني، ثم إذا أخذه أخذه أخذة رابية ».

وقال رسول الله (ص):

إن الله تعالى حمد نفسه عند هلاك الظالمين، فقال:

(فقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) الأنعام: ٤٥

ومن كلام أمير المؤمنين (ع) في ذلك:

لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنما يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوء [ه].

ومن سل سيف البغي قتل به.

ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها.

ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بيته.

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

أسد حطوم خير من سلطان ظلوم.

وسلطان ظلوم خير من فتنٍ تدوم.

أذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك.

[قال] المتنبي:

وأظلم خلق الله من بات جاسداً
لمن بات في نعمائه يتقلب

[كلمات لأمير المؤمنين (ع) وغيره في ذم الحسد]

فصل: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، نَفَس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم.

وقال (ع)

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له إليه، بخيل بما لا يملكه.

وقال (ع):

الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

وقال (ع):

الحسد آفة الدين، وحسب الحاسد ما يلقى.

وقال (ع):

لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحاسد، ويكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

وقال (ع): الحسد لا يجلب إلا مضرة وغيظاً، يوهن قلبك، ويمرض جسمك، وشر ما استشعر قلب المرء الحسد. تغنم[1] ونقِّ قلبك من الغل تسلم.

وقال (ع): الحسود سريع الوثبة، بطيء العطفة، مغموم، واللئيم مذموم.

وقال (ع): لا غنى مع فجور، ولا راحة لحسود، ولا مودة لملول.

وقال لقمان لابنه: إياك والحسد، فإنه يتبين فيك، ولا يتبين فيمن تحسده.

وقال آخر: ليس في خلال الشرخلة هي أعدل من الحسد، لأنه يقتل الحاسد قبل أن يصير إلى المحسود.

وقال آخر: إذا مطر التحاسد نبت التفاسد.

وقال آخر: كل الناس أقدر أن أُرضيهم إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي.

أُنشدت للشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي:

لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري
حسد النجوم على بقاء السرمد
لا تغبطن على ترادف نعمةٍ
شخصاً تبيت له المنون بمرصد
إذ ليس بعد بلوغه آماله
أفضى إلى عدمٍ كأن لم يوجد

فصل:

لا تخضعن لمترفٍ متكبرٍ
إن كان ذا مالٍ وأنت عديما[2]

---

(١) كذا وردت

(٢) كذا وردت ولعل الصحيح: وكنت عديماً.

وأصبر على مضض الزمان وعيبه
حتى يساعد أو تموت كريما
فلأن يموت المرء غير مذمم
خير له من أن يعيش ذميا.

غيره:

في اليأس عز واتباع مطامع الآمال ذل وطلاب ما لم يُقض صعب وهو في المقدور سهل.

غيره وهو صخرة التميمي:

وللموت خير للفتى من علاقة
من العار يرميه بها كل قائل.

وأنشدني أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمزة قال أنشدني أبو طاهر الخوارزمي للقاضي الجرجاني[1]:

يقولون لي فيك انقباض وإنما
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
إذا قيل: هذا مورد قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني
ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكنهم قد دنسوه وعَرَّضوا
محياه للأطماع حتى تجهما

---

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشافعي المتوفى بالري سنة ٣٦٦/٣٤٢هـ)، أطراه الثعالبي في اليتيمة، وذكر كثيراً من شعره، ومنه الأبيات المذكورة بزيادة ونقصان وتجده ترجمته في الكنى والألقاب للقمي، وفي وفيات الأعيان وشذرات الذهب ومعجم الأدباء وطبقات المفسرين.

ولم أبتـذل في خدمـة العلـم مهجتي
لأخـــدم من لاقيـت إلا لأخدمـا
أأغرسه عزاً وأجنيـــه ذلــــةً
إذاً فاتبـاع الجهـل قد كان أحزما

وأُنشدت لعبد المحسن الصوري:(١)

كُدَّ كَدَّ العبد إن أحببت أن تحسب حراً
واقطع الآمال من جود بني آدم طرا
لا تقـــــل: ذا مكسب يُزري
ففضـــــل النـــاس ، أزري

فصل

« أقوال وكلمات في الصبر »

روى عن رسول الله (ص) أنه قال:

« الصبر ستر من الكروب ، وعون على الخطوب »

وقال صلى الله عليه وآله:

بالصبر يتوقع الفرج ، ومن يدمن قرع الباب يلج.

وقال عليه وآله السلام:

الصبر صبران ، صبر عند البلاء ، وأفضل منه الصبر عند المحارم.

ومن كلام أمير المؤمنين (ع):

الصبر مطية لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو.

---

(١) هو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري العاملي أحد الشعراء المحسنين والأدباء الجيدين أورد الثعالبي في اليتيمة طائفة كبيرة من شعره ، وتجد ترجمته في أمل الآمل للحر العاملي وفي وفيات الأعيان. ومن شعره:

وكم آمرٍ بالصـــبر لم ير لوعـــتي ... وما صنعت نار الرأس بين أحشائي
ومن أين لي صبر وفي كل ساعـة ... أرى حسنـاتي في موازين أعـدائي.

وله مرثاة جيدة في الشيخ المفيد شيخ الشيعة الإمامية في عصره المتوفى سنة (٤١٣هـ) وقد توفي الصوري سنة (٤٨٩هـ).

من كنوز الإيمان الصبر على المصائب.

الصبر جنة من الفاقة.

أطرح عنك الهموم بعزائم الصبر، وحسن اليقين.

من صبر ساعة حمد ساعات.

وقال آخر:

أفضل العدة الصبر على الشدة.

وقال آخر:

بالصبر على مرارة العاجل تُرجى حلاوة الآجل.

وقال آخر:

الصبر كإسمه، وثمرته ثمرته.

لبعضٍ:

أصبر لدهرٍ نال منك فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن مرةً لا الحزن دام ولا السرور

كتب رجل إلى أخيه:

الصبر مجنة المؤمن، وسرور الموقن، وعزيمة المتوكل، وسبب درك الحاجة، وإنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب.

[قال] ديك الجن:[1]

من كان يبغي الذل في دهره
فليطلع الناس على فقره
ما للفتى إن عضه دهره
معول أكرم من صبره

(١) هو عبد السلام بن رغبان الحمصي شاعر معروف مجيد، وكان يتشيع وله مراث كثيرة في الحسين (ع) توفي سنة (٢٣٥هـ) وقد نسب إلى الإلحاد لتشيعه، وهي الطريقة التي كانت متبعة في أمثاله من الشيعة كيداً واضطهاداً وتجد أخباره في الأغاني وابن خلكان وحياة الحيوان وسواها.

وكان يقال:

العافية عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصبر، والعاشر في التفرد عن الناس.

لبعضهم:

ألم تر[1] أن الصبر أجمل للفتى
إذا ضاق عنه أمر لم يجد عنه مخرجا
فما صفت الدنيا لصاحب نعمةٍ
ولا اشتد أمر قط إلا تفرجا

وقيل:

إن الأدب هو الصبر على الغصة، حتى تدرك الفرصة.

لآخر:

ولما امتطيت صروف الزمان
وأسلمت للدهر طوعاً قيادي
تزودت صبراً لوعثائِه
وزاد أخي الصبر من خير زاد
ولم يضع الصبر قدر أمرئ
وهل يضيع الترب إثر النجاد

[قصة ذريب بن ثملا[2] وصي عيسى بن مريم (ع)]

فصل:

أخبرني أبو الحسن محمد بن علي بن صخر، قال حدثنا أبو شجاع فارس بن موسى العرضي بالبصرة، قال حدثنا أحمد بن محمد، قال حدثنا أحمد بن محمد بن

(١) في النسخة (أما ترى) فأبدلناه بـ (ألم تر) فراراً من الزحاف.

(٢) أشار إلى هذه القصة صاحب لسان الميزان ج٣ ص٤٠٢ أشارة موجزة واعتبرها غير صحيحة.

شيبة الكوفي ببغداد، قال حدثنا أبو نعيم محمد بن يحيى الطوسي السراج، قال حدثنا محمد بن خالد الدمشقي، قال حدثنا سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن خارجة الرقي، قال: قال معاوية بن العضلة:

كنت في الوفد الذين وجههم عمر بن الخطاب، وفتحنا مدينة حلوان، وطلبنا المشركين في الشعب، فلم نقدر عليهم، فحضرت الصلاة، فانتهيت إلى ماءٍ، فنزلت عن فرسي وأخذت بعنانه، ثم توضأت، وأذنت فقلت: الله أكبر ألله أكبر، فأجابني شيء من الجبل وهو يقول: كبَّرتَ كبيرا، ففزعت لذلك فزعاً شديداً، ونظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً.

فقلت: اشهد أن لا إلّه إلا الله، فأجابني وهو يقول: الآن حين أخلصت.

فقلت: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال: نبي بعث.

فقلت: حي على الصلاة، فقال: فريضة افترضت.

فقلت: حي على الفلاح، فقال: قد أفلح من أجابها واستجاب لها.

فقلت: قد قامت الصلاة، فقال: البقاء، لأمة محمد (ص)، وعلى رأسها تقوم الساعة.

فلما فرغت من أذاني ناديت بأعلى صوتي حتى أسمعت ما بين لابتي الجبل، فقلت: أنسي أم جني؟ قال فاطلع رأسه من كهف الجبل، فقال: ما أنا بجنيٍ ولكني أنسي، فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ذريب بن ثملا من حواري عيسى بن مريم (ع)، أشهد أن صاحبكم نبي، وهو الذي بشر به عيسى بن مريم (ع)، ولقد أردت الوصول إليه، فحالت بيني وبينه فارس وكسرى وأصحابه، ثم أدخل رأسه في كهف الجبل فركبت دابتي ولحقت بالناس، وسعد بن أبي وقاص أميرنا، فأخبرته بالخبر، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب، فجاء كتاب عمر يقول: الحق الرجل، فركب سعد وركبت معه حتى انتهينا إلى الجبل، فلم نترك كهفاً ولا شعباً ولا وادياً إلا التمسناه فلم نقدر عليه، وحضرت الصلاة، فلما فرغت من صلاتي ناديت بأعلى صوتي:

يا صاحب الصوت الحسن والوجه الجميل، أنا قد سمعنا منك كلاماً حسناً، فأخبرنا من أنت، يرحمك الله، أقررت بالله تعالى ووحدانيته، قال: فأطلع رأسه من كهف الجبل، فإذا[1] شيخ أبيض الرأس واللحية، له هامة كأنها رحىً، فقال:

السلام عليكم ورحمة الله، قلت: وعليك السلام ورحمة الله، من أنت يرحمك الله؟

قال: أنا ذريب بن ثملا، وصي العبد الصالح عيسى بن مريم (ع)، كان قد سأل ربه ليَ البقاء إلى نزوله من السماء، وقراري في هذا الجبل. وأنا موصيكم، سددوا، وقاربوا، وإياكم وخصالاً تظهر في أمة محمد (ص)، فإن ظهرت فالهرب الهرب، ليقوم أحدكم على نار جهنم حتى تطفأ عنه خير له من البقاء في ذلك الزمان.

قال معاوية بن الفضلة: قلت له: يرحمك الله، أخبرنا بهذه الخصال لنعرف ذهاب دنيانا وإقبال آخرتنا، قال: نعم: إذا استغنى رجالكم برجالكم، واستغنت نساؤكم بنسائكم، وانتسبتم إلى غير مناسبكم، وتوليتم إلى غير مواليكم، ولم يرحم كبيركم صغيركم، ولم يوقر صغيركم كبيركم، وكثر طعامكم، فلم تروه إلا غلاء أسعاركم، وصارت خلافتكم في صبيانكم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلوا الحرام، وحرموا الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، واتخذوا القرآن ألحاناً ومزامير في أصواتهم. ومنعتم حقوق الله من أموالكم، ولعن آخر أُمتكم أولها، وزوقتم المساجد، وطولتم المنابر، وحليتم المصاحف بالذهب والفضة، وركب نساؤكم السروج، وصار مستشار أُموركم نساءكم وخصيانكم، وأطاع الرجل امرأته، وعق والديه، وضرب شاب والدته، وقطع كل ذي رحم رحمه، وبخلتم بما في أيديكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وكنزتم الذهب والفضة، وشربتم الخمر، ولعبتم بالميسر، وضربتم بالكبر[2]، ومنعتم الزكاة ورأيتموها مغرماً، والخيانة مغنما

---

(١) في النسخة: فإذن.

(٢) الكبر بفتحتين هو الطبل له وجه واحد وجمعه كبار كجبل وجبال (مجمع البحرين).

وقتل البريء لتتعظ العامة بقتله، واختلست قلوبكم فلم يقدر أحد منكم يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر، وقحط المطر فصار قيضاً، والولد غيظاً، وأخذتم العطاء فصار في السقاط، وكثر أولاد الخبيثة يعني الزنا، وطففت المكيال، وكلب عليكم عدوكم، وضربتم بالذلة وصرتم أشقياء، وقلت الصدقة حتى يطوف الرجل من الحول إلى الحول ما يعطى عشرة دراهم، وكثر الفجور، وغارت العيون، فعندها نادوا فلا جواب، يعني دعوا فلم يستجب لهم.

شرح قوله: (ولعن آخر أُمتكم أولها).

فصل: أعلم- أيدك الله تعالى- أن قوله في هذا الخبر: (ولعن آخر أُمتكم أولها) مما يظن الناصبي أن فيه طعناً علينا، وذلك ظن فاسد....[1] وقد لعن الله تعالى الظالمين، فقال: (ألا لعنة الله على الظالمين)

وأخبر النبي (ص) بأن من أصحابه من يغيِّر بعده ويبدل ويغوي ويفتن، ويضل ويظلم، ويستحق العقاب الأليم والخلود في الجحيم.

فمما رووا عنه في ذلك قوله (ع) لأصحابه:

لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم. فقالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن.[2]

وقوله (ص) وقد ذُكِرت فتنة الدجال:

لا، فإني لفتنة بعضكم أخوف مني لفتنة الدجال [3].

وقوله (ص) لأصحابه:

«إنكم محشورون إلى الله يوم القيامة، حفاةً عراةً، وإنه سيجاء برجالٍ من

---

(١) كذلك كلمات مطموسة.

(٢) تجد هذا الحديث في صحيح البخاري ج٩ ص٨٣ بسنده عن أبي سعيد الخدري ورواه الطبري الإمامي في المسترشد ص ٢٨- ٢٩. باختلاف يسير.

(٣) أنظر: ص٩٦ من صحيح البخاري ج٤ من طبعة مصر سنة ١٣٠٦.

أُمتي، فيؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».[1]

وقوله (ص) في حجة الوداع لأصحابه:

«ألا لأُخبرنكم ترتدون بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إني قد شهدت وغبتم».

وقوله (ص) في مرضه الذي توفي فيه:

«أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى».[2]

وقوله (ص):

«تكون لأصحابي بعدي زلة، يعمل بها قوم يكبهم الله عز وجل في النار على مناخرهم».

وحدثني من طريق العامة أبو محمد عبدالله بن عثمان بن حماس بمدينة الرملة، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محبوب، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسن ابن قتيبة العسقلاني، قال: حدثنا كثير بن عبيد أبو الحسن الحذاء، قال: حدثنا محمد بن حمير، عن مسلمة بن علي، عن عمر بن ذرة، عن قلابة الحرمي، عن أبي مسلم الخولاني، عن أبي عبيدة الجراح، عن عمر بن الخطاب، قال:

«أخذ رسول الله (ص) بلحيتي، وأنا أعرف الحزن في وجهه، فقال: يا عمر، أنا لله وإنا إليه راجعون، أتاني جبرائيل آنفاً، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقلت: أجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فمم ذاك يا جبرئيل؟ قال:

---

(١) تجد بعضه مروياً في صحيح البخاري ج٩ ص٣٩ كتابه الفتن ورواه الطبري في المسترشد ص ٢٩ باختلاف في بعض ألفاظه ومختصراً.

(٢) عن طبقات ابن سعد ج١ ص١٩.

إن أُمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ قال: كل سيكون، فقلت: فمن أين ذلك، وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلك من قبل أمرائهم وقرائهم، بمنع الأُمراء الحقوق، فيسأل الناس حقوقهم فلا يعطونها، فيفتنوا ويقتلوا، يتبع القراء هؤلاء الأُمراء، فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون. فقلت: يا جبرئيل، فيم يسلم من يسلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن اعطوا الذي لهم أخذوه، وإن منعوهم تركوه».

فهذا بعض ما ورد من الأخبار في أنه قد كان بعد رسول الله (ص) من ضل وأضل، وظلم وغشم، ووجب بغيه والبراءة منه متى فعله.

فأما الوجه في اللعن الذي يجب أن يحمل عليه ما تضمنه الخبر الذي أوردناه من قوله (ص) (ولعن آخر أمتكم أولها)، فهو ما استحله الظالمون المبغضون لأمير المؤمنين (ع) من لعنة والمجاهرة بسبه وذمه، فلسنا نشك في أنه قد تبرأت منه الخوارج، ولعنه معاوية ومن بعده من بني أُمية على المنابر، وتقرب الناس إلى ولاة الجور بذمه، ونشأ أَولادهم على سماع البراءة منه وسبه.

حدثني القاضي أبو الحسن أسد بن ابراهيم بن كليب السلمي الحراني رحمة الله عليه بمدينة الرملة من نقل العامة، قال: أخبرني أبو حفص حمر بن علي العتكي الخطيب، قال: حدثني أحمد بن محمد بن سليمان الجوهري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن السبري، قال: حدثنا هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن السائب، عن أبيه، قال:

جمعنا زياد[1] في الرحبة، فملأ منا الرحبة والقصر، وحملنا على شتم علي بن أبي طالب، والبراءة منه، والناس في أمر عظيم، قال: فَهوَّمْتُ برأسي تهويمة، فـإذا شيء أهدب أهدل، ذو مشفر، طويل، مد إليَّ من السماء إلى الأرض، ففرعت، وقلت: من أنت؟ قال: أنا النقاد ذو الرقبة، أرسلني ربي إلى صاحب

---

(١) هو زياد بن أبيه عامل الأمويين على العراق.

هذا القصر، فانتبهت، فحدثت أصحابي، فقالوا: أنت مجنون، فما برحنا أن خرج الآذن فقال: انصرفوا فإن الأمير قد شغل، وإذا الفالج قد ضربه، قال: فأنشأ عبد الرحمن يقول:

ما كان منتهياً عما أراد بنا
حتى تناوله النقاد ذو الرقبة،
فأسقط الشق منه حربة ثبتت
كما تناول ظلماً صاحب الرحبة[1]

وحدثني السلمي، قال أخبرني العتكي، قال أخبرنا محمد بن الحسين الخزاعي الهمداني فيما قرأت عليه: أن محمود بن مشوبة الواسطي حدثهم: قال حدثنا القاسم بن عيسى، قال حدثنا رحمة بن مصعب بن الباهلي، قال حدثنا قرة بن خالد عن أبي رجاء العطاردي، قال: لا تسبوا هذا الرجل يعني علياً عليه السلام، فإن رجلاً سبه فرماه الله بكوكبين في عينيه».

وحدثني السلمي أيضاً قال أخبرني العتكي، قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح الرازي وَرّاق أبي ذرعة الرازي بمكة سنة ست وثلاثمائة، قال: حدثنا أبو ذرعة الرازي، قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الملك، قال حدثني ابن أبي فديك، قال حدثني عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي نعيم، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال:

«كنت مستنداً إلى المقصورة، وخالد بن عبد الملك[2] على المنبر يخطب، وهو يؤذي علياً (ع) في خطبته، فذهب بي النعاس فرأيت القبر قد انفرج، فاطلع مطلع فقال: آذيت رسول الله لعنك الله»

وحدثني أيضاً السلمي، قال أخبرني العتكي، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن يعقوب البغدادي ويعرف بابن نساوران بانطاكية، قال

---

(١) رواه البيهقي في المحاسن والمساوي ج (١) ص٨٧ عن عبدالله بن السائب، ورواه المسعودي في مروج الذهب ج٣ ص٣٥- ٣٦، وصاحب الرحبة هو علي (ع) لأنه قتل في رحبة المسجد.

(٢) هكذا في النسخة ولعله: خالد بن عبدالله أي القسري.

حدثني أبو سعيد الحسن بن عثمان بن زياد الخلال التستري بتستر، قال حدثني أحمد بن حماد الطهري، قال حدثنا عبد الرزاق بن معمر، عن الزبيري عن عكرة عن ابن عباس عن النبي (ص) قال:

«إن الله تبارك وتعالى حبس قطر المطر عن بني اسرائيل بسوء رأيهم في أنبيائهم، وإنه حابس قطر المطر عن هذه الأمة ببغضهم علي بن أبي طالب (ع).

وحدثني السلمي، قال أخبرني العتكي، قال حدثني أبو عبدالله أحمد بن جعفر الجوهري، قال حدثنا أحمد بن علي المروزي، قال حدثنا الحسن بن شعيب، قال حدثنا خلف بن أبي هارون العبدي قال:

«كنت جالساً عند عبدالله بن عمر، فأتى نافع بن الأزرق، فقال والله إني لأبغض علياً، فرفع ابن عمر رأسه فقال: أبغضك الله، أتبغض- ويحك- رجلاً، سابقة من سوابقة خير من الدنيا بما فيها.»

فقد بان بما ذكرناه ورويناه أن آخر هذه الأمة لعن أولها، وأن متأخرها سب سابقها، فاللعن متوجه في الخبر المتقدم إلى مبغضي أمير المؤمنين (ع) والقادحين فيه.

وحدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي بمكة في المسجد الحرام محاذى المستجار سنة اثنتي عشرة وأربعماية، قال أخبرني أبو محمد بن أحمد بن الحسين الشامي من كتابه، قال حدثني أحمد بن زياد القطان في دكانه بدار القطن، قال حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال حدثنا عمرو بن عبد الغفار، قال حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: كنت عند النبي (ص)، إذ أقبل علي بن أبي طالب، فقال:

«أتدري من هذا؟ قلت: هذا علي بن أبي طالب، فقال النبي (ص): هذا البحر الزاخر، هذا الشمس الطالعة، أسخى من الفرات كفاً، وأوسع من الدنيا قلباً، فمن أبغضه فعليه لعنة الله».

وحدثنا الفقيه ابن شاذان رحمه الله، قال: حدثنا سهل بن أحمد عن محمد بن

عبدالله الديباجي رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن الأشعث بمصر، قال: حدثنا موسى بن اسماعيل، عن أبيه، قال: حدثني موسى بن جعفر عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص):

«دخلت الجنة فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب: لا إلّه إلا الله، محمد حبيب الله، علي بن أبي طالب ولي الله، فاطمة آية الله، الحسن والحسين صفوتا الله، على مبغضيهم لعنة الله» .

وحدثنا ابن شاذان أيضاً، قال حدثني أبو حفص عمر بن ابراهيم [ابن] أحمد بن كثير المقري المعروف بالكناني، قال حدثني عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال حدثنا عبدالله بن عمر، قال: حدثنا عبد الملك بن عمير، قال: حدثنا سالم البزاز، قال: حدثني أبو هريرة، قال: قال رسول الله (ص):

«خير هذه الأُمة من بعدي علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، فمن قال غير هذا فعليه لعنة الله».

ومما حدثنا به الشيخ الفقيه أبو الحسن ابن شاذان رحمه الله، قال: حدثني أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا ابن الوليد محمد بن الحسن، قال حدثنا الصفار محمد بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن زياد عن مفضل بن عمر عن يونس بن يعقوب رضي الله عنه، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول:

«ملعون ملعون كل بدنٍ لا يصاب في كل أربعين يوماً».

فقلت: ملعون؟ قال: ملعون، فلما رأى عِظَم ذلك علي قال: يا يونس، إن من البلية الخدشة، واللطمة، والعثرة، والنكبة، والفقر[1]، وانقطاع الشسع وأشباه ذلك.

يا يونس إن المؤمن أكرم على الله تعالى من أن يمر عليه أربعون يوماً لا يمحص فيها من ذنوبه، ولو بغم يصيبه لا يدري ما وجهه، وإن أحدكم ليضع

---

(١) في النسخة (الفقرة).

الدّراهم بين يديه فيراها[1] فيجدها ناقصة فيغتم بذلك، فيجدها سواء فيكون ذلك حطاً لبعض ذنوبه.

يا يونس: ملعون ملعون من آذى جاره، ملعون ملعون رجل يبدأه أخوه بالصلح فلم يصالحه، ملعون ملعون حامل القرآن، مصر على شرب الخمر، ملعون ملعون عالم يؤم سلطاناً جائراً، معيناً له على جوره، ملعون ملعون مبغض علي بن أبي طالب (ع)، فإنه ما أبغضه حتى أبغض رسول الله (ص)، ومن أبغض رسول الله (ص) لعنه الله في الدنيا والآخرة. ملعون ملعون من رمى مؤمناً بكفر، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله.

ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله.

يا يونس: قال جدي رسول الله (ص):

ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي ويغصبها حقها ويقتلها. ثم قال: يا فاطمة: البشرى، فلك عند الله مقام محمود، تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فَتُشَفَّعين.

يا فاطمة لو أن كل نبيٍ بعثه الله، وكل ملك قربه، شفعوا في كل مبغض لك، غاصب لك، ما أخرجه الله من النار أبداً.

ملعون ملعون قاطع رحمه، ملعون ملعون مصدق بسحر، ملعون ملعون من قال الإيمان قول بلا عمل، ملعون ملعون من وهب الله له مالاً فلم يتصدق به. أما سمعت أن النبي (ص) قال:

صدقة درهم أفضل من صلاة عشر ليالٍ.

ملعون ملعون من ضرب والده أو والدته. ملعون ملعون من عق والديه، ملعون ملعون من لم يوقر المسجد.

أتدري يا يونس لم عظم الله تعالى حق المساجد، وأنزل هذه الآية: (وأن

---

(١) في النسخة فيريها.

المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)، كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم أشركوا بالله تعالى، فأمر الله سبحانه نبيه أن يوحد الله فيها ويعبده.

رسالة للمؤلف

رسالة كتبتها إلى أحد الإخوان وسميتها بالقول المبين عن وجوب مسح الرجلين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين.

سألت يا أخي- أيدك الله تعالى- في أن أُورد لك من القول في مسح الرجلين ما يتبين لك به وجوبه وصحة مذهبنا فيه وصوابه. وأنا أُجيبك إلى ما سألت، وأُورد مختصراً نطلب ما طلبت بعون الله وتوفيقه.

أعلم أن فرض الرجلين عندنا في الوضوء هو المسح دون الغَسل، ومن غسل فلم يؤد الفرض. وقد وافقنا على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين، كابن عباس(١) رحمه الله، وعكرمة،(٢) وأنس، وأبي العالية، والشعبي وغيرهم.

ودليلنا على أن فرضها المسح قول الله تعالى:

(يا أيها الذين إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين..) النساء: ٦

فتضمنت الآية جملتين، صرح فيها بحكمين، بدأ في الجملة الأولى بغسل

---

(١) هو عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي (ص) وحبر الأمة وترجمان القرآن- كما وصفوه- ولد بمكة قبل الهاجرة بثلاث سنين وتوفي بالطائف سنة ٦٨هـ بعد أن كف بصره، وينسب له التفسير المطبوع المعروف بتفسير ابن عباس، ولي لأمير المؤمنين علي (ع) البصرة وقيل أنه احتجن ما في بيت المال وهرب به، وجرت بينه وبين الإمام (ع) مراسلات ومكاتبات في شأن ذلك تجدها في العقد الفريد وبعضها في نهج البلاغة، وهو جد الخلفاء العباسيين.

(٢) هو أبو عبدالله عكرمة البربري مولى عبدالله بن عباس، حدث عن جماعة من الصحابة ومنهم عبدالله بن العباس، كان يرى رأى الخوارج وهو متهم بالكذب مات (١٠٥/١٠٧هـ).

الوجوه، ثم عُطفت الأيدي عليها، فوجب لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها.

ثم بدأ في الجملة الثانية بمسح الرؤوس، ثم عطف الأرجل عليها، فوجب أن يكون لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها، حسبما اقتضاه العطف في الجملة التي قبلها.(١)

ولو جاز أن يخالف في الجملة الثانية بين حكم الرؤوس والأرجل المعطوفة عليها، لجاز أن يخالف في الجملة الأولى بين حكم الوجوه والأيدي المعطوفة عليها. فلما كان هذا غير جائز كان الآخر مثله، فَعُلِمَ وجوب حمل كل عضوٍ معطوفٍ في جملةٍ على ما قبله، وفيه كفاية لمن تأمله.

فإن قال قائل: إنا نجد أكثر القراء يقرأون الآية بنصب الأرجل، فيكون الأرجل في قراءتهم معطوفة على الأيدي، وذلك موجب للغَسل.

قيل له: أما الذين قرأوه بالنصب من السبعة فليسوا بأكثر من الذين قرأوا بالجر، بل هم مساوون لهم في العدد.

وذلك إن ابن كثير،(٢) وأبا بكر،(٣) وحمزة عن(٤) عاصم،(٥) قرأوا أرجلِكم بالجر. وابن عامر،(٦) والكسائي،(٧) وحفصاً،(٨) عن عاصم، قرأوا وأرجلكم بالنصب.

---

(١) لأن الواو العاطفة تدل على مشاركة ما بعدها في الحكم لما قبلها وهي لمطلق الجمع.

(٢) هو أبو معبد عبدالله أحد القراء السبعة كانت وفاته بمكة المكرمة سنة (١٢٠هـ).

(٣) هو شعبة وقيل سالم بن عياش الأسدي الكوفي أخذ عن عاصم أحد القراء السبعة توفي بالكوفة سنة (١٩٣هـ) وكان من الزهاد العباد اضطهد وشتم وحبس في سبيل نهيه عن المنكر.

(٤) هو حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة وكان فقيهاً توفي سنة ١٥٦ هـ.

(٥) هو عاصم بن بهدلة ويكنى أبا بكر بن أبي النجود قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وزرّ بن حبيش توفي سنة ١٢٨ هـ.

(٦) هو عبدالله بن عامر اليخصبي أحد القراء السبعة من التابعين من أهل دمشق مات سنة ١٢٨ هـ.

(٧) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان وقيل بهمن بن فيروز، اتصل بالرشيد وأدّب ولديه الأمين والمأمون أخذ عن الرؤاسي وغيره، توفي سنة ١٩٧ هـ، أخذ عن حمزة بن حبيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٨) هو حفص بن سليمان أبو عمرو البزار أخذ القراءة عن عاصم مرتفعة إلى علي (ع) من رواية أبي عبد الرحمن السلمي مات حفص سنة ١٣١ هـ.

وقد ذكر العلماء بالعربية أن العطف من حقه أن يكون على أقرب مذكورٍ دون أبعده، هذا هو الأصل، وما سواه عندهم تعسف وانصراف عن حقيقة الكلام إلى التجوز، من غير ضرورةٍ تلجىء إلى ذلك.

وفيه إيقاع للبس، وربما صرف المعنى عن مراد القائل. ألا ترى أن رئيساً لو أقبل على صاحب له، فقال له: أكرم زيداً وعمراً، واضرب بكراً وخالداً، كان الواجب على الصاحب أن يميز بين الجملتين من الكلام، ويعلم أنه ابتداء في كل واحدةٍ منهما ابتداء عطف باقي الجملة عليه، دون غير، وأن بكراً في الجملة الثانية معطوف على خالد، كما أن عمراً في الجملة الأولى معطوف على زيد.

ولو ذهب هذا المأمور إلى أن بكراً معطوف على عمروٍ، لكان قد انصرف عن الحقيقة ومفهوم الكلام في ظـاهره، وتعَسَّف تَعسُّفاً صرف به الأمر عن مراد الآمر به، فأداه ذلك إلى إكرام من أُمِرَ بضربه.

ووجه آخر، وهو أن القراءة بنصب الأرجل غير موجبةٍ أن تكون معطوفة على الأيدي، بل تكون معطوفةً على الرؤوس في المعنى دون اللفظ، لأن موضع الرؤوس نصب، لوقوع الفعل الذي هو المسح، وإنما انجرت بعارض وهو الباء. والعطف على الموضع دون اللفظ جائز مستعمل في لغة العرب، ألا تراهم تقولون: مررت بزيدٍ وعمراً، ولست بقائمٍ ولا قاعداً. قال الشاعر:

معـــاوي إننـــا بشر فاسجـــح فلسنـــا بالجبـــال ولا الحديـــدا

والنصب في هذه الأمثلة كلها انما هو العطف على الموضع دون اللفظ.

فيكون على هذا من قرأ الآية بنصب الأرجل، كمن قرأها بجرها، وهي في القرآن جميعاً معطوفة على الرؤوس التي هي أقرب إليها في الذكر من الأيدي، ويخرج ذلك عن طريق التعسف، ويجب المسح بهما جميعاً والحمد لله.

وشيء آخر وهو: أن حمل الأرجل في النصب على أن تكون معطوفة على الرؤوس أولى من حملها على أن تكون معطوفة على الأيدي. وذلك أن الآية قد

قرئت بالجر والنصب معاً، والجر موجب للمسح، لأنه عطف على الرؤوس، فمن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل على الأيدي، أوجب الغسل وأبطل القراءة بالجر الموجب للمسح، ومن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل على موضع الرؤوس، أوجب المسح الذي أوجبه الجر، فكان مستعملاً للقرائتين جميعاً غير مبطلٍ لشيء منهما، ومن استعملهما فهو أسعد ممن استعمل أحدهما.

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون استعمال القرائتين إنما هو بغسل الرجلين وهو أحوط في الدين، وذلك أن الغَسل يأتي على المسح ويزيد عليه، فالمسح داخل فيه. فمن غسل فكأنما مسح وغسل، وليس كذلك من مسح، لأن الغسل غير داخل في المسح.

قلنا: هذا غير صحيح، لأن الغَسل والمسح فعلان، كل واحدٍ منهما غير الآخر، وليس بداخلٍ فيه، ولا قائم مقامه في معناه الذي يقتضيه.

ويتبين ذلك أن الماسح كأنه قيل له: اقتصر فيما تتناوله من الماء على ما يندى به العضو الممسوح، والغاسل كأنه قيل له: لا تقتصر على هذا القدر، بل تناول من الماء ما يسيل ويجري على العضو المغسول.

فقد تبين أن لكل واحدٍ من الفعلين كيفية يتميز بها عن الآخر. ولولا ذلك لكان من غسل رأسه فقد أتى على مسحه، ومن اغتسل للجمعة فقد أتى على وضوئه. هذا مع أجماع أهل اللغة والشرع على أن المسح لا يسمى غَسلاً، والغسل لا يسمى مسحاً.

فإن قيل: لِمَ زعمتم ذلك؟ وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله سبحانه:

(فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) ص: ٣٣ إلى أنه أراد غسل سوقها وأعناقها، فسمى الغسل مسحاً.

قلنا: ليس هذا مجمعاً عليه في تفسير الآية. وقد ذهب قوم إلى أنه أراد المسح بعينه.

وقال أبو عبيدة[١] والفراء[٢] وغيرهما أنه أراد بالمسح الضرب.

وبعدُ فإن من قال إنه أراد بالمسح الغسل لا يخالف في أن تسمية الغسل مسحاً مجازاً واستعارة، وليس هو على الحقيقة، ولا يجوز لنا أن نصرف كلام الله تعالى عن حقائق ظاهرة إلا بحجةٍ صارفة.

فإن قال: ما تنكرون من أن يكون جر الأرجل في القراءة إنما هو لأجل المجاورة لا للنسق، فإن العرب قد تعرب الإسم بإعراب ما جاوره، كقولهم: (حجر ضبٍ خربٍ)، فجروا خرباً لمجاورته لضب، وإن كان في الحقيقة صفةً للحجر لا للضب، فتكون كذلك الأرجل إنما جرت لمجاورتها في الذكر لمجرورٍ وهو الرؤوس، قال امروء القيس:

كأن ثبيراً في عرانين وبله
كبير أُناسٍ في بجادٍ مزملِ[٣]

فجر مزملاً لمجاورته لبجادٍ، وإن كان من صفات الكبير، لا من صفات البجاد، فتكون الأرجل على هذا مغسولة وإن كانت مجرورة.

---

(١) هو معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش مولى لهم من علماء اللغة والأدب والأخبار، وكان شعوبياً ومع هذا يرى رأي الخوارج، له مؤلفات عديدة ولد سنة ١١٢ هـ، وتوفي سنة ٢١١ هـ.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء من أئمة العربية له مؤلفات كثيرة فيها، مات بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ.

(٣) هو من معلقة امرئ القيس المشهورة التي أولها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وفي ديوان امرئ القيس باخراج السندوبي روى البيت هكذا

كأن أبانا في أفانين ودقه   كبير أناس في بجاد مزمل

وثبير: جبل. أفانين: ضروب. البجاد: كساء مخطط. مزمل: ملفف.

وامرئ القيس هو ابن الملك حجر بن الحارث الكندي، ويقال له الملك الضليل توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة وسنة ٥٦٥م.

وهو من فحول الشعراء الجاهليين حتى قيل أنه بدئ الشعر بملك يعني أمرئ القيس، وحتم بملك يعني أبا فراس الحمداني.

قلنا: هذا باطل من وجوه، أولها:

اتفاق أهل العربية على أن الإعراب بالمجاورة شاذ نادر لا يقاس عليه، وإنما ورد مسموعاً في مواضع لا يتعداها إلى غيرها، وما هذا سبيله فلا يجوز حمل القرآن عليه من غير ضرورةٍ يلجىء إليه.

وثانيها: أن المجاورة لا يكون معها حرف عطفٍ، وهذا ما ليس فيه بين العلماء خلاف.

وفي وجود واو العطف في قوله تعالى (وأرجلكم) دلالة على بطلان دخول المجاورة فيه وصحة العطف.

وثالثها: أن الإعراب بالجوار إنما يكون بحيث ترتفع الشبهة عن الكلام، ولا يعترض اللبس في معناه، ألا ترى أن الشبهة زائلة، والعلم حاصل في قولهم (حجر ضبٍ خربٍ) بأن خرباً صفة للحجر دون الضب.

وكذلك ما أنشد في قوله (مزمل) وأنه من صفات الكبير دون البجاد.

وليس هكذا الآية، لأن الأرجل يصح أن فرضها المسح كما يصح أن يكون الغسل، فاللبس مع المجاورة فيها قائم، والعلم بالمراد منها مرتفع. فبان بما ذكرناه أن الجر فيها ليس هو بالمجاورة والحمد لله.

فإن قيل: كيف ادعيتم أن المجاورة لا تجوز مع واو العطف؟ وقد قال الله عز وجل:

(يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب، وأباريق)(١)

ثم قال: (وحورٍ عين)(٢)

فخفضهن بالمجاورة، لانهن يطفن ولا يطاف بهن.

قلنا: أول ما في هذا أن القراء لم يجمعوا على جر (حور عين)، بل أكثر السبعة يرى أن الصواب فيها الرفع، وهم نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية

---

(١) سورة الواقعة آية:١٧ - ١٨.

(٢) الواقعة آية: ٢١.

أبي عمرو، وابن عامر، وإنما قرأها بالجرحمزة والكسائي، وفي رواية المفضل عن عاصم.

وقد حكى عن أبي عبيدة أنه كان ينصب، فيقرأ (وحوراً غيناً).

ثم إن للجر فيها وجهاً صحيحاً غير المجاورة، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: (أولئك المقربون في جنات النعيم) الواقعة:١٢- ١٣ عطف (بحور عين) على (جنات النعيم)، فكأنه قال: هم في جنات النعيم، وفي مقارنة أو معاشرة حورٍ عين، وحذف المضاف[١].

وهذا وجه حسن، وقد ذكره أبو علي الفارسي[٢] في كتاب (الحجة في القرآن) واقتصر عليه دون ما سواه، ولو كان للجرو بالمجاورة فيه وجه لذكره.

فإن قيل: ما أنكرتم من أن تكون القراءة بالجر موجبة للمسح إلا أنه متعلق بالخفين لا بالرجلين، وأن تكون القراءة بالنصب موجبة للغسل المتعلق بالرجلين بأعيانها، فيكون للآية قراءاتان مفيدة لكلا الأمرين؟

قلنا: أنكرنا ذلك لأنه انصراف عن ظاهر القرآن والتلاوة إلى التجوز والاستعارة من غير أن تدعوَ إليه ضرورة، ولا أوجبته دلالة، [و] ذلك خطأ لا محالة.

والظاهر يتضمن ذكر الأرجل بأعيانها، فوجب أن يكون المسح متعلقاً بها دون غيرها، كما أنه يتضمن ذكر الرؤوس، وكان الواجب المسح بها أنفسِها دون أغيارها.

ولا خلاف في أن الخفاف لا يعبر عنها بالأرجل، كما أن العمائم لا يعبر عنها

---

(١) وهو المقارنة أو المعاشرة.

(٢) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي النحوي من أئمة العلم والأدب ولد بمدينة (فسا) سنة ٢٨٨ هـ، وقدم بغداد واشتغل بها سنة ٣٠٧ هـ، وأصبح إمام عصره في النحو واتصل بسيف الدولة الحمداني وأقام عنده مدة وذلك سنة ٣٤١ هـ، وجرت بينه وبين المتنبي الشاعر محاورات، توفي في بغداد سنة ٣٧٧ هـ.

بالرؤوس، ولا البراقع بالوجوه. فوجب أن يكون الغرض متعلقاً بنفس المذكور دون غيره على جميع الوجوه.

ولو شاع سوى ذلك في الأرجل حتى تكون هي المذكورة والمراد من سواها، لشاع نظيره في الوجوه والرؤوس، ولجاز أيضاً أن يكون قوله سبحانه:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف) المائدة: ٣٣ محمولاً على غير الأبعاض المذكورة.

ولا خلاف في أن هذه الآية دالة بظاهرها على قطع الأيدي والأرجل بأعيانها، وأنه لا يجوز أن ينصرف عن دليل التلاوة وظاهرها، فكذلك آية الطهارة لأنها مثلها.

فإن قيل: إن عطف الأرجل على الأيدي أولى من عطفها على الرؤوس لأجل أن الأرجل محدودة كاليدين، وعطف المحدود على المحدود أشبه بترتيب الكلام.

قلنا: لو كان ذلك صحيحاً لم يجز عطف الأيدي وهي محدودة على الوجوه وهي غير محدودةٍ، في وجود ذلك، وصحة اتفاق الوجوه والأيدي في الحكم مع اختلافها في التحديد دلالة على صحة عطف الأرجل على الرؤوس، واتفاقهما في الحكم وإن اختلفا في التحديد.

على أن هذا أشبه بترتيب الكلام مما ذكره الخصم، لأن الله تعالى ذكر عضواً ممسوحاً غير محدود، وهو الرأس، وعطفه عليه من الأرجل بممسوح محدود، فتقابلت الجملتان من حيث عطف فيهما مغسول محدود على مغسُولٍ غير محدودٍ، وممسوح محدود على ممسوحٍ غير محدود.

فأما من ذهب إلى التخيير وقال: أنا مخير في أن أمسح الرجلين وأغسلهما، لأن القراءتين تدل على الأمرين كليهما، مثل الحسن البصري، والجبائي، ومحمد ابن جرير الطبري ومن وافقهم،[1] فيسقط قولهم بما قدمناه من أن القراءتين

(١) هذا الرأي تضمنه التساؤل السابق على الأخير.

لا يصح أن تدلا إلا على المسح، وأنه لا حجة لمن ذهب إلى الغسل، وإذا وجب المسح بطل التخيير.

وقد احتج الخصوم لمذهبهم من طريق القياس، فقالوا: إن الأرجل عضو يجب فيه الدية، أُمرنا بإيصال الماء إليه، فوجب أن يكون مغسولاً كاليدين.

وهذا احتجاج باطل، وقياس فاسد، لأن الرأس عضو يجب فيه الدية، وقد أمرنا بإيصال الماء إليه، وهو مع ذلك ممسوح.

ولو تُركنا والقياس، لكان لنا منه حجة، هي أَولى من حجتهم، وهي أَن الأَرجل عضو من أعضاء الطهارة الصغرى، يسقط حكمه في التيمم، فوجب أن يكون فرضه المسح دليله [القياس على] الرأس.

فإن قالوا: هذا ينتقض عليكم بالجنب، لأن غسل جميع بدنه وأعضائه يسقط في التيمم [و] فرضه مع ذلك الغَسل.

[قلنا] وقد احترزنا من هذا بقولنا إن الأَرجل عضو من أَعضاء الطهارة الصغرى، فلا يلزمنا بالجنب نقض على هذا.

فإن قال قائل: فما تصنعون في الخبر المروي عن النبي (ص):

(أنه توضأ، فغسل وجهه وذراعيه، ثم مسح رأسه وغسل رجليه، وقال: هذا وضوء الأَنبياء من قبلي، هذا الذي لا تقبل الصلاة إلا به)؟

قيل: هذا الخبر الذي مختلط من وجهين رواهما أصحابك.

أحدهما: أَن النبي (ص) توضأ مرةً مرة، وقال: (هذا الذي لا يقبل الله صلاة إلا به) ولم يأت في الخبر كيفية الوضوء.

والآخر: أَن النبي (ص) غسل وجهه ثلاثاً، ويديه ثلاثاً، ومسح رأسه، وغسل رجليه إلى الكعبين، وقال: (هذا وضوئي ووضوء الأَنبياء من قبلي) ولم يقل: لم يقبل الله صلاة إلا به، فخلطت في روايتك أحد الخبرين بالآخر، لبعدك من معرفة الأَثر.

وبعدُ فلو كانت الرواية على ما أَوردته لم يكن لك فيها حجة، لأن الخبر

إذا خالف ما دل عليه القرآن وجب اطراحه والمصير إلى القرآن دونه.

ولو سلمنا لك باللفظ الذي تذكره بعينه، كان لنا أن نقول: إن النبي (ص) مسح رجليه في وضوئه ثم غسلها بعد المسح لتنظيفٍ أو تبريد أو نحو ذلك مما ليس هو داخلاً في الوضوء، فذكر الراوي الغسل ولم يذكر المسح الذي كان قبله، إما لأنه لم يشعر به بعدم تأمله، أو لنسيانٍ اعترضه، أو لظنه أن المسح لا حكم له، وأن الحكم للغسل الذي بعده، أو لغير ذلك من الأسباب. وليس هذا بمحالٍ.

فإن قال: فقد رويَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ويل للأعقاب من النار)

فلو كان ترك غسل العقب في الوضوء جائزاً لما توعد على ترك غسله.

قلنا: ليس في هذا الخبر ذكر مسحٍ ولا غسلٍ فيتعلق به، ولا فيه أيضاً ذكر وضوء فنورده لنحتج[1] به، وليس فيه أكثر من قوله: ويل للأعقاب من النار.

فإن قال: قد روى أنه رآها تلوح، فقال: (ويل للأعقاب من النار).

قيل له: وليس لك في هذا أيضاً حجة، ولا فيه ذكر لوضوء في طهارة.

وبعدُ فيجوز أن يكون رأى قوماً غسلوا أرجلهم في الوضوء عوضاً عن مسحها، ورأى أعقابهم يلوح عليها الماء، فقال: ويل للأعقاب من النار.

ويجوز أيضاً أن يكون رأى قوماً اغتسلوا من جنابةٍ ولم يغمس الماء جميع أرجلهم، ولا حت أعقابهم بغير ماءٍ، فقال: ويل للأعقاب من النار.

ويمكن أيضاً أن يكون ذلك في الوضوء لقومٍ من طغام العرب مخصوصين، كانوا يمشون حفاة، فتشقق أعقابهم، فيداوونها بالبول على قديم عادتهم، ثم يتوضأون ولا يغسلون أرجلهم قبل الوضوء من آثار النجس، فتوعدهم النبي (ص) بما قال: وكل هذا في حَيِّزِ الإمكان.

---

(١) في النسخة لحتج فأضفنا إليها اللام لتصحيح التعبير.

ثم يقال: له: وقد قابل ما رويت أخبارٌ، هي أصح وأثبت في النظر، والمصير إليها أولى لموافقة ظاهرها لكتاب الله تعالى.

فمنها: إن النبي (ص) قام بحيث يراه أصحابه، ثم توضأ، فغسل وجهه وذراعيه، ومسح برأسه ورجليه.

ومنها: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال للناس في الرحبة:

ألا أدلكم على وضوء رسول الله (ص)

قالوا: بلى، فدعا بعقب فيه ماء، فغسل وجهه وذراعيه، ومسح على رأسه ورجليه، وقال: هذا وضوء من لم يحدث حدثاً.

فإن قال الخصم: ما مراده بقوله:

وضوء من لم يحدث حدثاً؟ وهل هذا إلا دليل على أنه قد كان على وضوء قبله؟

قيل له: مراده بذلك أنه الوضوء الصحيح الذي كان يتوضأ رسول الله (ص)، وليس هو وضوء من غَيَّر وأحدث في الشريعة ما ليس منها.

ويدل على صحة هذا التأويل وفساد ما توهمه الخصم أنه قصد أن يريَهم فرضاً يعولون عليه، وتقيدون به فيه. ولو كان على وضوء قبل ذلك، لكان لم يعلمهم الفرض الذي هم أحوج إليه.

ومن ذلك ما رُوي عن أمير المؤمين (ع) من قوله:

(ما نزل القرآن إلا بالمسح).

ولا يجوز أن يكون أراد بذلك إلا مسح الرجلين، لأن مسح الرؤوس لا خلاف فيه.

ومنه قول ابن عباس رحمه الله

(نزل القرآن بغسلين ومسحين)

ومن ذلك اجماع آل محمد عليهم السلام على مسح الرجلين دون غسلها، وهم

الأئمة والقدوة في الدين، لا يفارقون كتاب الله عز وجل، إلى يوم القيامة(١) وفيما أوردناه كفاية والحمد لله

(سؤال)

فإن قال قائل: فلِمَ ذهبتم في مسح الرأس والرجلين إلى التبعيض؟

(جواب)

قيل له: لما دل عليه من ذلك كتاب الله سبحانه وسنة نبيه (ص).

أما دليل مسح بعض الرأس فقول الله تعالى: (وامسحو برؤوسكم) فأدخل الباء التي هي علامة التبعيض، وهي التي تدخل على الكلام مع استغنائه في إفادة المعنى عنها، فتكون زائدة، لأنه لو قال: (وامسحوا رؤوسكم) لكان الكلام صحيحاً، ووجب منسح جميع الرأس، فلما دخلت الباء التي لم يفتقر الفعل في تعديته إليها أفادت التبعيض.

وأما دليل مسح بعض الأرجل، فعطفها على الرؤوس، والمعطوف يجب أن يشارك المعطوف عليه في حكمه.

وأما شاهد ذلك من السنة فما رُوي أن رسول الله (ص) توضأ ومسح بِناصيته ولم يمسح الكل.

ومن الحجة على وجوب التبعيض في مسح الرؤوس والأرجل إجماع أهل البيت عليهم السلام على ذلك وروايتهم إياه عن رسول الله جدهم (ص)، وهم أخبر بمذهبه.

(سؤال)

فإن قال قائل: ما الكعبان عندكم اللذان تمسحون عليهما؟

---

(١) هو إشارة إلى الحديث المشهور المستفيض: «إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض..». رواه مسلم والبيهقي والحاكم في المستدرك والنسائي في الخصائص وأحمد في المسند، وابن سعد في الطبقات والهندي في كنز العمال، وغيرها. أنظر: (فضائل الخمسة ج ٢. ص ٤٣- ٥٢).

(جواب)

قيل له: العظمان النابتان في ظهر القدمين عند عقد الشراك، وقد وافقنا على ذلك محمد بن الحسن[1] دون من سواه.

دليلنا ما رواه أُبان بن عثمان عن ميسر عن أبي جعفر (ع) أنه قال:

ألا أحكي لك وضوء رسول الله (ص)، ثم انتهى إلى أن قال: فمسح رأسه وقدميه، ثم وضع يده على ظهر القدم[2]

★ ★ ★

ثم قال:[3] وذكرت فأوجزت، وقد علمت أنا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو ذقناه بأفواهنا، أو شممناه بأُنوفنا، أو لمسناه ببشرتنا.

فقال الصادق عليه السلام:

ذكرت الحواس الخمس، وهي لا تنفع في الإستنباط إلا بدليل، كما لا يقطع الظلمة إلا بمصباح.[4].

قال شيخنا المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي رضي الله عنه:

---

(١) هو محمد بن الحسن بن واقد الشيباني مولى بني شيبان وصاحب أبي حنيفة ولد بواسط سنة ١٣٢هـ ومات بالري سنة ١٨٩هـ أخذ عن أبي حنيفة والثوري ومسعر بن كدام والأوزاعي ومالك.

(٢) اختصر المؤلف هذا الحديث، ويبدو أنه قد سقط من النسخة طائفة كبيرة من بحث كيفية الوضوء.

(٣) قد سقط من النسخة أوائل الحديث الثاني المتعلق بحدوث العالم واثبات الصانع.

(٤) أول الحديث هو أنه سأل أبو شاكر الديصاني الإمام الصادق فقال له: ما الدليل على حدوث العالم، فقال (ع): نستدل عليه بأقرب الأشياء، قال: وما هو؟ قال فدعا (ع) بيضة فوضعها على راحته، فقال: هذا حصن ملموم داخله غرقى رقيق لطيف، به فضة سائلة وذهبة مائعة، ثم تنفلق عن مثل الطاووس، أدخلها بشيء؟ فقال: لا، قال: فهذا الدليل على حدوث العالم. قال: أخبرت فأوجزت وقلت فأحسنت، وقد علمت.. » أنظر: توحيد الصدوق ص٣٠٣.

إن الصادق عليه السلام أراد أن الحواس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات. وإن الذي أراه من حدوث الصورة معقول بنا [لوقوع] العلم به على محسوس.(١)

وأعلم- أيّدك الله تعالى- أن الأجسام إذا لم تخل من الصور التي قد ثبت حدوثها فهي محدثة مثلها.(٢)

فصل: (في ذكر مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ووصف شيء من فضله).

روى نقلة الأخبار وحملة الآثار من الخاص والعام أن رسول الله (ص) قال:

(أنا سيد ولد آدم، وأنا سيد البشر)

وقال أمير المؤمنين (ع):

(ما برء الله نسمةً خيراً من محمد صلى الله عليه وآله)

وجاء في الحديث النبي (ص) أنه قال:

(نقلت من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة نكاحاً لا سفاحاً).

ورُوي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال:

(نزل جبرئيل (ع) على رسول الله (ص) فقال:

يا محمد، إن ربك يقرئك السلام، ويقول:

(إني قد حَرَّمت النار على صلب أنزلك، وبطنٍ حملك، وثدي أرضعك).

ورُوي: أن نوره (ص) كان يلوح في جبهة آدم (ع)، وان الله سبحانه أعلَمَ بحاله، وبَيَّنَ أمره، وعهد إليه أن لا يقرب حواء إلا وهما طاهران، لأجل انتقال ذلك النور إلى ولده، وأن عهداً باقياً في عقبه، يأخذه كل أبٍ منهم على

---

(١) في العبارة قلق يحول دون وضوح المعنى ولعل هنا سقوط جملةٍ أو جمل من قلم الناسخ.

(٢) ذلك لأن الجسم أو الهيولى حيث وجدت تكون في صورةٍ ما، ولا يوجد بدون صورة، والصورة متغيرة إذن الجسم متغير فهو محدث، ولذلك قال الفلاسفة: إن شيئية الشيء بصورته لا بمادته.

ابنه، ممن يظهر نور رسول الله (ص) في وجهه، بأنه لا يتزوج إلا بأطهر نساء أهل وقته، حراسةً لهذا النور ألا ينتقل إلا [في] درجات الشرف، ومنازل الطهارة، من الدنس، فلم يزل نوره منتقلاً فيهم، ظاهراً بين أعينهم، يدركه الناس بالمشاهدة، ويرون خلو الوالد منه، إذا انتقل إلى ولده. وهو يزداد بالانتقال بياناً، ويتضاعف بالموارثة برهاناً، إلى انتهى إلى عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، بن عبد مناف رضوان الله عليهم، فعُظم في وجهه، وأضاء في غرته، وعلمت حاله الأحبار، وأخبرت بأمره الكهان، وذاع خبره في البلاد.

حتى رُوي[1] أن أحبار يهود الشام كانت عندهم جبة مغموسة في دم يحيى ابن زكريا (ع)، وكانوا قد وجدوا في كتبهم أن إذا رأيتم الجبة بيضاء والدم يقطر، فاعلموا أن أبا النبي محمد المصطفى قد ولد، فلما رأوا ذلك من حالها، تحققوا ولادة عبدالله بن المطلب، عمدوا بأجمعهم إلى الحرم ليغتالوه، ويغتنموا الظفر به فيقتلوه، فصرف الله سبحانه عنه كيدهم، وردهم خائبين إلى بلادهم، وكانوا إذا سألوا عنه قيل لهم: تركناه نوراً يتلألأ في قريش تلألؤ القمر، فيقول الأحبار: ليس ذلك النور لعبدالله، إنما هو لولده محمد (ص)، ثم ترجع في كفرها وعنادها، فإذا تأملت الحال، وأفاقت للاستدلال قالت: هو هو ورب موسى.

وقيل: إن الكهنة اجتمعت فقالت: نحن نتخوف لتزايد نور عبدالله أن يغلب كهانتنا.

وروى: أن نساء قريش افتتن به، وكُنَّ يتعرضن به في طريقه، حتى لقي منهن ما لقيَ يوسف (ع) من امرأة العزيز، وهو لا يلوي عليهن، ويقول لهن: ليس في سبيل إلى كلامكن.[2]

حتى ورد في الحديث: أن الجوار الأبكار كنَّ يقفن في طريقه، وإذا رمن

---

(١) تجد شطراً من هذه الرواية في مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٧.

(٢) تجد شطراً من هذا الخبر في كتاب اثبات الوصية للمسعودي ص٨٨- ٨٩.

كلامه، تصورت الملائكة لهن في صورة مفزعة، يصدونهن عنه، فيرجعن مذعورات فزعات.

ثم إن وهب بن عبد مناف لما رأى عِظَم أمره، وجلالة قدره، اجتهد في تزويجه آمنة ابنته، وراسل في ذلك عبد المطلب رضوان الله عليه، فزوجه بها، ونقل الله تعالى نور نبيّه إليها، فحملت به في ليلة الجمعة لتسعٍ خلون من ذي الحجة ليلة عرفة، وقيل بل في أيام التشريق،[1] وذلك بمنى عند الجمرة الوسطى، وكانت منزل عبدالله بن عبد المطلب.

فروي عنها من الآيات التي شاهدتها ليلة حملها به وعند ولادتها ما يطول ذكره.

فكان مما قالت: أنه أتاني المخاض، وأنا وحدي، فلما وضعته (ص) رأيته ساجداً، قد رفع أصبعه إلى السماء كالمبتهل المتضرع، ثم غَشِيتني سحابة غيبته عن عيني، وسمعت منها كلاماً، ثم أُعيد إلي، وهو مدرج في ثوب صوف أشد بياضاً من الثلج، وتحته حريرة خضراء، وولد (ص) طاهراً مطهراً.

فكان من دلائل ولادته خمود نيران المجوس، وتزعزع أسرّة الملوك، وكلام كثيرٍ من الدواب، وسقوط الأوثان عن البيت الحرام.

وروى عن عبد المطلب أنه قال:

كنت في تلك الليلة في البيت الحرام أَرُمُّ منه شيئاً، فلما انتصف الليل رأيته قد أهوى من جميع جوانبه مائلاً كالساجد إلى ناحية المقام، ثم استوى قائماً، وسمعت منه تكبيراً عجباً، يقول: الله أكبر رب محمد المصطفى، الآن قد طهرني ربي من أنجاس المشركين وأرجاس الجاهلية. فحرت من ذلك حتى ظننت أني نائم.

ثم إن عبد المطلب أتى آمنة رضوان الله عليها، فسألها عن حالها فاخبرته بولادتها، والآيات التي رأتها، فقال لها أريني الولد، فقالت: لا سبيل لأحدٍ إلى

---

(١) هي ثلاثة أيام يبتدئ أولها ثاني يوم النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة إلى العصر.

رؤيته حتى تمضي ثلاثة أيام، فعند ذلك جرد سيفه ليقتل نفسه، فقالت: هو في ذلك البيت، ادخل إن أحببت أن تراه، فلما دخل عبد المطلب تراءى له رجل، وقال إليك يا عبد المطلب، لا سبيل لك إلى رؤيته حتى تنقطع عنه زيارة الملائكة.

وكانت ولادته (ص) يوم الجمعة عند طلوع الفجر في اليوم السابع عشر(١) من ربيع الأول عام الفيل(٢) بمكة في شعب أبي طالب رضوان الله عليه.

وهذا اليوم الذي ولد فيه سيدنا رسول الله (ص) يوم عظيم الشرف، جليل القدر، لم يزل آل محمد (ع) يعظمونه، ويرعون حرمته، ويتطوعون بصيامه والصدقة فيه.

وروي أن من صامه كتب الله له صيام سنة.

ولما صار له (ص) شهران توفي أبوه عبدالله بن عبد المطلب رضوان الله عليه، عند أخواله بالمدينة.

وكذلك ماتت أمه رحمة الله عليها وهو طفل.

ورُوي أن الله تعالى أيتم نبيه (ص) لئلا تجري عليه رئاسة لأحد من الناس.

وشَرَّفَ الله تعالى حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه، وخصها بتربيته، وكانت ذات عقلٍ وفضل. فروت من آياته ما يبهر عقول السامعين، وأغناها الله ببركته في الدنيا والدين.

وكان لا يرضع إلا من ثديها اليمين.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أُلهِمَ العدل حتى في رضاعه، لأنه علم أن له شريكاً، فناصفه عدلاً منه (ص).

---

(١) وهو المشهور بين الشيعة الإمامية، وقيل في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وهو المعروف بين الجمهور وبه قال أبو جعفر الكليني من الإمامية، وقيل لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وقيل لعشر خلون منه.

(٢) وذلك بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسة وستين يوماً، وقيل أقل من ذلك وكان قدومهم مكة يوم الأحد لخمس ليالٍ خلون من المحرم.

قالت حليمة: فكان ثديي اليمين لرسول الله، واليسار لولدي ضميرة، وكأن ولدي لا يشرب حتى يراه قد شرب.

قالت: ولم أرقط ما يُرى للأطفال طهارة ونظافة، وإنما كان له وقت واحد، ثم يعود إلى وقته من الغد.

وما كان شيء أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفاً، فكنت إذا كشفته يصيح حتى أستر عليه.

ورُويَ عنها أنها قالت: سمعته لما تمت له سنة، يتكلم بكلامٍ، لم أسمع أحسن منه. سمعته يقول: قدوس، قدوس، نامت العيون، والرحمن لا تأخذه سِنَة ولا نوم.

ولقد ناولتني امرأة كف تمرٍ من صدقه، فناولته منه، وهو ابن ثلاث سنين، فرده عَلَيَّ، وقال: يا أُمه، لا تأكلي الصدقة، فقد عظمت نعمتك، وكثر خيركِ، فإني لا آكل الصدقة.

قالت: فوالله ما قبلتها بعد ذلك من أحدٍ من العالمين.

وكان بنو سعد يرون البركات بمقامه معهم، وسكناه بينهم، حتى إنهم كانوا إذا عرض لدوابهم بؤس أتوا بها إليه، ليمسها بيده، فيزول ما بها، وتعود إلى أحسن حالها.

ولم يزل كذلك إلى أن ردته حليمة إلى أهله، فاشتمل عليه جده عبد المطلب، يحبوه التحف، ويمنحه الطُرَف، ويعد قريشاً به، ويخبرهم بما يكون من حاله، إلى أن ذنت وفاته فوضعه في حجر أبي طالب، وأوصاه به، وأمره بحياطته ورعايته، وعَرّفه ما يكون من أمره.

ثم توفي عبد المطلب رضوان الله عليه في شهر ربيع الأول، وللنبي (ص) ثماني سنين من عمره، فكفله أبو طالب أحسن كفالة، ولم يكن له يومئذٍ ولد، وكانت امرأته فاطمة بنت أسد بن هاشم المعروفة بسودة الفاضلة، فتولت معه تربيته، وأحسنا جميعاً حياطته ورعايته، واتخذاه لأنفسهما ولداً، ولم يؤثرا عليه في المحبة ولدا، وقد شغفا بواضح دلالته، وذهلا من ظاهر حجته.

والكهان مع ذلك يخبرونه بشأنه، ويتعجبون من جلي برهانه، ويبشرون أبا طالب بأمره، وبأنه سيكفل ولداً له من ظهره.

ثم نشأ (ص) نشوءاً يحير أهل عصره، يحضر مشاهد قريش كلها، غير السجود للأصنام [والعبادة][1] لها، وشرب الخمر، ونظم الشعر، وافتعال الكذب، والاشتغال باللعب، إلى أن أظهر الله أمره، وأعلى قدره، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.

فصل: في ذكر شيء من معجزات رسول الله (ص) وباهر آياته.

فمن ذلك: أنه دعا شجرةً فجاءت تخدّ الأرض، ثم أشار إليها فرجعت.

ومن ذلك: أنه مسح شطري ضرع العناق[2] وهما ملتصقان، لا لبن فيهما، فدر، وحُلب منه لبن كثير. هذا في هجرته إلى المدينة. وذلك مشتهر قد أتت به الأخبار، وقيل فيه الأشعار.

ومن ذلك: رمى الحصى في وجوه الأعداء يوم بدر، فنالهم في عيونهم ما نالهم، وكانت في الحال عزيمتهم، وأنزل الله سبحانه:

(وما رميت إذ رميت، ولكن الله رمى) الانفال: ١٧.

وفعل مثل ذلك يوم حنين وقال:

(شاهت الوجوه)، فانهزم المشركون بأسرهم.

ومن ذلك: إخباره عن العير التي جاءت من الشام، وحال القوم وأفعالهم، وما معهم من متاعهم، وكثير من كلامهم.

ومن ذلك: كلام الذئب والضب أيضاً معروف.

ومن ذلك: الميضاة[3] التي وضع فيها يده، وفيها شيء يسير من الماء، فشرب منه خلق كثير، وتوضأوا منه.

---

(١) في النسخة كلمة غير واضحة

(٢) هي الأنثى من أولاد المعزى قبل استكمالها الحول.

(٣) هي المطهرة الكبيرة التي يتوضأ منها.

ومن ذلك: أن ناقةً ضلت من صاحبها في بعض أسفاره، فقال المنافقون: لو كان نبياً لعَلِمَ أين الناقة، فبلغه ذلك فقال: الغيب لا يعلمه إلا الله، انطلق يا فلان، لصاحب الناقة، فإن ناقتك بمكان كذا، قد تعلق زمامها بالشجرة، فوجدها كما قال (ص).

ومن ذلك: أنه أقام بتبوك (ع)، فنفدت أزوادهم، فأمرهم عليه السلام، فجمعوا ما بقي منها، ثم أمر بأنطاع فبسطت، وقال: من كان عنده فضل زادٍ فليأتنا به، فكان الرجل يأتي بالمد الدقيق، والسويق، والقليل من الخبز، فيوضع كل صفٍ على حدة، فكان جميع ذلك قليلاً، ثم توضأ وصلى ودعا بالبركة فيه، فكثر ذلك، حتى فاض من الأنطاع، ثم نادى الناس: أن هلموا، فأقبل الناس، فحملوا من كل شيء، حتى ملأوا كل جراب ومزودٍ

ومن ذلك: أنه نزل بالحديبية فإذا ببئرها لا ماء فيها، فشكا الناس ذلك إليه (ص)، فأخرج سهماً من كنانته، فدفعه إلى البراء بن عازب، فنزل في البئر، فأقبل الماء من عيون البئر، حتى ملأوا كل ما معهم، وسقوا ركائبهم.(١)

ومن ذلك: أنه كان في سفر، فاستيقظ من نومه، فقال: مع من وضوء؟ فقال: أبو قتادة: معي في ميضاة، فأتاه به، فتوضأ، وفضلت في الميضاة فضلة، فقال (ع): احتفظ بها يا أبا قتادة، فسيكون لها شأن، فلما حمي النهار واشتد العطش بالناس، فابتدروا إلى النبي (ص) يقولون: الماء الماء، فدعا النبي (ص) بقدحه، ثم قال: هلم الميضاة يا أبا قتادة، فأخذها، ودعا فيها، وقال: اسكب، فسكب في القدح، وابتدر الناس الماء فقال رسول الله (ص): كلكم يشرب إن شاء الله تعالى، فكان أبو قتادة يسكب، ورسول الله (ص) يسقي، حتى شرب الناس أجمعون. ثم قال النبي (ص) لأبي قتادة: اشرب، فقال: لا، بل اشرب أنت يا رسول الله، فقال: اشرب فإن ساقي القوم آخرهم يشرب، فشرب أبو قتادة، ثم شرب رسول الله، وانتهى القوم رواءً.

---

(١) تجد هذه المعجزة مفصلةً في كتاب اعلام النبوة ص٦٨.

ومن ذلك: أنه أُتي بشاةٍ، فأخذ بأذنها بين أصبعيه ثم خلاها، فصار لها وسم[1] وكانت تولد والأثر في أولادها.

ومن ذلك: ما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، قال: أصاب الناس يوم الخندق كدية[2] ضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت، فأخبروا رسول الله (ص) فدعا بماء فصبه عليها، فصارت كثيباً.[3]

ومن ذلك: أن اعرابياً باع شيئاً من أبي جهل فمطله، فأتى قريشاً فقال: اعدوني على أبي الحكم، فقد لوى بحقي، فأشاروا إلى النبي (ص) وقالوا: أنت هذا الرجل فاستعد عليه، وهم يهزأون بالإعرابي، ويريدون أن يغروا أبا جهل برسول الله (ص) فأتى الإعرابي رسول الله (ص)، فقال: يا عبدالله، أعدني على عمرو بن هشام، فقد مطلني حقي، قال: نعم، فمضى معه النبي (ص) فضرب على أبي جهل بابه، فخرج متغيراً، فقال: ما حاجتك؟ فقال: اعط هذا الرجل حقه، قال: نعم، الساعة، فأعطاه فجاء الرجل إلى قريش فقال: جزاكم الله خيراً، انطلق معي الرجل الذي دللتموني عليه، فأخذ لي حقي، وجاء أبو جهل، فقالوا: أعطيت الإعرابي حقه؟ قال: نعم قالوا: إنما اردنا أن نغريك بمحمد (ص) قال: ما هو إلا أن دق بابي، وسمعت كلامه، فما تمالكت أن خرجت إليه، وخلفه مثل الفالج[4] فاتح فاه، فكأنما يريدني، فقال: اعطه حقه، فلو قلت: لا، لا لابتلع رأسي.[5]

---

(١) أي علامة

(٢) الكدية هي الضخرة الصلدة.

(٣) تجد هذه المعجزة مفصلة في اعلام النبوة للماوردي ص٦٦- ٦٧ نقلها عن البخاري عن عبدالواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر.

(٤) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين، وفي رواية ابن هشام: وإن فوق رأسه لفحلاً.

(٥) رواه ابن هشام في السيرة ج١ ص٤١٦- ٤١٧ مع اختلاف يسير.

ومن ذلك: أن أبا جهلٍ جاء إلى النبي (ص) ومعه حجر، يريد أن يرميه به، إذا سجد، فلما سجد رسول الله (ص) رفع أبو جهل يده، فيبست على الحجر، فقالوا له: أجبنت؟ قال: لا، ولكن رأيت بيني وبينه كهيئة الفحل، يخطر بذنبه.

وهذا الحديث مشهور، وفيه يقول أبو طالب رضوان الله عليه:

افيقوا بـــني غالـــبِ وانتهوا
عن الغي في بعـــض ذا المنطـــق
وإلا فـــإني إذاً خائـــف
بوائــــــق في داركم تلتقي
تكون لعابركم عـــــــبرة
ورب المغـــارب والمشـــرق
كما ذاق من كـــان من قبلـــكم
ثمود وعـــــاد، فمن ذا بقي
غـــداه أتتهم بهـــا صرصر
وناقـــة ذي العرش إذ تستقي
فحـــلّ عليهم بهـــا سخطـــةٌ
من الله في ضربـــــة الأزرق
غـــداه [يعـــض](١) بعرقوبهـــا
حسام من الهنـــد ذو رونـــق
وأعجــــب من ذاك في أمركم
عجائـــب في الحجر الملصـــق
يكـــف الـــذي قـــام من جبنـــه
إلى الصابر الصـــــادق المتقي
فأيبسه الله في كفــــــه
عـــلى رغم ذي الخائن الأحـــق

---

(١) في النسخة كلمة غير واضحة.

وهذا مما يستدل به على صحيح إيمان أبي طالب بالله تعالى ورسوله (ص)، لما تضمنه قوله من إقراره بالله سبحانه، واعترافه بآياته، وبالمعجز الذي بان لنبيه، وإخباره عنه بأنه صابر صادق متقي.

ومن ذلك: أن امرأة سلام بن مسكين أتت بشاةٍ قد سمتها إلى النبي (ص)، فقال: ما هذا؟ فقالت: أُلطفك بها، وكان مع النبي (ص) بشر بن البراء بن المعرور، فتناول النبي (ص) من الذراع، وتناول بشر، فأما النبي (ص) فإنه لاكها ثم لفظها، وقال: إن هذه الذراع تكلمني وتزعم أنها مسمومة، وأما بشر فلاك البضعة ليبلعها فمات منها، فأرسل النبي (ص) إلى المرأة فأقرت، فقال: ما دعاك إلى هذا؟ قالت: قتلت زوجي وأشراف قومي، فقلت إن كان ملكاً قتلته، وإن كان نبياً فسيطلعه الله على ذلك.(١)

ومن ذلك: أن صفوان بن أمية، وعمرو بن وهب الجمحي قالا: من لنا بمحمد؟ فقال عمرو بن وهب: لولا دين علي لخرجت إلى محمد حتى أقتله، فقال: صفوان: عليَّ دينك، ونفقة عيالك إن قتلته. فخرج حتى قدم المدينة، فدخل على رسول الله (ص) فقال: أنعم صباحاً، أبيت اللعن، فقال النبي (ص): قد أبدلنا الله بها خيراً منها، قال: إن عهدك بها حديث، قال: أجل، ثم أكرمنا الله بالنبوة، ثم قال: يا عمرو، ما جاء بك؟ قال: ابني أسير عندكم، قال: لا ولكنك جلست مع صفوان، ثم قص عليه الذي قال، فقال عمرو: والله ما حضرنا أحد، وما أتاك بهذا إلا الذي يأتيك بأخبار السماء، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.(٢)

ومن ذلك: أن المدينة أجديت فشكوا ذلك إلى رسول الله (ص)، فرفع يديه إلى السماء وقال:

اللهم إني سألتك فأعطيتني، ودعوتك فأجبتني، اللهم اسقنا غيثاً مرياً،

---

(١) أشير إلى هذا في مناقب آل أبي طالب ج١ ص٨١.

(٢) تجد هذا مختصراً في مناقب آل أبي طالب ج١ ص١١٣.

مريعاً، عاجلاً، غير رايث، نافعاً غير بايث، نافعاً غير ضار، فمطر الناس للوقت، وسالت الأودية، وامتلأ كل شيء، فدامت جمعة.

فأتى رجل فقال: غرقنا، وتقطعت السبل في أسواقنا، فقال رسول الله (ص): حوالينا ولا علينا.

فانجاب السحاب عن المدينة، وكان فيما حولها حتى حصلت السماء فوقها، والسحاب ذلك[1].

فقال كل واحد منهم في نفسه: آمنت إذا مضيت أن يأتي أحد غيري فيشعر بي، فاجتمعوا بأسرهم لاتفاق ما في نفوسهم، ولِمَا أزعجهم من التعجب لاستماع ما حيرهم وأذهلهم، فوقفوا إلى الصباح، فلما انصرفوا اجتمعوا أيضاً، وافتضح بعضهم عند بعضٍ، وجددوا العهد بينهم، ثم عادوا حتى فعلوا ذلك عدة دفعات، تطلعاً إلى سماع القرآن مع ما هم عليه من الإصرار على العناد.

وأما تعجب الجن فقولها:

(إنا سمعنا قرآناً عجباً، يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً). سورة الجن: ١

فصل: من البيان عن إعجاز القرآن

فمن ذلك عجز بلغاء العرب عن الإتيان بمثله في فصاحته ونظمه مع علمهم بأن النبي (ص) قد جعله عَلَماً على صدقه، وسماعهم للتحدي فيه على أن يأتوا بسورةٍ من مثله. هذا مع اجتهادهم في دفع ما أتى به (ص)، وتَوَفّر دواعيهم إلى إبطال أمره، وفَلِّ جمعه، واستفراغ مقدورهم في أذيته، وتعذيب أصحابه، وطرد المؤمنين به.

ثم ما فعلوه بعد ذلك من بذل النفوس والأموال في حربه، والحرص على إهلاكه، مع علمهم بأن ذلك لا يشهد بكذبه، ولا فيه إبطال الحجة، ولا يقوم مقام معارضته فيما جعله دلالة على صدقه، وتحداهم على الإتيان بمثله.

---

(١) تجد هذا في مجالس المفيد ص ١٣٩ رواها باسناده عن مسلم الغلابي مع زيادات.

وقد كانوا قوماً فصحاء، حكماء، عقلاء، خصماء، لا يصبرون على التقريع، ولا يتغاضون عن التعجيز، وعاداتهم معروفة في التسرع[1] إلى الافتخار، وتحدِّي بعضهم لبعض بالخطب والأشعار، وفي انصرافهم عن المعارضة دلالة على أنها كانت متعذرة عليهم، وفي التجائهم إلى الحروب الشاقة دونها بيان أنها الأيسر عندهم.

وأي عاقل يطلب أمراً،[2] فيه هلاك حاله، والتغرير بنفسه، وهو يقدر على كلامٍ يقوله، يغنيه بذلك، وينال به أمله ومراده، فلا يفعله.

هذا ما لا يتصور في العقل، ولا يثبت في الوهم، وفي عجزهم الذي ذكرناه حجة في بيان معجز القرآن، وفي صحة نبوة نبينا (ص).

ومن ذلك: ما يتضمنه من أخبار الدهور الماضية، وأحوال القرون الخالية، وأبناء الأمم الغابرة، ووصف الديار الداثرة، وقصص الأنبياء المتقدمين، وشرح أحكام أهل الكتابين، مما لا يقدر عليه إلا من اختص بهم، وانقطع إلى الإطلاع بكتبهم، وسافر في لقاء علمائهم، وصحب رؤساءهم.

ولما كان نبينا (ص) معلوم المولد[3] والدار، والمنشأ والقرار، لا تخفى أحواله، ولا تستتر أفعاله، لم يلف قبل بعثته مدارساً لكتاب، ولا رُئي مخالطاً لأهل الكتاب، ولم يزل معروفاً بالإنفراد عنهم، غير مختصٍ بأحدٍ منهم، ولا سافر لاتباع عالم سراً ولا جهراً، ولا احتال في نيل ذلك أولاً ولا آخراً، عُلِمَ أنه لم يأخذ ذلك إلا عن رب العالمين، دون الخلائق أجمعين، وثبت صدقه وحجته، وإعجاز الوارد على يده. وكان قول الله عز وجل:

(وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين). سورة القصص: ٤٤

وقوله عز وجل:

---

(١) في النسخة الشرع

(٢) في النسخة (فيه بما)

(٣) في النسخة (المولود)

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون). سورة القصص: ٤٦.

يعضد ما ذكرناه، ويشهد بصحة ما وصفناه.

ومن ذلك أيضاً: ما ثبت فيه من الإخبار بالكائنات قبل كونها، وإعلام ما في القلوب وضمائرها، كقوله سبحانه في اليهود من أهل خيبر:

ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون، لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار، ثم لا ينصرون). سورة آل عمران: ١١١

وكان الأمر في هزيمتهم وخذلانهم كما قال سبحانه.

وقال في قصة بدر تشجيعاً للمسلمين، وإخباراً لهم عن عاقبة أمرهم وأمر المشركين:

(سيهزم الجمع ويولون الدبر). سورة القمر: ٤٥

وكان ذلك يقيناً كما قال سبحانه.

وقال فيهم:

(الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يغلبون) سورة الانفال: ٣٦.

فكان الظفر قريباً كما قال سبحانه.

وقال عز اسمه:

(ألم غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيُغلبون، في بضع سنين، لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) سورة الروم: ٢ و٣.

فأخبر الله تعالى عن ظفرهم بغلبهم وغلبتهم له، وحدد زمان ذلك، وحصره، فكان الأمر فيه حسب ما قال سبحانه.

وقال عز وجل:

(يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياءُ لله من دون الناس فتمنوا الموتِ إن كنتم صادقين، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) سورة الجمعة: ٦ و٧

فقطع على بغيهم، وأعلم أنهم لا يتمنون الموت، فلم يقدر أحد منهم على دفعه، ولا أظهر تمنيه، كان الأمر في ذلك موافقاً لما قال سبحانه.

[وقال تعالى]:

(ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) سورة المجادلة: ٨.

فأخبر عن ضمائرهم بما في سرائرهم قبل أن يبدو على ألسنتهم، وكان الأمر كما قال سبحانه.

وقال في أبي لهب وهو حي متوقع منه الإيمان والبصيرة والإسلام:

تبت يدا أبي لهب) سورة المسد: ١

فمات على كفره ولم يصر إلى الإسلام.

وقال تعالى لنبيه (ص):

(إنا كفيناك المستهزئين) سورة الحجر: ٩٥.

وكلهم يومئذٍ حي عزيز في قومه، فأهلكهم الله أجمعين، وكفاه أمرهم على ما أخبر به.

وأمثال ذلك كثيرة يطول بها الكتاب، وقد ذكرها أهل العلم[1]، وهذا طرف منها، يدل على معجزة القرآن، وصدق من أتى به (ع).

دليل على حدوث العالم:

الذي يدلنا على ذلك أنا نرى أجساماً لا تخلو من الأحداث المتعاقبة عليها،

---

(١) نجد ذلك في أكثر المؤلفات الموضوعة فى حياته ومعجزاته وكراماته واعجاز القرآن من الشيعة والسنة على السواء.

ولا يتصور في العقل أنها كانت خالية منها، وهذا يوضح أنها محدثة مثلها، لشهادة العقل بأن ما لم يوجد عارياً من المحدث فإنه يجب أن يكون مثله محدثاً.

وهذه الحوادث هي: الإجتماع، والإفتراق، والحركة، والسكون، والألوان، والروائح، والطعوم ونحو ذلك من صفات الأجسام التي تدل على أنها أشياء غير الجسم [ما نراه] من تعاقبها عليه، وهو مع كل واحدٍ منها. وهذا يقين أيضاً على حدوثها، لأن الضدين المتعاقبين لا يجوز أن يكونا مجتمعين في الجسم، ولا يتصور اجتماعها في العقل، وإنما وجد أحدهما وعدم الآخر، فالذي طرأ ووجد هو المحدث، لأنه كائن بعد أن لم يكن، والذي انعدم أيضاً محدث، لأنه لو كان غير محدث لم يجز أن ينعدم، ولأنه مثله أيضاً قد تجدد وحدث.

والذي يشهد بأن الأجسام لم تخل من هذه الحوادث بداية[1] العقول وأوائل العلوم، إذ كان لا يتصور فيها وجود الجسم مع هذه الأمور.

ولو جاز أن يخلو الجسم منها فيما مضى لجاز أن يخلو منها الآن وفيما يستقبل من الزمان.

والذي يدل على أن حكم الجسم كحكمها في الحدوث، أن المحدث هو الذي لوجوده أول، والقديم هو المتقدم على كل محدثٍ، وليس لوجوده أول. فلو كان الجسم قديماً لكان قبل الحوادث كلها، خالياً منها.

وفيما قدمناه من استحالة خلوه منها دلالة على أنه محدث مثلها والحمد لله.

---

(١) المراد به البداهة العقلية.

فصل

في الأشعار المأثورة عن أبي طالب بن عبد المطلب (ره) التي يستدل بها على صحة ايمانه

من ذلك قوله في قصيدته اللامية:

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمدٍ.
وأحببته حب الحبيب المواصل
وجُدت بنفسي دونه وحميته
ودارأت عنه بالذرا والكلاكل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
وشيئاً لمن عاداه زين المحافل
حليماً رشيداً خازماً غير طائشٍ
يوالي آله الخلق ليس بما حل
فأيّدَه رب العباد بنصره
وأظهر ديناً حقه غير باطل
لقد علموا ان ابننا لا مكذب
لدينا ولا يُعنى بقيل الأباطل(١)

ومن قطعةٍ ميميةٍ:

ترجون أن نسخى بقتل محمدٍ
ولم تختضب سحر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تُعَرَّفوا
جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة أوردها ابن هشام في السيرة ج١ ص٢٨٦ - ٢٩٨ مع اختلاف يسير.

وتقطـــع أرحـــام وتنسى حليلـــة
حليـــلاً ويغشى محرمـــاً بعـــد محرم
وينهـــض قوم في الحديـــد إليـــكم.
يـــذودون عن أحسابهم كـــل مجرم
عـــلى مـــا أتـــى من بغيـــكم وضلالـــكم
وغشيانـــكم في أمرنـــا كـــل مـــأثم
بظـــلم نـــبي جـــاء يدعو إلى الهـــدى
وأمرٍ أتـــى من عنـــد ذي العرش مـبرم
فـــلا تحسبونـــا مسلميـــه ومثلـــه
إذا كـــــــان في قومٍ فليس بمسلم

وقوله أيضاً:

أخلتم بأنـــــا مسلمون محمـــــــداً
ولمـــا نقـــاذف دونـــه بالمراجم
أصبنـــا حبيبـــاً في البـــلاد مسومـــاً
بخـــــــــــاتم رب قاهرٍ للجرائم
يرى النـــاس برهانـــاً وهيبـــةً
ومـــا جاهـــل في فعلـــه مثـــل عـــالم
نـــبي أتـــاه الوحي من عنـــد ربـــه
فمن قـــال لا يقرع بهـــا سن نـــادم
تطيـــف بـــه جرثومـــة هاشميـــة
يذبـــون عنـــه كـــل بـــاغٍ وظـــالم

وقوله أيضاً:

ألا أبلغـــا عـــني عـــلى ذات بينهـــا
لؤيـــاً وخُصَّا من لؤي بـــني كعـــب

ألم تعلموا أنـــا وجدنـــا محمـــداً
نبيـاً كموسى خـط في أول الكـتـب[1]
وإن عليــــه في العبــــاد محبـــة
ولا سن فيمن خصـــه الله بالحـــب

وقوله أيضاً يحض أخاه حمزة بن عبد المطلب (ره) على اتباع رسول الله (ص) ونصرته:

فصـــبراً أبــا يعـلى عــلى دين أحمدٍ
وكن مظهراً للـــدين وفقـــت صابرا
وحــط من أتـى بالـدين من عنـد ربه
بصـــدقٍ وحـــقٍ ولا تكن حمز كافرا
فقـــد سرني إذ قلـــت أنـــك مؤمن
فكن لرسول الله في الله ناصرا
وبـــاد[2] قريشاً بالــذي قـــد أتيتــه
جهـــاراً وقـــل مـــا كـــان أحمد ساحرا

وقوله لابنه جعفر وقد أمره بالصلاة مع النبي (ص) وقال: يا بني صل جناح ابن عمك فلما أجابه قال:

إن عليـــــــاً وجعفراً ثقـــــــى
عنـــد مـــلمّ الزمـــان والكرب
والله لا أخـــــذل النـــــبي ولا
يخذلـــــه من بـــــنيَّ ذو حسب
لا تخـــــــذلا وانصرا ابن عمكما
أخي لأمي من بينهم وأبي

وقوله أيضاً:

---

(١) في الفصول المختارة هكذا:
ألم تعلموا أنـــا وجدنـــا محمـــداً رسول أمينٍ خط في سالف الكتب

زعمـــــــت قريش أن أحمد ساحر
كذبوا ورب الراقصـــــات إلى الحرم
مـــا زلـــت أعرفـــه بصـــدق حديثـــه
وهو الأمـــين عـــلى الخرائـــب والحرم
بهتوه، لاسعـــــدوا بقطرٍ بعدهـــــا
ومضـــــت مقالتهم تسير إلى الأمم

وقال في الإقرار بالتوحيد:

مليـــك النـــاس ليس لـــه شريـــك
هو الوهـــاب والمبـــدي المعيـــد
ومن فوق السماء لـــــه بحـــقٍ
ومن تحت السماء لـــــه عبيـــد

وقال أيضاً:

يـــا شاهـــد الله عَلَيَّ فاشهـــدِ آمنـــت بالواحـــد رب أحمد
من ضل في الدين فإني مهتدي

وهذا كله دليل واضح على إيمانه رضوان الله عليه بالله تعالى وبرسوله (ص).

ومن الحديث الوارد بصحة إيمانه، ما أخبرني به شيخي أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن علي المعروف بابن الواسطي رضي الله عنه.

قال: أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: أخبرني أبو علي بن همام، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد القمي الأشعري، قال: حدثني منجح الخادم مولى بعض الطاهرية بطوس، قال: حدثني أُبان بن محمد، قال: كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى عليه السلام:

جعلت فداك، قد شككت في إيمان أبي طالب.

قال: فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى. إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.

وباسناده إلى أبان بن محمد بن يونس بن نباته عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال:

يا يونس، ما يقول الناس في إيمان أبي طالب؟

قلت: جُعلت فداك، يقولون: هو في ضحضاحٍ من نار يغلي منها أُم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ومن ذلك ما حدثنا به الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي رضي الله عنه، قال: حدثني القاضي أبو الحسين محمد بن عثمان بن عبدالله النصيبي في داره، قال: حدثنا جعفر بن محمد العلوي، قال: حدثنا عبيدالله بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن زياد، قال: حدثنا مفضل بن عمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه كان جالساً في الرحية، والناس حوله، فقام إليه رجل، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذب في النار، فقال له:

مه، فض الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنبٍ على وجه الأرض لشفعه الله، أأبي معذب في النار؟ وابنه قسيم الجنة والنار، والذي بعث محمداً بالحق، إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار، نور محمد، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ونور ولده من الأئمة، ألا إن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.

ومن ذلك: ما حدثني به الحسن بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي قراءة عَلَيَّ من طريق نقل العامة، قال: حدثني أبو القاسم منصور بن جعفر بن ملاعب قراءةً عَلَيَّ، قال: حدثنا أبو عيسى محمد بن داود بن جندل الحلبي،

قال: أخبرنا علي بن حرب، قال: حدثنا زيد بن الجناب، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت :بن اسحاق، عن عبدالله العباس أنه سأل رسول الله (ص) فقال: ما ترجو لأبي طالب، فقال: كل خيرٍ أرجو من ربي عز وجل.

وحدثني أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني، قال: حدثنا أبو القاسم ميمون بن حمزة الحسيني، قال: حدثنا مزاحم بن عبد الوارث البصري، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أيوب الجوهري، قال: حدثنا العباس بن علي، قال: حدثنا علي بن عبدالله الجرشي، قال: حدثنا جعفر بن عبد الواحد بن جعفر، قال: قال لنا العباس بن الفضل، عن اسحاق بن عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس، قال: سمعت أبي يقول: سمعت المهاجر مولى نوفل اليماني يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: حدثني محمد (ص): إن ربه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبدالله وحده، ولا يعبد معه غيره، ومحمد عندي الصادق الأمين.

فصل: من أخبار عبد المطلب رضي الله عنه.

وأخبرني شيخي أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن علي الواسطي رضي الله عنه قال: أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: أخبرني محمد بن همام، وأحمد بن هوذه جميعاً، عن أبي محمد الحسن بن محمد بن جمهور القمي، قال: حدثنا أبي، عن الحسن بن محبوب الزراد، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه قال:

لما ظهرت الحبشة باليمن، وَجّه يكسوم ملك الحبشة بقائدين من قواده، يقال لأحدهما إبرهه، والآخر رباط، في عشرة من الفيلة، كل فيل في عشرة آلاف، لهدم بيت الله الحرام، فلما صاروا ببعض الطريق وقع بأسهم بينهم، واختلفوا، فقتل إبرهه أرباط، واستولى على الحبش.

فلما قارب مكة طرد أصحابه عيراً لعبد المطلب بن هاشم. فصار عبد المطلب إلى إبرهه، وكان ترجمان إبرهة والمستولي عليه ابن داية لعبد المطلب، فقال الترجمان لإبرهة:

هذا سيد العرب ودَيَّانها ، فأجله وأعظمه . ثم قال لكاتبه : سله ما حاجته؟ فسأله . فقال: إن أصحاب الملك طردوا لي نعماً ، فأمر بردها ، ثم أقبل على الترجمان ، فقال: قل له: عجباً لقوم سودوك ، ورأسوك عليهم حيث تسألني في عيرٍ لك ، وقد جئت لأهدم شرفك ومجدك ، ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت .

فقال: أيها الملك ، إن هذه العير لي ، وأنا ربها ، فسألتك إطلاقها ، وإن لهذه البنية رباً يدفع عنها .

قال: فإني غادٍ لهدمها ، حتى أنظر ما ذا يفعل .

فلما انصرف عبد المطلب رحل إبرهة بجيشه ، فإذا هاتف يهتف في السحر الأكبر: يا أهل مكة ، أتاكم أهل عكة ، بجحفلٍ جرارٍ ، يملأ الأندار ملء الجفار[1] ، فعليهم لعنة الجبار ، فأنشأ عبد المطلب يقول:

أيها الداعي لقد أسمعتني
كلما قلت وما بي من صمم
إن للبيت لرباً مانعاً
من يرده بآثامٍ يصطلم
رامه تبع[2] في أجناده
حمير والحي من آل إرم[3]
هلكت بالبغي فيهم جرهم
بعد طسم وجديس وجثم[4]
وكذاك الأمر فيمن جاده
ليس أمر الله بالأمر الأَمم[5]

---

(١) جفار جمع جفرة وهي سعة في الأرض مستديرة.

(٢) هو من ملوك اليمن

(٣) أي من آل عاد وعليه قوله تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد.

(٤) جرهم وطسم وجديس وجثم هي قبائل عربية بائدة.

(٥) الآمم بالتحريك اليسير.

نحن آل الله فيما قد خلا
لم يزل ذاك على عهد ابْرَهَمَ[1]
نعرف الله وفينا شيمة
صلة الرحم ونوفي بالذمم
لم يزل لله فينا حجة
يدفع الله بها عنها النقم[2]
ولنا في كل دورٍ كرة
نعرف الدين وطوراً في العجم
فإذا ما بلغ الدور إلى
منتهى الوقت أتى الطين[3] قدم
بكتابٍ فصلت آياته
فيه تبيان أحاديث الأُمم[4]

فلما أصبح عبد المطلب جمع بينه، وأرسل الحرث ابنه الأكبر إلى أعلى جبل أبي قبيس فقال: انظر ما ذا يأتيك من قبل البحر، فرجع فلم ير شيئاً، فأرسل واحداً بعد آخر من ولده، فلم يأته أحد منهم عن البحر بخبر، فدعا ولده عبدالله، وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذؤابة تضرب إلى عجزه، فقال له: اذهب- فداك أبي وأُمي- فاعل أبا قبيس، وانظر ماذا ترى يجيىء من البحر، فنزل مسرعاً، فقال: يا سيد النادي، رأيت سحاباً من قبل البحر مقبلاً، يسفل تارة، ويرتفع أخرى، إن قلت غيماً قلته، وإن قلت جهاماً[5] خلته، يرتفع تارة وينحدر أُخرى.

فنادى عبد المطلب: يا معشر قريش، ادخلوا منازلكم، فقد أتاكم الله بالنصر من عنده.

---

(١) أي ابراهيم عليه السلام

(٢) روى هذه الأبيات المسعودي في المروج ج٢ ص١٢٩ باختلاف في بعضها.

(٣) الأحمر المشبع حمرة.

(٤) هذه الأبيات الثلاثة لم يذكرها المسعودي.

(٥) هو السحاب الذي لا ماء فيه.

فأقبلت الطير الأبابيل في منقار كل طيرٍ حجر، وفي رجليه حجران، فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب إبرهة، كان يلقي الحجر في قمة رأس الرجل فيخرج من دبره.[1]

وقد قص الله تبارك وتعالى بتأهم، فقال سبحانه:

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارةٍ من سجيل، فجعلهم كعصفٍ مأكول).[2] السجيل: الصلب من الحجارة. والعصف: ورق الزرع. ومأكول: يعني كأنه أُخذ ما فيه من الحب، فأكل وبقي لا حب فيه.

وقيل إن الحجارة كانت إذا وقعت على رؤسهم، وخرجت من أدبارهم، بقيت أجوافهم فارغة خالية، حتى يكون الجسم كقشر الحنطة.

وباسناده عن ابن جمهور رحمه الله، قال حدثني أبي، قال: حدثني علي بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن الطائي، قال: حدثني عمر بن بكر، عن أحمد بن القاسم، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

لما ظفر سيف بن ذي يزن، واسمه النعمان بن قيس بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله (ص) بسنتين، أتته وفود العرب، وأشرافها، وشعراؤها، تهنيه، وتمدحه، وتذكر ما كان من حسن بلائه، وطلبه بثأر قومه، فأتاه فيمن أتاه وفد قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبدالله بن جدعان، وخويلد بن أسد بن عبد العزى، في أُناسٍ من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء[3] فإذا هو في رأس غمدان،[4] وهو الذي ذكره أمية بن

(١) تجد هذه القصة مروية في مجالس الشيخ المفيد باسناده إلى عبدالله بن سنان عن الصادق (ع) مع اختلاف في أسلوبها ص ١٨٤- ٦٨٦.

(٢) سورة الفيل

(٣) هي احدى عواصم اليمن القديمة نزلها الأحباش بعد استيلائهم على اليمن، ولا تزال إلى اليوم عاصمة اليمن الكبيرة.

(٤) غمدان أحد القصور الشهيرة في اليمن، وهو في صنعاء وقد بناه اليشرح يحضب ٣٥- ١٥ق.م. على رواية الهمداني وياقوت وظل باقياً إلى أيام عثمان بن عفان، وكان مؤلفاً من عشرين طبقة، ومما قيل في وصفه. =

الصلت[1] في قصيدته حيث يقول:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً
في رأس غمدان داراً منك محلالا[2]

فدخل الآذن، فأخبره بمكانهم، فأذن لهم، فدنا عبد المطلب، فاستأذنه في الكلام، فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك، فقد أَذِنّا لك، فقال عبد المطلب:

إن الله قد أحلك- أيها الملك- محلاً رفيعاً، صعباً، منيعاً، شامخاً باذخاً،

= يسمو إلى كبد السماء مصعداً — عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامةٍ — ومن الغمام منطق ومؤزر
متلاحكاً بالفطر منه صخرةً — والجزع بين صروحه والمرمر

تاريخ العرب قبل الإسلام

(١) هو أبو الصلت عبدالله بن ربيعة بن عوف بن أمية، والبيت هو له لا لابنه أمية على رواية ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ورواية ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ولكن الأصبهاني في الأغاني نسبة إلى ابنه أمية ابن الصلت.

(٢) هو من أبيات أولها:

لا يطلب الوتر إلا كابن ذي يزنٍ
في البحر لجج للأعداء أحوالا
أتى هرقلاً وقد شالت نعامته
فلم يجد عنده القول الذي قالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعةٍ
من السنين لقد أبعدت إيغالاً
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم
تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

ومنها

من مثل كسرى وسابور الجنود له
أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً
في رأس غمدان داراً منك محلالاً

أنبتك منبتاً طابت أُرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وسبق[1] فرعه، أكرم موطن، وأطيب معدن.

وأنت- أبيت اللعن- ملك العرب وربيعها الذي به نخصب، ورأس العرب الذي إليه تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد.

سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلم يخمل من هم سلفه، ولن يهلك من أنت خلفه.

نحن- أيها الملك- أهل حرم الله، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي ابهجنا لكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة.[2]

فقال سيف: وأيهم أنت أيها المتكلم؟

قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن اختنا؟ قال: نعم، قال: ادن، فدنا.

ثم أقبل عليه وعلى القوم، فقال: مرحباً وأهلاً، وناقة ورحلا، ومستناخاً سهلاً، وملكاً نحلا، يعني يعطي عطاءً جزيلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقَبِلَ وسيلتكم، فإنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم.

ثم نهضوا إلى دار الضيافة والوفود، وأقاموا بها شهراً، لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الإنصراف.

ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب: أني مفضٍ إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به، ولكني رأيتك معدنه، فأطلعتك طلعة،[3] فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره.

---

(١) هكذا في النسخة ولعل الأصل سمق بمعنى ارتفع أو امتد أو الأصل بسق.

(٢) في النسخة (الترزية). والتصحيح عن الأغاني.

(٣) عن نهاية ابن الأثير: أطلعتك طلعة أي أعلمتك.

إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، وللناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

فقال عبد المطلب: مثلك- أيها الملك- سَرَّ وبَرَّ، فما هو؟ فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر.

قال: إذا ولد بتهامة، غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الدعامة، إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أُبت بخير ما آب به وافد، لولا هيبة الملك وإجلاله لسألته [من بشارته][1] إياي ما أزداد به سروراً.

قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولد، اسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه. قد ولدناه مراراً، والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصارا، يعزبهم أولياؤه، ويذل بهم أعداؤه، يضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح به كرائم الأرض، يكسر الأوثان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمان، ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر المعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب: أيها الملك، عز جدك، وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك سارّي بافصاح، فقد أوضح بعض الإيضاح؟

فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب.

فخر عبد المطلب ساجداً، فقال: ارفع رأسك، وثلج صدرك وعلا أمرك، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك؟

فقال: أيها الملك، كان لي ولد، وكنت به معجباً، وعليه شفيقاً، فزوجته

---

(١) في النسخة من سارة، وصححناه عن اعلام النبوة للماوردي، وفي رواية الأغاني: أن يزيدني من البشارة.

كريمة من كرائم قومي، آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام، وسميته محمداً، مات أبوه وأمه، فكفلته أنا وعمه، بين كتفيه شامة، وكل ما ذكرت من علامة.

قال ابن ذي يزن، إن الذي قلت لك لكما قلت، فاحتفظ بابنك، واحذر عليه اليهود، فانهم أعداء له، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطوِ ما قلت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة، فيطلبوا لك الغوائل، وينصبوا لك الحبائل، وهم فاعلون لو أُنبئهم، ولولا إني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أُصير يثرب دار ملكي، فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم الباسق، أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصره، وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنه أمره، ولأوطأت أسنان العرب عقبه، لكني صارف ذلك إليك، عن غير تقصيرٍ لمن معك، فعليه مني التحية والسلام.

ثم أمر لكل واحدٍ منهم بعشرة أعبد وعشر إماء، وبمائة من الإبل، وخمسٍ من البرود، وخمسة أرطال من الذهب، وعشرة أرطال فضة، وكرشٍ مملوءٍ عنبراً.

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا حال الحول فاتني

فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول، فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك، وإن كثر، فإنه إلى نفاد، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره، وفخره، وشرفه.

فإذا قيل له: وما ذلك؟ قال: سيُعلم ما أقول ولو بعد حينٍ.(١)

---

(١) وهكذا ذكر الماوردي في إعلام النبوة قصة وفود عبد المطلب على سيف رواها باسناده عن أبي صالح عن ابن عباس وتجدها في الأغاني ج١٦ ص١٤٦ – ١٤٨. ورواها الطبرسي في إعلام الورى ص ٢٤– ٢٦ وقال روى هذا الحديث أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة من طريقين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جلبنا النصح تحمله المطايا
على أكوار أجمالٍ ونوق
مغلغلة مراقعها تعالى
إلى صنعاء من فجٍ عميق
تؤم[1] بنا ابن ذي يزن ومعرىً
ذوات بطونها أم الطريق
وترعى عن مخايله بروقاً
مواصلة الوميض إلى بروق
فلما وافقت صنعاء حلت
بدار الملك والحسب العريق[2]

وروي أنه قيل لأكثم بن صيفي، وكان حكيم العرب: إنك لأعلم أهل زمانك، وأحكمهم، وأعقلهم، وأحلمهم، فقال:

وكيف لا أكون كذلك، وقد جالست أبا طالب[3] بن عبد المطلب دهره، وهاشماً دهره، وعبد مناف دهره، وقصياً دهره، وكل هؤلاء سادات أبناء سادات، فتخلقت بأخلاقهم، وتعلمت من حلمهم، واقتفيت سؤددهم، واتبعت آثارهم. وكان أكثم بن صيفي من المعمرين.[4]

---

(١) في النسخة (ترم) والتصحيح عن الأغاني

(٢) هذه الأبيات موجودة في الأغاني ج١٦ ص١٤٨ وتجد قصة دخول عبد المطلب على سيف ابن ذي يزن في أمالي الصدوق ص١٧٤ - ١٧٨ وأنظر: إعلام الورى ص٢٦ - ٢٧.

(٣) قد يكون هنا سقط وهو قد جالست أبا طالب دهره وعبد المطلب دهره.

(٤) كما يأتي ذلك في بعض فصول هذا الكتاب.

خبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي[1] ملك اليمن التي تأولها سطيح وشق

ذكر الرواة من أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤياً هالته، وفظع بها، فلما رآها بعث في أهل مملكته، فلم يدع كاهناً، ولا ساحراً، ولاقائضاً، ولا منجماً إلا أحضره إليه، فلما جمعهم قال لهم: إني قد رأيت رؤياً هالتني، وفظعت بها، فأخبروني بتأويلها، قالوا: اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها، قال: إنه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أخبره بها.

فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم: إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانك بما سألت.

فلما قيل له ذلك بعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، ولم يكن مثلهما من الكهان، فلما قدم عليه دعاه، فقال له: يا سطيح، إني قد رأيت رؤياً، هالتني، وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها، قال أفعل:

رأيت جمجمة خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة.

قال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً ياسطيح، فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف بما بين الحرمين من خش ليهبطن أرضكم الحبش، فلتملكن ما بين أبين إلى جرش.

قال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن يا سطيح، أفي زماني أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، ثم يقبلون[2] بها أجمعون، ويخرجون منها هاربين.

---

(١) هو جد النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر.

(٢) في سيرة ابن هشام: ثم يقتلون.

قال الملك: من ذا الذي يلي ذلك من قِبَلهم وإخراجهم؟

قال: يليه إرم ابن ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك منهم أحداً باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟

قال: بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟ قال نبي زكي، يأتيه الوحي من قِبَل العلي.

قال: وممن هذا النبي؟ قال: من ولد غالب بن فهر بن مالك ابن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدهر يا سطيح من آخر؟

قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحق ما تخبرنا يا سطيح؟ قال نعم والشفق، والليل إذا اتسق، إن ما انبأتك به لحق.

فلما فرغ قدم عليه شق، فقال له يا شق إني رأيت رؤياً هالتني، وفظعت بها، فأخبرني عنها، فانك إن أصبتها أصبت تأويلها، كما قال السطيح، وقد كتمه ما قال السطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان.

قال: نعم، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال له الملك: ما أخطأت منها، فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحرمين من إنسان، لينزلن أرضكم الحبشان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبْيَن إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى [هو] كائن؟ أفي زماني أم بعده؟

قال: بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم الشأن، ويذيقهم أشد الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشأن؟

قال: غلام، ليس بدني ولا مُدَّنٍ، يخرج من بيت ذي يزن.

قال: فهل يدوم سلطانه أو ينقطع؟

قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟

قال: يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه الناس للميقات، يكون لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحق ما تقول يا شق؟

قال: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أبنأتك لحق ما فيه أمض.(١).

دليل في تثبيت الصانع

حكي عن ابراهيم النظام قال:

الدليل على ذلك، أنا رأينا أشياء متضادة، من شأنها التنافي والتباين والتفاسد مجموعة، وهي الحرارة والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، المجتمعة في كل حيوان، وفي أكثر سائر الأجسام، فعلمنا أن جامعها أقسرها على الإجتماع.

ولولا ذلك لتباينت وتفاسدت.

قال: ولو جاز أن تجتمع المتضادات المتنافرات، وتتقاوم من غير جامعٍ جمعها، لجاز أن يجتمع الماء والنار، ويتقاوما من ذاتها بغير جامع مدبرٍ مقيم يقيمها، وهذا محال لا يثوهم.

---

(١) قال ابن هشام: أمض يعني شكاً، وقال أبو عمرو أمض أي باطل وتجد قصة هذه الرؤيا في سيرة ابن هشام ج١ ص١١ - ١٣.

قال: وفي اجتماعها دليل على حدوثها، لأنها لا يجوز عليها الإنفراد، فإذا كانت لا توجد إلا مجتمعة، وبطل أن توجد كذلك إلا بجامع جمعها، صح أنه قبلها، وأنها لم توجد إلا حين ابتدعها مجتمعة، ولو وجدت قبل ذلك لم توجد إلا على أحد وجهين، أما أن يكون كل واحدٍ منها منفرداً، وهذا محال، أو تكون مجتمعة لا جامع لها، وهذا أيضاً محال.

فقد صح أنها ابتدعت، وأن الذي جمعها كان موجوداً قبلها لم يزل.

مسألة على نفاة الحقائق (١)

[و] هم الذين يقولون المذاهب باطلة كلها، وأنه لاحق بشيء منها.

فيقال لهم: أخبرونا عن مذهبكم هذا، أحق هو أم باطل؟

---

(١) هم من فرق الفلسفة السوفسطائية «الحكمة المجوهة» ويقولون إنه لا حقائق واقعاً، لأن الطريق إلى إدراكها هي الحواس الظاهرة الخمسة، وقد تخطيء، ومع احتمال خطئها فلا يمكن الجزم بشيء مما تؤديه، فالجهاز البصري قد نرى به ما ليس بواقع واقعاً، والحاسة الذوقة قد تخدعنا أحياناً، فالمريض بالحمى يجد الحلو مراً، والحاسة السمعية قد تخدعنا أيضاً فتسمعنا أصواتاً غير واقعية، وحاسة الشم قد تخطيء أيضاً عند اختلالها، وتعطينا رائحة غير واقعية، وأنه يكفي للشك فيما تؤديه هذه الحواس ولو مرة واحدة.

وتقول هذه الفلسفة إنه لا حقائق للأشياء، وإنما هي أوهام عارضة، لأن ما نشاهده يجوز أن يكون على ما نشاهده أو تسمعه أو نبصره أو نشمه، كما يجوز أن لا يكون كذلك.

ومن مذاهب هذه الفلسفة، المذهب اللاأدري، القائم على نفي العلم بالحقائق، وهم يثبتون الحقائق في نفس الواقع ولكنهم ينفون العلم بها، ويقولون لا ندري.

ومذهب آخر منها يسمى المذهب العندي، ويقوم على نفي حقائق للأشياء في واقعها، وإنما واقعها عند معتمديها فقط، فليس لها حقيقة واحدة في نفس الأمر، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب اعتقادهم.

ويبدو أن هذا المذهب هو الأساس للفلسفة المثالية التي نادى بها (بركلي) القائلة بأنه لا واقع خارج الذهن والوعي، وأن الحقائق ليست إلا انعكاسات لوعي الإنسان، وليست أشياء مستقلة خارجة عن هذا الوعي.

فإن قالوا هو حق، قيل لهم: فقد ناقضتم وأوجبتم أن في المذاهب حقاً من حيث نفيتم ذلك.

وإن قالوا: ليس مذهبنا حقاً، وهو باطل، قيل لهم: فإذاً بطل قولكم أنه لا حق في شيءٍ من المذاهب، فقد صح أن فيها حقاً.

مسألة على مبطلي النظر وحجج العقل

يقال لهم: أبنظرٍ أفسدتم النظر أم بالحواس، أم بالخبر؟ وبعقل أفسدتم حجة العقل أم بغير عقل؟

فإن قلتم: أفسدنا النظر بنظر، فقد ناقضتم ورجعتم إلى ما أعيتم، وصححتم النظر من حيث رمتم إفساده.

وإن قلتم بالحواس، قلنا: حواسنا كحواسنا، وعلوم الحواس لا تختلف فيها، فما بالنا لا نعلم من ذلك ما علمتم؟

وإن قلتم بخبرٍ، فبأي شيء فصلتم بين هذا الخبر وبين ضده من الإخبار، إلا بالعقل والنظر.

فإن قلبتم السؤال، فقالوا: أبنظر صححتم النظر أم بحس أم بخبر؟ وبعقلٍ أوجبتم حجة العقل أم بغير عقل، أو قلتم بالحواس عَلِمنا ذلك؟

قلنا لكم: حواسنا كحواسكم، وعلوم الحواس ليس فيها اختلاف، فما بالنا لا نعلم من صحة أمر النظر والعقل ما علمتم؟

وإن قلتم بالخبر [فقد] جعلتم الخبر عياراً[1] على العقل، وليس هذا قولكم.

وإن قلتم: عرفنا صحة النظر والعقل [بالنظر والعقل]، جاز لنا أن نزعم أنا عرفنا صحة الخبر بالخبر.

فالجواب: أن يقال لهم: أنا عرفنا صحة النظر والعقل بالنظر والعقل، وليس يصح لكم مثل ذلك في الخبر، لأنكم إن كنتم عرفتم صحة الخبر. [بـ]

---

(١) أي معبار يقاس به.

نفسه، فيجب أن يكون كل من طرقه الخبر علم صحته، حتى لا يوجد الخلف فيه، ولسنا نجد ذلك[1] وإن قلتم: علمنا صحة الخبر بخبرٍ آخر، فهذا يؤديكم إلى ما لا يتناهى[2]

فإن قالوا: فأنتم إذا عرفتم صحة النظر والعقل بنظرٍ وعقل، فقد وجب أن يؤديكم هذا أيضاً إلى ما لا يتناهى.

قيل لهم: إنا لا نزعم أنا عرفنا صحة النظر والعقل بنظرٍ وعقل غيرهما، بل نعرف صحتهما بهما.

وذلك: أنّا نعرف بهما أن كل نظرٍ لزم صاحبه السنن والترتيب، ولم يمل به هواه، ولا إلفه وعصبيته، فهو صحيح، وكل علم بني على ما في بداية العقول فغير فاسد، فيكون هذا النظر نفسه داخلاً فيما شهد بصحته إن كان حكمه ذلك.

(فصل: ما جاء في الحديث في العقل)

أخبرني شيخي أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن علي المعروف بابن الواسطي رضي الله عنه، قال: أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: أخبرني أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن الإمام الصادق أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهم السلام قال: قال رسول الله (ص).

---

(١) وخلاصة ذلك أن العلم بصحة الخبر من لوازم ذات الخبر نفسه فينبغي أن لا يختلف اثنان في صحته، وهو خلاف الواقع على أن هذا من الدور الباطل لتوقف الشيء على نفسه.

(٢) الأولى في الجواب أن يقال أن العلم أو النظر لابد لإثبات صحته من سبب صحيح معلوم، ولا يمكن أن يكون بديهياً دائماً وإلا لما جهل ولما وقع الخلاف فيه، ولا يكون كسبياً نظرياً دائماً لأنه هو نفسه محتاج إلى سبب صحيح مثبت له أيضاً فإن استند إلى كسبي مثله وذهب إلى ما لا نهاية لزم التسلسل وإن رجع لزم الدور، بل لا بد أن يستند إلى ما هو بديهي بنفسه ومن هنا قيل إن ما بالعرض لابد أن ينتهي إلى ما بالذات.

إذا بلغكم عن رجلٍ حسن حال، فانظروا إلى حسن عقله، فإنما يجازي بعقله.

وباسناده عن الكليني، عن أحمد بن محمد، عن بعض من رفعه إلى أبي عبدالله (ع) أنه قال: قال رسول الله (ص):

إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة، كثير الصيام، فلا تباهوا به حتى تنظروا عقله.

وباسناده عن الكليني عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد عن اسماعيل بن مهران عن بعض رجاله عن أبي عبدالله (ع) أنه قال:

العقل دليل المؤمن.

(فصل: من كلام أمير المؤمنين (ص) في العقل)

لا عدة أنفع من العقل، ولا عدو أضر من الجهل.

زينة الرجل عقله.

من صحب جاهلاً نقص من عقله.

التثبت رأس العقل، والحدة رأس الحمق.

غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

الأدب صورة العقل، فَحسِّن عقلك كيف شئت.

العقول مواهب، والآداب مكاسب.

فساد الأخلاق معاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق معاشرة العقلاء.

قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل، والعاقل من وعظته التجارب.

رسولك ترجمان عقلك.

لا تأوي من لا عقل له، فيكثر ضررك.

ظن الرجل قطعةَ من عقله.

من ترك الإستماع من ذوي العقول مات عقله.

من جانب هواه صح عقله.

من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل.

إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

من لم يكن أكثر ما فيه عقله، كان بأكثر ما فيه قتله.

لا جمال أزين من العقل.

عجباً للعاقل كيف ينظر إلى شهوة، يعقبه النظر إليها حسرة.

همة [العاقل](1) ترك الذنوب، واصلاح العيوب.

الجمال في اللسان، والكمال في العقل.

لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثماني عشرة سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه.

ليس على العاقل اعتراض المقادير، إنما عليه وضع الشيء في حقه.

العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء.

(فصل: من الاستدلال على صحة نبوة رسول الله (ص).)

إعلم- أيدك الله- أن المتمحلين من الكفار في إيطال نبوة بيننا عليه وعلى آله السلام قد أداهم الحرص في الإنكار إلى وجوب الإذعان والإقرار، وساقهم الخير والقضاء إلى لزوم التسليم والرضا، فلا خلاص لهم من ثبوت الحجة عليهم وهم راغمون، ولا محيص لهم من وجوب تصديقه وهم صاغرون.

وذلك أنهم لم يجدوا طريقاً يسلكونها في إنكار حقه من النبوة، والدفع لما أتى به من الرسالة، إلا بأن أقروا له ببلوغه من كل درجةٍ في الفضل منيفة، ومرتبةٍ في الكمال والعقل شريفة، ما قد قصر عنه جميع خلق الله. وبدون ذلك تجب له الرياسة والتقدم على الكافة، ولا يجوز أن يتوجه إليه ساقط الظنة من قبل التهمة، لمنافاتها لما أقروا به في موجب العقل والحكم.

(١) في النسخة (العقل)

وبيان ذلك أنهم إذا سمعوا القرآن الوارد على يده الذي قد جعله عَلَماً على صدقه، ورأوا قصور العرب عن معارضته، وعجزهم عن الإتيان بمثله، قالوا: أنه كان قد فاق بجميع البلغاء في البلاغة، وزاد على سائر الفصحاء في الفصاحة، قصر عن مساواته في ذلك الناس كافة، ففضلوه بهذا على الخلق أجمعين، وقدموه على العالمين.

فإذا تأملوا ما في القرآن من أخبار الماضين والذاكرين، وأعاجيب السالفين، وذكر شرائع الأنبياء المتقدمين، قالوا: قد كان أعرف عباد الله بأخبار الناس، وأعلمهم بجميع ما حدث، وكان في سالف الأزمان قد أحاط بنبأ الغابرين وحفظ جميع علوم الماضين، ففضلوه بهذه الرتبة على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا رأوا ما تضمنه القرآن من عجيب الفقه والدين وبدائع عبادات المكلفين، وترتيب الفرائض وانتظامها، وحدود الشريعة وأحكامها، قالوا قد كان أحكم أهل زمانه وأفضلهم، وأبصرهم بأنواع الحكم، وأعلمهم، ولم يكن خلق في ذلك يساويه، ولا بشر يدانيه، ففضلوه بذلك أيضاً على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا علموا ما في القرآن من الإخبار بالغائبات، وتقديم الإعلام بمستقبل الكائنات، وسمعوا ما تواترت به الأخبار من إنبائه لكثيرٍ من الناس بما في نفوسهم، وإظهاره في الأوقات لمغيب مستورهم، قالوا: قد كان أعرف الناس بأحكام النجوم، وأبصرهم بما تدل عليه في مستأنف الأمور، وإن لم يظهر معرفته بها لأمته، ونهاهم عن الاطلاع فيها لينتظم له حال نبوته، وأنه كان معولاً عليها، مستنداً في أموره إليها، قوله لا يخرم، وإخباره بالشيء لا يختلف، يعلم الحوادث والضمائر، ويطلع على الخبايا والسرائر، ولا يخفي عليه أوقات المساعد...[1]، ولم يكن أحد يعثره[2] في ذلك، ففضلوه بهذا أيضاً على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدم على العالمين.

---

(١) هنا كلمة غير واضحة.

(٢) هكذا في النسخة وهي غير واضحة المعنى.

فإذا قيل لهم: فما تقولون في المأثور من معجزاته، والمنقول من جرائحه[1] وآياته الخارقة للعادة، التي أقام بها الحجة، قال المُسلِّمون منهم لذلك، المتعاطون لإخراج معناه: كان أعرف الناس بخواص الموجودات، وأسرار طبائع الحيوان والحوادث، فيظهر من ذلك للناس ما يتحيَّر له من رآه، لقصوره عن إدراك سببه ومعناه، ففضلوه بهذا أيضاً على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدم على العالمين.

وقد سمعنا في بعض الأحاديث أن أحد السحرة قال لموسى عليه السلام: إن هذه العصا من طبيعتها أن تسعى إذا أُلقيت، وتتشكل حيواناً إذا رميت، [و] خاصيةً لها بسببٍ فيها.

فقال له موسى على نبينا وعليه السلام: فخذها أنت وارمها، قالوا: فأخذها الساحر، ورماها، فما تغيرت عن حالها، فأخذها موسى ورماها، فصارت حيةً تسعى.

فقال الساحر: ليس السر في العصا، وإنما السر فيما ألقاها. آمنت بآله موسى.

أفترى لو أخذ أحد المشركين الحصا الذي سبح في كف رسول الله (ص)، فتركه في يده، أكان يسبح أيضاً فيها؟ أم ترى أحدهم لو أشار بيده إلى الشجرة التي أشار إليها رسول الله (ص) فأتت، لكانت تأتيه أيضاً إذا أومأ إليها؟ وأن هذه الأشياء تفعل بالطبع كما يفعل حجر المغناطيس في الحديد الجذب؟ كلا: والحمد لله ما يتصور هذا عاقل، فإذ نظر وأحسن تمام النظر أمر رسول الله (ص)، وانتظام مراده الذي قصده، وأنه نشأ بين قوم يتجاذبون العز والمنعة، ويتنافسون في التقدمة والرفعة، ويأنفون من العار والشنعة، ولا يعطون لأحدٍ إمرةً ولا طاعة، فلم يزل بهم حتى قادهم إلى أمره، وساقهم إلى طاعته، واستعبدهم[2] بما لم يكونوا عرفوه، وأمرهم بهجران ما ألفوه، إلى أن

---

(١) كذا في النسخة.

(٢) أي تَعَبَّدهم.

صاروا يبذلون أنفسهم دون نفسه، ويسلمون لقوله، ويأتمون لأمره، من غير أن كان له ملك خافوه، ولا مال أملوه، تفتح له البلاد، وأذعن له ملوك العباد، ونفذ أمره في الأنفس والأموال، والحلائل والأولاد.

قالوا: إنما تم له ذلك، لأنه فاق العالمين بكمال عقله، وحسن تدبيره ورأيه، ولم يكن ذلك في أحدٍ غيره، ففضلوه بهذا أيضاً على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا سمعوا المشتهر من عدله ونصفته، وحسن سيرته في أمته ورعيته، وأنه كان لا يكلف أحداً شيئاً في ماله، وإذا حصلت المغانم فرقها في أُمته، وقنع في عيشه بدون كفايته. هذا مع سخاوته وكرمه، وإيثاره على نفسه، ووفائه بوعده، وصدق لهجته، واشتهاره منذ كان بأمانته، وشريف طريقته، وحسن عفوه ومسامحته، وجميل صبره وحلمه، قالوا: كان أزهد الناس وأعلاهم قدراً في العدل والإنصاف، ولا طريق إلى إنكار إحاطته بالفضائل الكرام، والمناقب [العظام]، ففضلوه في جميع هذه الأُمور على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا قيل لهم: فهذه العلوم العظيمة متى أدركها؟ وفي أي زمانٍ جمعها وتلقطها؟ وأي قلبٍ يعيها ويحفظها؟ وهل رأى بشرقط [من] يحيط بجميع الفضائل، ويتقدم العالمين كافة في جميع المناقب، ويكون أوحد الخلق في كمال العقل والتمييز، وثاقب الرأي والتدبير؟ مع نزاهة النفس و[صفائها](1)، وجلالها وشرفها، وزهدها وفضلها، وجودها وبذلها.

قالوا: كانت له سعادات فلكية، وعطايا نجومية، فاق بها على جميع البرية.

قيل لهم: فمن يكون بهذا الوصف العظيم، والمحل الجليل، كيف يستجيز عاقل مخالفته، أو يسوغ له مباينته؟؟ وبمن يقتدى أفضل منه؟ ومتى يكون مصيباً في الإنصراف عنه؟

---

(١) في النسخة وصلفها.

بل كيف لا يرضى بعقل أعقل [الناس]، ويؤخذ العلم من أعلم الناس، ويقتبس الحكمة من أحكم الناس؟

وما الفرق بينكم في قولكم إن هذه العطايا التي حصلت له إنما كانت فلكية ونجومية، وبيننا إذا قلنا آلهية ربانية؟

وبعدُ فكيف يستجيز من يكون بهذا العقل الكامل، والفضل الشامل، والورع الظاهر، والزهد الباهر، والشرف العريق، واللسان الصدوق، أن يكذب على خالق السموات والأرضين، فيقول للناس: أنا رسول رب العالمين، ويدعي هذا المقام الجليل، ويكون بخلاف ما يقول؟

وكيف تلائم صفاته التي سلمتموها لهذه الحال التي أدعتموها؟

فدعوا المناقضة والمكابرة، وأثبتوا على ما أقررتم به في المناظرة، فكلامكم لازم لكم، وقولكم حجة لكم عليكم، قد أقررتم بالحق وأنتم راغمون، والتجأتم إلى ما هربتم منه وأنتم صاغرون.

وأعلموا أن من باين المسعود كان منحوساً، ومن خالف العاقل العالم كان جاهلاً غبياً، ومن كذب الصادق كان هو في الحقيقة كاذباً. والحمد لله مقيم الحجة على من أنكرها، وموضح الحجة لمن آثرها.

فصل: مما في التوراة يتضمن البشارة نبينا (ص) وبأمته المؤمنين.

في التوراة مكتوب «إذا جاءت الأُمة الأخيرة، تتبع راكب البعير، يسبحون الرب تسبيحاً جديداً، في الكنائس الجدد، فليفرح بنو إسرائيل، ويسيروا إلى صهيون، ولتطمئن قلوبهم، لأن الله اصطفى منهم في الأيام الأخيرة أُمما جديدة، يسبحون الله بأصوات عالية، بأيديهم ذات شفرتين، فينتقمون لله من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض.

فمن ترى راكب البعير غير رسول الله (ص)؟ ومن الأُمم الأخيرة المسبحة تسبيحاً جديداً غير أمته؟

ومن الذين أُتوا وفي أيديهم السيوف غير ناصريه والمتبعين لدعوته؟

وفي التوراة أيضاً مكتوب في السفر الخامس:

«الرب ظهر فتجلى على سنين، وأشرف على جبل ساعير، وأشرف من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، من يمينه نار، شريعة لهم.»(١)

وجبال فاران جبال مكة، وظهور الرب إنما هو ظهور أمره.

فصل في الإنجيل

وفي الإنجيل اليوم مكتوب:

«ابن البشر ذاهب، والفار قليط أتى من بعده، وهو الذي يجلّي لكم الأسرار، ويعيش لكم كل شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أنا جئتكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل.»

ومن قول شعيا النبي (ع):

«قال لي آله إسرائيل: أَقم على المنظرة فانظر ماذا ترى؟ فإذا رأيت راكبين يسيران، أضاءت لهما الأرض، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، فقال: ويل لبابل، كل صنم بها يكسر ويضرب به الأرض.».

ومن قول يوشع النبي (ع):

«رأيت راكبين يسيران، أضاءت لهما الأرض، أحدهما على حمار، والآخر على جمل».

فراكب الحمار عيسى (ع) وراكب الجمل محمد (ص).

ومن قول دانيال النبي (ع):

«جاء الله بالبيان من جبل فاران، وامتلأت السموات والأرض من تسبيح محمد وأُمته»

---

(١) سفر التثنية ٣٣:١- ٣ باختلاف في بعض ألفاظه حسب الترجمة أنظر: إظهار الحق للهندي هامش المعلق ص٥١٧.

وقال أيضاً:

«يأتينا كتاب جديد بعد خراب بيت المقدس» فما الكتاب الجديد إلا القرآن.

ومن قول داود (ع):

«اللهم ابعث إلينا مقيم السنة بعد الفترة»

فمن أقامها غير رسول الله (ص)؟

ومن ذلك تأويل دانيال لرؤيا بخت نصر ملك بابل حيث قال:

رأيت في المنام صنماً، رأسه من ذهب، وصدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس، وركبتاه وساقاه من حديد وفيه خلط قليل من فخار.

ثم رأيت بعد ذلك حجراً انقطع من جبلٍ عظيم بغير يد إنسان، فضرب ذلك الصنم الذي فيه الصور الكثيرة، فكسره، ثم جعله مثل الرماد في يوم ريح، ثم عظم الحجر بعد ذلك، حتى رأيت الأرض قد امتلأت منه.

فقال له دانيال:

أما الصنم الذي فيه الصور الكثيرة فهم الملوك الذين مضوا في سائر الأحقاب، والذين يكونون على مر الأيام.

وأما الحجر الذي يجيء في آخر الزمان خاتم الأنبياء وأما امتلاء الأرض منه فهم الذين يتبعونه ويؤمنون به.(١)

فصل: من أخبار الواقدين على رسول الله (ص) للإسلام وما رأوه قبل قدومهم من الإعلام وما شاهدوه من أحوال الأصنام.

فمن ذلك خبر أهبان بن أنس الأسلمي.

روى أن ذئباً شَدَّ على غنم لإهبان بن أنس، فأخذ منها شاةً، فصاح به

(١) انظر: إظهار الحق ص٥٣٠ البشارة الحادية عشرة في الأصحاح الثاني من سفر دانيال مع اختلاف حسب الترجمة.

فخلاّهاً، ثم نطق الذئب فقال اهبان: سبحان الله، ذئب يتكلم؟ فقال الذئب: أعجب من كلامي، أن محمداً يدعو الناس إلى التوحيد بيثرب، ولا يجاب.

فساق إهبان غنمه وأتى المدينة فأخبر رسول الله (ص) بما رآه، فقال خذ هذه غنمي طعمة لأصحابك.

فقال: أمسك عليك غنمك، فقال: لا والله، لا أسرحها أبداً بعد يومي هذا.

فقال: اللهم بارك عليه، وبارك له في طعمته، فأخذها أهل المدينة، فلم يبق في المدينة بيت إلا أناله منها.(١)

وخبر ذباب:

ذكروا أنه كان لسعد العشيرة صنم، يقال له فراص، وكانوا يعظمونه، وكان سادنه رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة يقال له ابن وقشة، فحدث رجل من بني أنس الله يقال له ذباب بن الحرث بن عمرو، قال: كان لابن وقشة ربييٌ من الجن، يخبر بما يكون، فأتاه ذات يوم، فأخبره، قال فنظر إلي وقال: يا ذباب، اسمع العجب العجاب، بعث أحمد بالكتاب، يدعو بمكة لا يجاب.

قال فقلت: ما هذا الذي تقول؟

قال: ما أدري، هكذا قيل لي.

قال: فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بخروج النبي (ص)، فقام ذباب إلى الصنم فحطمه، ثم أتى النبي (ص) فأسلم على يده، وقال بعد إسلامه:

تبعـــت رسول الله إذ جاء بالهـــدى
وخلفـــت فراصـــاً بـــأرض هوان

---

(١) ذكر قصة إهبان أبو الحسن الماوردي في أعلام النبوة ص٩٤، مختلفة في اسلوبها ببعض الإختلاف وفيها بدل المدينة مكة وليس فيها قوله سبحان الله وذكر قصة أخرى مماثلة وقعت مع عمير الطائي رواها عن أبي سعيد الخدري.

شددت عليـــــه شدة فتركتـــــه
كـأن لم يكن، والدهر ذو حدثـان
ولـــا رأيـــت الله أظهر دينـــه
أجبـــت رسول الله حـــين دعـــاني
فمن مبلـــغٌ سعـــد العشيرة انـــني
شريـت الـذي يبقـى بآخر فـان

وخبر زمل بن عمرو العدوي:

روى أنه كان لنبي عذرة صنم يقال له حمام، وكانوا يعظمونه، وكان في بني هند بن حزام، وكان سادنه رجل منهم يقال له طارق، وكان يعقرون عنده العقائر.

قال زمل بن عمرو العدوي، فلما ظهر النبي (ص) سمعنا منه صوتاً، وهو يقول: يا بني هند بن حزام، ظهر الحق وأودى حمام، ودفع الشرك بالإسلام.

قال: ففزعنا لذلك، وهالنا، فمكثنا أياماً ثم سمعنا صوتاً آخر وهو يقول:

يا طارق، بعث النبي الصادق، يوحي ناطق، صدع صادع، بأرض تهامة، لناصريه السلامة، ولخاذليه الندامة، هذا الوداع إلى يوم القيامة ثم وقع الصنم لوجهه.[1]

قال زمل: فخرجت حتى أتيت النبي (ص)، ومعي نفر من قومي، فأخبرناه بما سمعناه، فقال: ذلك كلام مؤمنٍ من الجن.

ثم قال: يا معشر العرب، إني رسول الله إلى الأنام كافة، أدعوكم إلى عبادة الله وحده، وأني رسوله وعبده، وأن تحجوا البيت، وتصوموا شهراً من اثني عشر شهراً، وهو شهر رمضان، فمن أجابني فله الجنة نزلاً وثواباً، ومن عصاني كانت له النار منقلباً وعقاباً.

---

(١) ورد هذا الخبر مختصراً في مناقب آل أبي طالب ج١ ص٧٧.

قال: فأسلمنا، وعقد لي لواءً، وكتب لي كتاباً، فقال زمل عند ذلك:

إليك رسول الله أعلمت نصها
أكلّفها حزناً وفوزاً من الرمل
لأنصر خير الناس نصراً مؤزراً
وأعقد حبلاً من حبالك في حبلي
وأشهد أن الله لا شيء غيره
أدين له ما أثقلت قدمي نعلي.

خبر عمرو بن مرة الجهني:

ذكروا أن عمرو بن مرة كان يحدث فيقول:

خرجت حاجاً في الجاهلية في جماعة من قومي، فرأيت في منامي وأنا في الطريق، كأن نوراً قد سطع من الكعبة، حتى أضاء إلى نخل يثرب، وجبلي جهينة الأشعر والأجرد، وسمعت في النوم قائلاً يقول:

تقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء.

ثم أضاء إضاءةً أخرى، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، وسمعته يقول:

أقبل حق فسطع، ودفع باطل فانقمع.

فانتبهت فزعاً، وقلت لأصحابي: والله، ليحدثن بمكة في هذا الحي من قريش حدث.

وكان لنا صنم فكنت أنا الذي أسدنه، فشددت عليه فكسرته، وخرجت حتى قدمت عليه مكة، فأخبرته، فقال:

يا عمرو بن مرة، أنا النبي المرسل إلى العباد كافة، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحفظ الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الرحمان ورفض الأوثان، وحج البيت، وصوم شهر رمضان، فمن أصاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، فآمن بالله يا عمرو بن مرة، تأمن يوم القيامة من النار.

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، آمنت بما جئت به من حلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام، وأنشأت أقول:

شهـــدت بـــأن الله حـــق وإنـــني
لآلهـــة الأحجـــار أول تـــارك
وشَمَّرت عن ساقي الإزارَ مهاجراً
إليــك أجوب الوعــث بعــد الدكــادك
لأصحــب خــير النــاس نفساً ووالــداً
رسول مليــك النــاس فوق الحبائــك

ثم قلت: يا رسول الله ابعثني إلى قومي، لعل الله تبارك وتعالى يَمَنَّ عليهم كما مَنَّ علي بك، فبعثني، فقال: عليك بالرفق، والقول السديد، ولاتك فظاً، ولا غليظاً، ولا مستكبراً، ولا حسوداً.

فأتيت قومي، فقلت: يا بني رفاعة، بل يا جهينة، إن [رسول] رسول الله (ص) إليكم، أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم النار، يا معشر جهينة، إن الله وله الحمد، قد جعلكم خيار من أنتم منه، وبَغَّض إليكم في جاهليتكم ما حُبِّبَت إلى غيركم من العرب، الذين كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل منهم على امرأة أبيه، وأغارت في الشهر الحرام، فأجيبوا هذا الذي من لؤي، أتانا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة، وسارعوا في أمره، يكن بذلك لكم عنده فضيلة.

قال: فأجابوني إلا رجل منهم، فإنه قام فقال: يا عمرو بن مرة، أمرَّ الله عيشك، أتأمرنا برفض آلهتنا، وتفريق جماعتنا، ومخالفة دين آبائنا، ومن مضى من أوائلنا إلى ما يدعوك إليه هذا المضري من أهل تهامة، لا ولا حباً ولا كرامة ثم أنشأ يقول:

إن ابن مرة قــد أتــى بمقالــةٍ
ليست مقالــة من يريــد صلاحــاً
إني لأحسب قولـــه وفعالـــه
يومــاً وإن طــال الزمــان ذباحا[1]

(١) يريد به الهلاك.

أتسفّـــه الأشيـــاخ ممن قـــد مضى
من رام ذلـــك لا أصـــاب فلاحـــا

فقال له عمرو: الكذاب مني [أو] منك، أمَرَّ الله عيشه، وأبكم لسانه، وأكمه إنسانه، قال عمرو: فوالله، لقد عمي ومامات حتى سقط فوه، وكان لا يقدر على الكلام، ولا يبصر شيئاً، وافتقر واحتاج.

وخبر ركانة وما فيه من الآية

كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش وأقواهم، فخلا يوماً برسول الله (ص) في شعاب مكة، فقال له رسول الله (ص):

يا ركانة، ألا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه، فقال له ركانة: إني لو أعلم الذي تقول حقاً لأتبعتك. قال فقال رسول الله (ص): أفرأيت أن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم، قال فقم حتى أصارعك، فقام ركانة إليه، فلما بطش به رسول الله (ص) أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً، فقال ركانة وقد عجب من ذلك: عد يا محمد، فعاد فصرعه رسول الله (ص) دفعة أخرى فاستعظم ذلك وقال: يا محمد، ذا العجب، فقال رسول الله (ص): وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله، واتبعت أمري، قال: ما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني، قال: فادعها، فدعاها، فأقبلت حتى ووقفت بين يدي رسول الله (ص)، ثم قال لها: إرجعي إلى مكانك، فرجعت حتى وقفت.

فذهب ركانة إلى قومه، فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله، ما رأيت أسحر منه قط.

ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.(١)

وخبر أبي تميمة الهجيمي.

---

(١) قصته موجودة في سيرة ابن هشام ج١ ص٤١٨.

قال [أبو] تميمة:

وفدت على رسول الله (ص)، فوجدته قاعداً في حلقةٍ، فقلت: أيكم رسول الله فلا أدري، أشار إلي رسول الله (ص) فقال: أنا رسول الله أو أشار إلي بعض القوم، فقالوا: هذا رسول الله، وإذا عليه بردة حمراء، تتناثر هدبها على قدميه، فقلت: إلى ما تدعو يا رسول الله؟ قال: أدعوك إلى الذي إذا كنت بأرض فلاةٍ فأضللت راحلتك فدعوته أجابك، وأدعوك إلى الذي إذا استننت[1] أرضك أو أجدبت فدعوته أجابك.

قال: فقلت: وأبيك لنعم الرب هذا، فأسلمت، وقلت: يا رسول الله، علمني مما علمك الله تبارك وتعالى، فقال النبي (ص):

اتق الله، لا تحقرن شيئاً من المعروف ولو أن تلقى أخاك ووجهك مبسوط إليه[2]، وإياك وإسبال الإزار من المخابلة، قال الله تبارك وتعالى:

(إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور) سورة لقمان: ١٨

ولا تسبنَّ أحداً، وإن سبك بأمرٍ لا يُعلم فيك، فلا تسبه بأمرٍ تعلمه فيه، فيكون لك الأجر، وعليه الوزر.

وخبر أهيب بن سماع:

وروي أن النبي (ص) كان يوماً جالساً في نفر من أصحابه، وقد صلى الغداة، فإذ أقبل إعرابي على ناقةٍ له، حتى وقف بباب المسجد فأناخها ثم عقلها، ودخل المسجد يتخطى الناس، والناس يوسعون له، وإذا هو رجل مديد القامة، عظيم الهامة، معتجر بعمامة، فلما مثل بين يدي رسول الله (ص) أسفر عن لثامه، ثم هَمَّ أن يتكلم فارتج حتى اعترضه ذلك ثلاث مرات.

فلما رآه النبي (ص)، وقد ركبه الزمع[3] لها عنه بالحديث، ليذهب عنه

(١) أي قحطت.

(٢) في النسخة: ووجهك مبسوطة إليك

(٣) أي أخذه الدهش.

بعض الذي أصابه، وقد كسا الله نبيه جلالةً وهيبةً، فلما أنس وفرخ روعه[1] قال له النبي (ص): قل لله [أنت] ما أنت قائل.

فأنشأ يقول:

رب يومٍ يعي الألــد المــداري
شره حاضر يروع الرجــــالا
قمتــه فانجــلى ولو قــام فيــه
مسجــل الجن مــا أطــاق المقــالا
جئــت بالاقتــدار في ذات نفسي
انــني أقهر الرفــا[2] والكــلالا
فانثنت حدتي وفلت شباتي
والهــدى يقهر العمــى والضــلالا
لم أضــق بالكــلام ذرعــاً ولكن
شدة البغي يستجــير الحبــالا[3]

قال فاستوى رسول الله (ص) جالساً، وكان متكئاً، فقال: أنت أهيب بن سماع؟ ولم يره قد قبل وقته ذاك، فقال: أنا أهيب بن سماع الأبي الدفاع، القوي المناع.

قال: أنت الذي ذهب جل قومك بالغارات، ولم ينفضوا رؤوسهم من الهفوات إلا منذ أشهر وسنوات؟

قال: أنا ذاك، قال: أفتذكر الأزمة التي أصابت قومك، أحرنجم لها الذبــح، وأخلــف نوء المرنــج، وامشعــت السماء وانقطعــت الأنواء، واحترقت الغمة، وخفت البرية، حتى إن الضيف لينزل بقومك، وما في الغنم عرق ولا غرر، فترصدون الضب المكنون فتصيدونه.

---

(١) أي ذهب فزعه.

(٢) هكذا في النسخة ولعل كلمة الرفا تصحيف العنا أو الفلا.

(٣) هكذا في السخة.

وكأنك في طريقك إلي لتسألني عن جل ذلك، وعن حرجه. ألا ولا حرج على مضطر، ومن كرم الأخلاق بر الضيف.

قال: فقال: لا والله، لا أطلب أثراً بعد عين، لكأنك كنت معي في طريقي، أو شريكي في أمري، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله.

ثم قال: يا رسول الله زدني شرحاً وبياناً، أزدد بك إيماناً.

فقال له النبي (ص): أتذكر إذ أتيت صنمك في الظهيرة فعرَّت له العشيرة؟

قال: نعم- بأبي أنت وأمي يا رسول الله- إن الحرث بن أبي ضرار المصطلقي جمع لك جموعاً، ليدهمك بالمدينة، واستعان بي على حربك، وكان لي صنم يقال له راقب، فرقبت خلوته، وقممت ساحته(١)، ثم نفضت التراب عن رأسه، ثم عترت له عتيرة(٢)، فإني لأستخيره في أمري، وأستشيره في حربك، إذ سمعت منه صوتاً هائلاً، فوليت عنه هارباً، وهو يقول كلاماً في معنى كلامه الأول قال: فلما كان من غدٍ ركبت ناقتي، ولبست لامتي، وتكبدت الطريق حتى أتيتك، فأنر لي سراجك، وأوضح لي منهاجك.

قال: قال له النبي (ص): قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني محمد عبده ورسوله، فقالها غير مستنكفٍ وأسلم وحسن إسلامه، ووقر حب الإسلام في قلبه.

فقال النبي (ص) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): خذ بيده، فعلمه القرآن، فأقام عند النبي (ص)، فلما حذق شيئاً من القرآن، قال: يا نبي الله، إن الحرث بن أبي ضرار المصطلقي قد جمع لك جموعاً ليدهمك بالمدينة، فلو وجهت معي قوماً بسرية، نشن عليهم الغارة، فوجه النبي (ص) معه أمير المؤمنين (ع) وجماعة من المسلمين، فظفروا بهم، واستاقوا إبلهم وماشيتهم.

وأهيب الذي يقول في إسلامه:

---

(١) أي كنس قمامة ساحته وهي الكناسة، فيقال قم البيت قماً أي كنسه.

(٢) هي الذبيحة التي تقدم للأصنام ويصب دمها على رأسها.

جبت الفلاة على حرفٍ[1] مبادرةٍ
خطارةٍ تصل الإرقال بالخبب[2]
لا تشتكي [للذي] جابت جوانبه
و[ما] تأتي لأين[3] السير والتعب
خطر فنها والثريا النجم واقفة
كأنها قطف ملاحٍ من العنب
أو كالجمان زهاني صدر جاريةٍ
[ممطورة][4] بنظام الدر والذهب
سارت ثلاثاً، فوافت بعد ثالثةٍ
ذات المناهل أرض النخل والكرب[5]
فيها النبي الذي لاحت حقائقه
في معشر بسقوا في ذروة الحسب
حلو الشمائل ميمون نقيبته
محض الضرائب حياد عن الكذب
لا ينثني وسعير الحرب مضرمة
تحش[6] بالنبل والأرماح والقضب
والحرب حامية والهام راسية
والموت يختطف الأرواح من كثب

---

(١) هي الناقة الضامرة.
(٢) الإرقال والخبب نوعان من السير.
(٣) الآين: الإعياء.
(٤) في النسخة ممطرة ومعها لا يستقيم الوزن.
(٥) هي أصول سعف النخل.
(٦) أي توقد.

هناك تخبو إذا ما راس[1] أخمصه
سماحها[2] لعظيم الهول والرهب
داخت[3] رقاب الورى من هول رؤيته
إذا بدا لهم في الموكب اللجب

فصل: من كلام سيدنا رسول الله (ص)

«أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوامها، وشر الأمور محدثاتها، وأهدى الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى ضلالة بعد الهدى، وخير العمل ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة عند حضرة الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة.

ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزراً، ولا يذكر الله إلا هجراً.

ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأى الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقي في القلب اليقين.

والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول[4] من جمر جهنم، والسكر من النار، والشعر من إبليس، والخمر جماعة الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر الكسب كسب الربا، وشر المال أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي شقي في بطن أمه.

---

(١) و(٢) هكذا في النسخة.
(٣) أي ذلت.
(٤) هو السرقة والخيانة في شيء.

وإنما بصير أحدكم إلى موضع ذراع، والأمر إلى آخره، وملاك الأمر خواتمه، وشر الروايات روايات الكذب، وكل ما هو آتٍ قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله يكذبه، ومن يستغفر الله يغفر له، ومن يتبع المستمع يستمع الله به، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يؤجره الله، ومن يصير على الرزية يعوضه الله، ومن يصم يضاعف الله أجره، ومن يعص الله يعذبه.

ومن كلامه (ص) قوله:

«إنكم في زمانٍ، من ترك عُشر ما أُمر به هلك، وسيأتي على الناس زمان من عمل بعشر ما أُمر به نجا».

ومن كلامه عليه وآله السلام قوله: «استحيوا من الله حق الحياء».

قيل له: يا رسول الله، إنا لنستحيي، فقال: ليس كذلك. من استحيى من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحيا.

وقال عليه السلام:

حب الدنيا رأس كل خطيئة.

وقال:

إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما تأملون إلا بترك ما تشتهون.

فصل من البيان والسؤال

إن سأل سائل عنْ أول ما فرض الله عليك.

فقل: النظر المؤدي إلى معرفته

فإن قال: لم زعمت ذلك؟

فقل: لأنه سبحانه قد أوجب معرفته، ولا سبيل إلى معرفته إلا بالنظر في الأدلة المؤدية إليها.

فإن قال: فإذا كانت المعرفة بالله عز وجل لا تدرك إلا بالنظر، فقد [أصبح] المقلِد غير عارف بالله.

فقل: هو ذاك

فإن قال: فيجب أن يكون جميع المقلدين في النار.

فقل: إن العاقل المستطيع إذا أهمل النظر والإعتبار، واقتصر على تقليد الناس، فقد خالف الله تعالى، وانصرف عن أمره ومراده، ولم يكفه تقليده في أداء فرضه، واستحق العقاب على مخالفته وتفريطه. غير أنا نرجو العفو عمن قلد الحق، والتفضل[1] عليه، ولا نرجوه لمن قلد المبطل ولا نعتقده فيه.

وكل مكلفٍ يلزمه من النظر بحسب طاقته ونهاية إدراكه وفطنته.

فأما المقصر الضعيف الذي ليس له استنباط صحيح، فإنه يجزيه التمسك في الجملة بظاهر ما عليه المسلمون.

فإن قال: كيف يكون التقليد قبيحاً من العقلاء المميزين؟ وقد قَلَّد الناس رسول الله (ص) فيما أُخبر به عن رب العالمين، ورضي بذلك عنهم، ولم يكلفهم ما تَدَّعون.

فقل: معاذ الله أن نقول ذلك أو نذهب إليه، ورسول الله (ص) لم يرض من الناس التقليد دون الأعتبار، وما دعاهم إلا إلى الإستدلال، ونبههم عليه بآيات القرآن من قوله سبحانه وتعالى:

(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء..) الاعراف: ١٨٥

وقوله:

---

(١) في النسخة (والتفضيل).

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب). آل عمران: ١٩٠.

وقوله:

(وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون). الذاريات: ٢٠ - ٢١

وقوله:

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت). الغاشية: ١٩ - ٢٢

ونحن نعلم أنه ما أراد بذلك إلا نظر الإعتبار، فلو كان (ع) إنما دعا الناس إلى التقليد، ولم يرد منهم الإستدلال لم يكن معنى لنزول هذه الآيات.

ولو أراد أن يصدقوه ويقبلوا قوله تقليداً بغير تأمل واعتبار لم يحتج إلى أن يكون على ما ظهر من الآيات والمعجزات.

فأما قبول قوله (ص) بعد قيام الدلالة على صدقة، فهو تسليم وليس بتقليد.

وكذلك قبولنا لما أتت به أئمتنا (ع)، ورجوعنا إلى فتاويهم في شريعة الإسلام.

فإن قال: فأبن لنا ما التقليد في الحقيقة؟ وما التسليم؟ ليقع الفرق والبيان.

فقل: التقليد هو قبول قول من لم يثبت صدقه، وهذا معنى التقليد لا يكون إلا عن بينةٍ وحجة.(١)

فصل: من كلام جعفر بن محمد الصادق (ع) مما حفظ عنه في وجوب المعرفة بالله عز وجل وبدينه.

قوله:

وجدت علم الناس في أربع:

(١) ومن جوابه هذا يظهر معنى التسليم وهو الأخذ بقول من ثبت صدقه وأصبح حجةً بذاته.

أحدها: أن تعرف ربك.
والثاني: أن تعرف ما صنع بك.
والثالث: أن تعرف مأ أراد منك.
والرابع: أن تعرف ما يخرجك عن دينك(١).

قال شيخنا المفيد رحمه الله:

هذه أقسام تحيط بالمفروض من المعارف، لأنه أول ما يجب على العبد معرفة ربه جل جلاله، فإذا علم أن له إلّها وجب أن يعرف صنعه، وإذا عرف صنعه عرف به نعمته، فإذا عرف نعمته، وجب عليه شكره، فإذا أراد تأدية شكره، وجب عليه معرفة مراده، ليطيعه بفعله، وإذا وجب عليه طاعته، وجب عليه معرفة ما يخرجه عن دينه، ليتجنبه، فتخلص له به طاعة ربه، وشكر إنعامه.

أنشدني بعض أهل هذا العصر لنفسه:

والزم من الدين ما قام الدليل به
فإن أكثر دين الناس تقليد
فكلما وافق التقليد مختلق
زور وإن كثرت فيه الأسانيد
وكل ما نقل الآحاد من خبرٍ
مخالف لكتاب الله مردود.

فصل آخر من السؤال والبيان

إن سأل سائل فقال:
ما نعمة الله تعالى عليك؟
فقل: خلقه إياي حياً لينفعني.
فإن قال: ولِمَ زعمت أن خلقه إياك حياً أول النعم؟

---

(١) تجد هذا الحديث مروياً في إرشاد المفيد ص٢٥٩.

فقل: لأنه خلقني لنفعي، ولا طريق لنيل النفع إلا بالحياة التي يصح معها الإدراك.

فإن قال: ما النعمة؟

فقل: هي المنفعة إذا كان فاعلها قاصداً لها.

فإن قال: ما المنفعة؟

فقل: هي اللذة الحسنة أو ما يؤدي إليها.

فإن قال: لمَ شرطت أن تكون اللذة حسنة؟

فقل: لأن من اللذات ما لا يكون حسناً.

فإن قال: لِمَ قلت: أو ما يؤدي إليها؟

فقل: لأن كثيراً من المنافع لا يتوصل إليها إلا بالمشاق، كشرب الدواء الكريه والفصد ونحو ذلك من الأمور المؤدية إلى السلامة واللذات، فتكون هذه المشاق منافع لما يؤدي إليه في عاقبة الحال.

ولذلك قلنا: إن التكليف نعمة حسنة، [لأنه] به ينال مستحق النعيم الدائم واللذات.

فإن قال: فما كمال نعم الله تعالى؟

فقل: إن نعمه تتجدد علينا في كل حال، ولا يستطاع لها الإحصاء.

فإن قال: فما تقولون في شكر المنعم؟

فقل: هو واجب.

فإن قال: فمن أين عرفت وجوبه؟

فقل: من العقل وشهادته، وواضح حجته ودلالته.

ووجوب شكر المنعم على نعمته مما تتفق العقول عليه، ولا تختلف فيه.

فإن قال: فهل أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى بشكرٍ، أو يوفي حقها بعملٍ؟

فقل: لا يستطيع أحد من العباد، من قِبَلِ أن الشيء إنما يكون كفواً لغيره

إذا سد مسده، وناب منابه، وقابله في قدره، وماثله في وزنه.

وقد علمنا أنه ليس شيء من أفعال الخلق تسد مسد نعم الله عليهم، لإستحالة الوصف لله تعالى بالإنتفاع، أو تعلق الحوائج به إلى المجازاة، وفساد مقال من زعم أن الخلق يحيطون علماً بغاية الإنعام من الله تعالى عليه، والإفضال، فيتمكنون من مقابلتها بالشكر على الإستيفاء للواجب، والإتمام.

فيعلم بهذا تقصير العباد من مكافأة نعم الله تعالى عليهم، ولو بذلوا في الشكر والطاعات غاية المستطاع، وحصل ثوابهم في الآخرة تفضلاً من الله تعالى عليهم، وإحساناً إليهم.

وإنما سميناه استحقاقاً في بعض الكلام، لأنه وعد به على الطاعات، وهو الموجب له على نفسه بصادق وعده، وإن لم يتناول شرط الإستحقاق على الأعمال.

وهذا خلاف ما ذهب إليه المعتزلة إلا أبا القاسم البلخي(١)، فإنه يوافق في هذا المقال، وقد تناصرت به مع قيام الأدلة العقلية عليه الأخبار.(٢)

أخبرني شيخنا المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان الحارثي رضوان الله عليه إجازةً، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن ابن محبوب، عن داود بن كثير، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله (ص):

---

(١) في النسخة إلا أبو والصحيح أبا لأنه استثناء من موجب.

(٢) اتفق أهل العدل على أن المؤمن الذي عمل عملاً صالحاً يدخل الجنة خالداً فيها، واختلفوا في أن هذا الثواب هل هو على جهة الإستحقاق والمعاوضة بينه وبين العمل أم تفضل من المولى تعالى قال أكثر المعتزلة بالأول اعتماداً على قبح الثواب مع عدم الإستحقاق ولأن التكليف حينئذٍ لغو، وذهب البلخي والمعتزلة والمفيد وجماعة من الإمامة إلى الثاني عملاً بطبيعة المولى والعبد إذ لا يجب على المولى بازاء العبد بشيء إذا أطاعه، ولأنه يكفى في صحة التكليف وحسنه عقلاً سبق المنعم على المكلف المستتبعة لوجوب شكر المنعم بالطاعة، وللإخبار المؤيدة لحكم العقل، التي ذكر المؤلف بعضاً منها.

قال الله تعالى: لا يتكل[1] العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو أجمعوا وأتعبوا أنفسهم وأعمارهم في عبادتي، كانوا مقصرين، غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي، فيما يطلبون من كرامتي، والنعيم في [جناني]، ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم، وبمَنّي أُبلغهم رضواني ومغفرتي، وأُلبسهم عفوي، فإني الله الرحمن الرحيم، بذلك تسميت.

أخبرني شيخنا المفيد رحمه الله قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه، عن محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن محمد القاشاني، عن القاسم بن محمد الأصبهاني، عن سليمان بن خالد المنقري، عن سفيان بن عينيه عن حميد بن زياد، عن عطاء بن يسار، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال:

يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيقول: قيسوا بين نعمي وبين عمله، فتغرق النعم العمل، فيقول: هبوا له النعم، وقيسوا بين الخير والشر منه، فإن استوى العملان، أذهب الله الشر بالخير، وأدخل الجنة، وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله، وإن كان عليه فضل وهو من أهل التقوى لم يشرك بالله تعالى، [واتقى] الشرك به فهو من أهل المغفرة، يغفر الله له برحمته، ويتفضل عليه بعفوه.

وأخبرني أيضاً شيخنا المفيد رحمه الله قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن سعد بن خلف، عن أبي الحسن (ع) أنه قال:

«عليك بالجد، ولا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله تعالى لا يعبد حق عبادته.

---

(١) في النسخة (لا يتكلوا).

شبهة للبراهمة في النبوة[1]

اعتلت البراهمة في إبطال الرسالة بأن قالت:

ليس يخلو أمر الرسول من حالين:

إما أن يأتي ما يدل عليه العقل أو بخلافه. فإن أتى بما في العقل كان من كمل عقله غنياً عنه، لأن الذي يأتيه مستقر عنده، موجود في عقله.

وإن أتى بخلاف ما في العقل فالواجب رد ما يأتيه به، لأن الله تعالى إنما خلق العقول للعباد ليستحسنوا بها ما استحسنت، ويقروا بما أقرت، وينكروا ما أنكرت.

نقض: يقال لهم: إن الرسول لا يأتي أبداً بما يخالف العقل، غير أن الأمور في العقول على ثلاثة أقسام: واجب، وممتنع، وجائز.

فالواجب في العقل يأتي السمع بإيجابه تأكيداً له عند من علمه، وتنبيهاً عليه لمن لم يعلمه.

والجائز هو الذي يمكن في العقل حسنه تارة وقبحه تارة، كانتفاع الإنسان بما يتملكه غيره، فإنه يجوز أن يكون حسناً إذا أذن له فيه مالكه، وقبيحاً إذا لم يأذن له. وكل واحدٍ من القسمين جائز في العقل، لا طريق إلى القطع على أحدهما إلا بالسمع.

ومن الأمور التي لا يصل العقل إليها أيضاً فيها إلى القطع على العلم بأدوية الأعلال ومواضعها، وطبائعها، وخواصها، ومقاديرها، [التي] يحتاج إليه منها، وأوزانها.

فهذا مما لا سبيل للعقل فيه إلى حقيقة العلم، وليس يمكن امتحان كل ما في البر والبحر، ولا تحسن التجربة والسير، لما فيها من الخطر المستقبح.

فعلم أن هذا مما لا غناء فيه عن طارق السمع.

---

(١) هم أكثر الهندوس في الهند ينتسبون إلى برهام وهم أهل نحل عديدة ولهم شبهات على إرسال الرسل وإبطال النبوات وتجد شرح مذاهبهم في الملل والنحل.

وبعد فإن شكر المنعم عندنا وعند البراهمة مما هو واجب في العقل، وليس في وجوبه ووجوب تعظيم مبدأ النعمة خلاف، وشكر الله تعالى، وتعظيمه أوجب ما يلزمنا، لعظيم أياديه لدينا، وإحسانه إلينا.

ولسنا نعلم بمبلغ عقولنا أي نوع يريده من تعظيمنا له وشكرنا. هذا مع الممكن من لطفٍ يكون[1] في نوعٍ من ذلك لنا لا يعلمه إلا خالقنا.

ثم يقال للبرهمة أيضاً:

لو لم يكن في العقل القسم الجائز الذي ذكرناه، وكانت الأشياء لا تخلو من واجبٍ، وممتنع، دون ما بيناه، لم يستغن مع هذا التسليم عن المرسلين، لأنهم ينبهون على طريق الإستدلال المسترشدين، ويحركون الخواطر بالتذكار إلى سنن التأمل والإعتبار.

وهذا أمر يدل عليه ما نشاهده من أحوال العقلاء، وافتقارهم إلى من يفتح لهم باب الإستدلال أولاً.

وفي بعض ما أوردناه بيان عن غلط البراهمة فيا اعتدت، ونقض لشبهتها التي ذكرت والحمد لله.

(مختصر من الكلام على اليهود في إنكارهم جواز النسخ في الشرع).

إعلم أن اليهود طائفتان، أحداهما تدّعي أن نسخ الشرع لا يجوز في العقل.

والأُخرى تجيز ذلك عقلاً، وتزعم أن المنع منه ورد به السمع.

فأما المدعون على العقل الشهادة بقبح النسخ، فإنهم زعموا أن النسخ هو البداء.

---

(١) في العبارة قلق تركيبي وإن كان المراد واضحاً.

قالوا: والبداء لا يجوز على الله تعالى.

فيقال لهم: لِمَ زعمتم أن النسخ هو البداء؟

فإن قالوا: للمتعارف بين العقلاء، أن الآمر بالشيء إذا نهى عنه بعد أمره، [فقد] بدا له فيه.

وكذا إذا نهى عن الشيء ثم أمر به من بعد نهيه.

قيل لهم: ما تنكرون من أن يكون عى هذا قسمين:

أحدهما: أن يأمر الآمر بالشيء في وقت، وإذا فُعِل وجاز وقت فعله، نهى عنه من بعد، فيكون في الحقيقة، إنما نهى عن مثله. وهذا هو النسخ بعينه. وكذلك القول في الأمر بالشيء بعد النهي عنه.

والقسم الآخر: أن يأمر بفعل الشيء في وقتٍ، فإذا أتى ذلك الوقت نهى عنه فيه بعينه، قبل أن يفعل، ويكون هذا البداء دون القسم الأول، محصل الفرق بين البداء والنسخ، ويتضح أن دعواكم فيهما أنهما واحد لم تصح.

فإن قالوا: إن العبادة إذا تعلقت على المكلف بأمر أو نهي، فالحكمة اقتضتها. فمتى تغيرت العبادة، دلت على تغيير الحكمة، والحكمة لا يجوز تغييرها.

قيل لهم: فألاَّ قلتم: إن العبادة إذا ألزمت المكلف، فالحكمة اقتضتها لمصلحةٍ من مصالح المكلف أوجبتها، فإذا تغيرت العبادة، دلت على أن الحكمة اقتضت ذلك لتغير المصلحة، والمصلحة يجوز تغييرها.

فإن قالوا: إنا لا نعلم في العقل تغيير المصالح.

قيل لهم: وكذلك لا تعرفون بالعقل المصالح.

ثم يقال لهم: ما السبب في نقل الله تعالى، الإنسان من كونه شاباً إلى أن صيّره شيخاً، وأفقره ثم أغناه، وأماته بعد أن أحياه؟ وكيف أصحه ثم أسقمه، وأوجده ثم أعدمه؟ فكيف تغيرت الحكمة في جميع ما عددنا؟ وما أنكرتم أن يكون هذا كله بداءً؟ أيُّ اختلافٍ في المصالح يكون أوضح من هذا؟

وأما المدعون من اليهود، أن إبطال النسخ عُلِمَ بالسمع دون العقل، فإنهم ادعوا في ذلك على موسى (ع) أنه قال:

إن شريعته دائمة لا تنسخ.

والذي يدل على بطلان دعواهم هذه ظهور المعجزات على من أَتى بالنسخ. ولو كان خبرهم حقاً لم يصح إتيان ذي معجز بنسخ.

وهذه المعجزات يعلم أنها قد كانت بمثل ما تعلم له اليهود معجزات موسى (ع) من غير فرق.

فصل في ذكر البداء

أعلم - أيدك الله تعالى - أن أصحابنا دون المتكلمين يقولون بالبداء، ولهم في نصرة القول به كلام، ومعهم فيه آثار.

وقد استشنع ذلك منهم مخالفوهم، وشَنَّعَ عليهم به مناظروهم.

وإنما استشنعوه لظنهم أنه يؤدي إلى القول بأن الله تعالى، علم في البداء ما لم يكن يعلم. فإذا قدر الناصر للبداء على الإحتراز من هذا الموضع فقد أحسن، ولم يبق عليه أكثر من إطلاق اللفظ، وقد قلنا إن ذلك قد ورد به السمع.

وقد اتفق لي فيه كلام مع أحد المعتزلة بمصر، أنا أَحكيه، لتقف عليه.

حكاية مجلسٍ في البداء

كنت سألت معتزلياً، حضرت معه مجلساً، فيه قوم من أهل العلم، فقلت له:

لِمَ أنكرت القول بالبداء؟ وزعمت أنه لا يجوز على الله تعالى.

فقال: لأنه يقتضي ظهور أمرٍ لله سبحانه كان عنه مستوراً، وفي هذا أنه قد تجدد له العلم بما لم يكن به عالماً.

فقلت له: أين لنا من أين علمت أنه يوجب ذلك، وتقتضيه، ليسع الكلام معك فيه؟

فقال: هذا هو معنى البداء، والتعارف يقضي بيننا. ولسنا نشك أن البداء هو الظهور، ولا يبدو للآمر إلا لظهور شيءٍ تجدد من علم أو ظنٍ لم يكن معه من قبل.

وبيان ذلك: أن طبيباً لو وصف لعليلٍ أن يشرب في وقته شراب الورد، حتى إذا أخذ العليل القدح بيده ليشرب ما أمره به، قال له الطبيب في الحال صبه ولا تشربه، وعليك بشرب النيلوفر بدله، فلسنا نشك في أن الطبيب قد استدرك الأمر وظهر له من حال العليل ما لم يكن عالماً به من قبل، فغير عليه الأمر لما تجدد له من العلم. ولولا ذلك لم يكن معنى لهذا الخلاف.

فقلت له: هذا مما في الشاهد وهو من البداء، فيجوز عندك أن يكون في البداء قسم غير هذا؟

فقال: لا أعلم في الشاهد غير هذا القسم، ولا أرى أنه يجوز في البداء قسم غيره ولا يعلم.

فقلت له: ما تقول في رجلٍ له عبد، أراد أن يختبر حاله وطاعته من معصيته، ونشاطه من كسله، فقال له في يومٍ شديد البرد: سر لوقتك هذا إلى مدينة كذا، لتقبض مالاً لي بها، فأحسن العبد لسيده الطاعة، وقدم المبادرة، ولم يحتج بحجة، فلما رأى سيده مسارعته، وعرف شهامته ونهضته، شكره على ذلك، وقال له: أقم على حالك، فقد عرفت أنك موضع للصنيعة، وأهل للتعويل عليك في الأمور العظيمة، أيجوز عندك هذا؟ وإن جاز فهل هذا داخل في البداء أم لا؟

فقال: هذا مستعمل ورأينا في الشاهد، وقد بدا فيه للسيد، وليس هو قسماً ثانياً، بل هو بعينه الأول، هو الذي لا يجوز على الله عز وجل.

فقلت له لِمَ جعلت الجمع بينهما من حيث ذكرت أولى من التفرقة بينهما، من حيث كان أحدهما مريداً لإتمام قبل أن يبدو له فيه فينهى عنه، وهو

الطبيب، والآخر غير مريدٍ لإتمامه على كل وجهٍ، وهو سيد العبد، بل كيف لم تفرق بينهما من حيث أن الطبيب لم يجز قط أن يقع منه اختلاف الأمر إلا لتجدد علمٍ له لم يكن، وسيد العبد يجوز أن يقع منه النهي بعد الأمر من غير أن يتجدد له علم، ويكون عالماً بنهضته في الحالين، ومسارعته إلى ما أحب، وإنما أمره بذلك ليعلم الحاضرون حُسن طاعته، ومبادرته إلى أمره، وأنه ممن يجب اصطفاؤه، والإحسان إليه، والتعويل في الأمور عليه.

قال: فإذا سلمت لك الفرق بينهما، فما تنكر أن يكون دالاً على أن مثالك الذي أتيت به غير داخلٍ في البداء؟

قلت: أنكرت ذلك من قِبَلِ أن البداء عندنا جميعاً نهي الآمر عما أمر به قبل وقوعه في وقته، وإذا كان هذا هو الحد المراعى فهو موجود في مثالنا، وقد أجمع العقلاء أيضاً على أن السيد فيه قد بدا له فيما أمر به عبده.

قال: فإذا دخل القسمان في البداء، فما الذي تجيز على الله تعالى منهما؟

فقلت: أقربهما إلى قصة ابراهيم الخليل (ع) وأشبههما لما أمر الله تعالى في المنام بذبح ولده اسماعيل (ع)، فلما سارع إلى المأمور راضياً بالمقدور، وأسلما جميعاً صابرين، وتلّه للجبين، نهاه الله عن الذبح بعد متقدم الأمر، وأحسن الثناء عليهما، وضاعف لهما الأجر.

وهذا نظير ما مثلت من أمر السيد وعبده، وهو النهي عن المأمور به قبل وقوع فعله.

قال: فمن سَلّم لك أن إبراهيم (ع) مأمور بذلك من قبل الله سبحانه؟

قلت: سلمه لي من يقر بأن منامات الأنبياء عليهم السلام صادقة، ويعترف بأنها وحي الله في الحقيقة، وسلّمه لي من يؤمن بالقرآن، ويصدق ما فيه من الأخبار.

وقد تضمن الخبر عن اسماعيل أنه قال لأبيه: يا أبت أفعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين، وقوله الله تعالى لإبراهيم: (قد صدقت

الرؤيا)[1] وثناؤه عليه، حيث قال: (كذلك نجزي المحسنين). وليس بمحسنٍ من امتثل غير أمر الله تعالى في ذبح ولده، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه.

قال: فإني لا أُسمي هذا بداءً.

فقلت له: ما المانع لك من ذلك، أتوجه الحجة عليك به، أم مخالفته للمثال المتقدم ذكره؟

فقال: يمنعني من أن أُسميه البداء، أن البداء لا يكشف إلا عن متجدد علمٍ لمن بدا له، وظهوره له بعد ستره، وليس في قصة إبراهيم واسماعيل (ع) ما يكشف عن تجدد علم الله سبحانه، ولا يجوز ذلك عليه، فلهذا قلت أنه ليس ببداء.

فقلت له: هذا خلاف ما سلمته لنا من قبل، وأقررت به، من أن سيد العبد يجوز أن يأمره بما ذكرناه، ثم يمنعه مما أمره به وينهاه، مع علمه بأنه يطيعه في الحالين لغرضه في كشف أمره للحاضرين.

ثم يقال لك: ما تنكر من إطلاق اللفظ بالبداء في قصة ابراهيم وإسماعيل (ع)، لأنها كشفت لهما عن علم متجدد، ظهر لهما، كان ظنهما سواه، وهو إزالة هذا التكليف بعد تعلقه، والنهي عن الذبح بعد الأمر به.

قال: أفتقول إن الله تعالى أراد الذبح لما أمر به أم لم يرده؟

وأعلم أنك إن قلت: إنه لم يرده دخلت في مذاهب المجبرة، لقولك إن الله تعالى أمر بما لا يريده.

وكذلك: إن قلت إنه أراده دخلت في مذهبهم أيضاً، من حيث أنه نهى عما أراده، فما خلاصك من هذا؟

فقلت له: هذه شبهة يقرب أمرها، والجواب عنها لازم لنا جميعاً، لتصديقنا بالقصة، وإقرارنا بها.

وجوابي فيها أن الذبح في الحقيقة هو تفرقة الأجزاء، ثم قد تسمى الأفعال

---

(١) الصافات: ١٠٥.

التي في مقدمات الذبح، مثل القصد، والاضجاع، وأخذ الشفرة، ووضعها على الحلق، ونحو ذلك، ذبحاً مجازاً واتساعاً.

ونظير ذلك أن الحاج في الحقيقة هو زائر بيت الله تعالى، على منهاج ما قررته الشريعة، من الأحرام، والطواف، والسعي.

وقد يقال لمن شرع في حوائجه لسفره في حجة من قبل أن يتوجه إليه، أنه حاج اتساعاً ومجازاً.

فأقول: إن مراد الله تعالى فيما أمر به لخليله إبراهيم (ع) من ذبح ولده، إنما كان مقدمات الذبح، من الإعتقاد أولاً والقصد، ثم الإضتجاع للذبح، ترك الشفرة على الحلق، وهذه الأفعال الشاقة التي ليس بعدها غير الإتمام بتفرقة أجزاء الحلق.

وعَبَّرَ عن ذلك بلفظ الذبح، ليصح من إبراهيم (ع) الإعتقاد له، والصبر على المضض فيه، الذي يستحق جزيل الثواب عليه.

ولو فُسِّرَ له في الأمر المراد على التعيين لما صح منه الأعتقاد للذبح، ولا كان ما أُمر به شاقاً، يستحق عليه الثناء، والمدح، وعظيم الأجر.

والذي نهى الله تعالى عنه هو الذبح في الحقيقة، وهو الذي لم يبق غيره، ولم تتعلق الإرادة قط به. فقد صح بهذا أن الله تعالى لم يأمر بما لا يريد، ولا نهى عما أراد، والحمد لله.

قال: الخصم: فقد انتهى قولك إلى أن الذي أمر به غير الذي نهى عنه، وليس هذا هو البداء.

فقلت له: أما في ابتداء الأمر فما ظن إبراهيم (ع) إلا أن المراد هو الحقيقة.

وكذلك كان ظن ولده إسماعيل (ع)، فلما انكشفت بالنهي لهما ما علماه مما كان ظنهما سواه، كان ظاهره بداءً، لمشابهته لحال من يأمر بالشيء، وينهي عنه بعينه في وقته، وليستسلمه على ظاهر الأمر دون باطنه، فلم يرد على ما ذكرت شيئاً.

وهذا الذي اتفق لي من الكلام في البداء.

مسألة:

فإن قال قائل: ما تقولون في الذبيح؟ ومن كان من ولدي إبراهيم (ص) أكان إسماعيل أم إسحاق (ع)؟؟

قلنا: الذبيح عندنا هو إسماعيل، وبهذا يشهد ظاهر القرآن والخبر المأثور عن النبي (ص).

أما القرآن فإن الله تعالى قال حكايةً عن إبراهيم (ص):

(رب هب لي من الصالحين) الصافات: ١٠٠

فأخبر عن سؤاله في الولد، قال الله تعالى:

(فبشرناه بغلام حليم) الصافات: ١٠١

ثم أخبر عن حال هذا الغلام فقال:

(فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك). الصافات: ١٠٢

فوصف قصة الذبح المختصة بهذا الغلام إلى قوله:

(إنا كذلك يجزي المحسنين). الصافات: ١٠٥

ثم قال بعد ذلك:

(وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين). الصافات: ١١٢

فأعلمنا أن إسحاق إنما أتاه بعد الولد الأُول الذي أُجيبت فيه دعوته، ورأى في المنام أنه يذبحه.

وهذا يدل على أنه غير إسحاق، وليس غيره ممن ينسب هذا إليه إلا إسماعيل (ع).

وأما الخبر المأثور فقول رسول الله (ص) «أنا ابن الذبيحين»[1]

---

(١) أنظر أعلام النبوة للماوردي ص١٤٣

يعني إسماعيل وعبدالله بن عبد المطلب، ولو كان الذبيح إسحاق لما صح هذا الخبر على ظاهره، لأنه ليس هو ابنه، وهو ابن اسماعيل (ع).

فصل:

جاء في الحديث أن الله تعالى بعث إلى عبد المطلب في منامه ملكاً، فقال له: يا عبد المطلب احفر زمزم، قال: وما زمزم؟ قال: تراث أبيك آدم (ع)، وجدك الأقدم عند الفرث والدم، عند الغُراب الأعصم.

وأن عبد المطلب رأى ذلك في منامه ثلاث ليالٍ متواليات، واصبح اليوم الرابع، فقعد عند البيت الحرام، فبيناهو قاعد إذا بقرة قد أُفلتت من بعض الجزارين في أعلا الأبطح من وثاقها، حتى جاءت إلى موضع زمزم، فوقفت هناك، فجزرت مكانها، وسقط غراب أعصم على الفرث والدم.

والأعصم هو الذي إحدى رجليه بيضاء.

فقال عبد المطلب: هذا تأويل رؤياي، فحفرها في موضعها، فصعب عليه الحفر، فقال: اللهم إن لك عليَّ نذراً، أن أتقرب ببعض ولدي، إن أنبطت ليَ الماء.

فلما نبع الماء عزم على أن يقرب بعض ولده، فجاء بنو مخزوم وسائر قريش، فقالوا له: اقرع بين ولدك، فخرجت القرعة على عبدالله، فقال بنو مخزوم له إفدِ ولدك بمالك، فأقرع بينه وبين عشرة من الإبل، فخرجت القرعة على عبدالله، فجعلها عشرين، وقزع بينه وبينها، فخرجت القرعة على عبدالله.

فما زال كذلك حتى صارت الإبل ماية.

وفي حديث آخر أنها بلغت ألفاً، وهي دية الملوك، فعند ذلك وقعت القرعة على الإبل، فقربها فجعلها هدياً.

أخبرني شيخي أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله رضي الله عنه، قال: أخبرني أبو محمد هارون بن موسى، قال: أخبرني محمد بن همام، عن أبي محمد الحسن بن

جمهور، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الحسن بن محبوب، عن علي بن رباب،[١] عن مالك بن عطية، قال:

لما حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم، وأنبط منها الماء، أخرج منها غزالين من ذهب، وسيوفاً وأدراعاً، فجعل الغزالين زينةً للكعبة، وأخذ السيوف والدروع، وقال: هذه وديعة كان أودعها مضاض الجرهمي بن الحرث بن عمرو بن مضاض.

والحارث هو الذي يقول[٢]:

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى: نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود العواثر[٣]
ويمنعنا من كل فجٍ نريده
أقب كسرحان الأباءة ضامر[٤]
وكل لجوج في الجراء طمرةٍ
كعجزاء فتحاء الجناحين كاسر

والقصيدة طويلة[٥]

فحسدته قريش بذلك، فقالوا: نحن شركاؤك فيها، فقال: هذه فضيلة، نبئت بها دونكم في منامي ثلاث ليال تباعاً.

---

(١) يكنى بأبي الحسن، وهو من رواة الشيعة الكوفيين الثقات روى عن الصادق والكاظم. وله عدة كتب توفي (سنة ٢٢٤هـ).

(٢) في السيرة لابن هشام أن القائل هو عمرو بن الحرث بن عمرو بن مضاض وليس بمضاض الأكبر.

(٣) ذكر البيتين مع أبيات غيرهما لم يذكرهما المؤلف، في مروج الذهب ج٢ ص٤٩.

(٤) الأباءة أجة القصب.

(٥) تجد القسم الكبير من هذه القصيدة في سيرة ابن هشام ج١ ص١٢٦- ١٢٨ وهي متضمنة لبعض الأبيات التي ذكرها المؤلف.

فقالوا: حاكمنا إلى من شئت من حكام العرب، فخرجوا إلى الشام يريدون أحد كهانها وعلمائها، فأصابهم عطش شديد، فأوصى بعضهم إلى بعض، فبيناهم على ذلك، إذ بركت ناقة عبد المطلب، فنبع الماء من بين أخفافها فشربوا، وتزودوا، وقالوا لعبد المطلب: إن الذي سقاك في هذه الأودية القفر هو الذي سقاك بمكة، فرجعوا، وسلّموا له هذه المأثرة.(١)

(بيان عن قول النصارى، ومسألة عليهم لا جواب لهم عنها)

اعلم أنهم يزعمون أن المسيح (ع) مجموع من شيئين: لا هوت، وناسوت، يعنون باللاهوت الله سبحانه وتعالى عما يقولون. وبالناسوت الإنسان، وهو جسم المسيح، إن هذين اتحدا، فصارا مسيحاً.

ومعنى قولهم اتحدا أي صارا شيئاً واحداً في الحقيقة، وهو المسيح.

فيقال لهم: أنتم مجمعون معنا على أن الآله قديم، وأن الجسم محدث، وقد زعمتم أنهما صارا واحداً.

فما حال هذا الواحد؟ أقديم أم محدث؟

فإن قالوا: هو قديم

قيل لهم: فقد صار المحدث قديماً، لأنه من مجموع شيئين: أحدهما محدث.

وإن قالوا: هو محدث

قيل لهم: فقد صار القديم محدثاً، لأنه من مجموع شيئين أحدهما قديم.

وهذا ما لا حيلة لهم فيه، وليس يتسع لهم أن يقولوا: بعضه قديم، وبعضه محدث، لأن هذا ليس بإتحاد في الحقيقة، ولا أن يقولوا هو قديم محدث، لتناقض ذلك واستحا [لته]، ولا أن يقولوا: ليس هو قديم ولا محدث، فظاهرٌ فساد ذلك أيضاً وبطلانه.

---

(١) تجد قصة حفر زمزم ومنازعة قريش لعبد المطلب مروية في سيرة ابن هشام ج (١) ص١٥٤-١٥٨ بروايته عن علي عليه السلام مختلفة في أسلوبها عن رواية الكراجكي ومتفقة معها في المضمون.

وهذا كافٍ في إبطال الإتحاد[1] الذي ادعوه.

وقد سألهم بعض المتكلمين فقال:

إذا كنتم تعبدون المسيح، والمسيح آله وإنسان، فقد عبدتم الإنسان، وعبادة الإنسان كفر بغير اختلاف.

مسألة أُخرى عليهم

قال لهم: إذا كان المسيح عندكم من مجموع شيئين: آله وإنسان، فأخبرونا عن القتل والصلب على ماذا وقع؟ أتقولون أنه وقع بهما أم بأحدهما؟ فإن قالوا: بهما. قيل لهم: ففي هذا أن الآله ضرب وصُلب، وقُتِل، ودُفن [وهي] فضيحة لا ينتهي إليها ذو عقل.

وإن قالوا: بل وقع ذلك على أحدهما، وهو الناسوت، لأن اللاهوت لا يجوز عليه هذا.

قيل لهم: فإذاً قد صح مذهب المسلمين في أنهم ما قتلوا المسيح ولا صلبوه، لأن المسيح عندكم ليس هو الناسوت بانفراده، وإنما هو مجموع شيئين، لم يظفر اليهود إلا بأحدهما الذي [ليس] هو المسيح.

مسألة أُخرى عليهم.

يقال لهم: أيجوز أن يكون جسم متحرك، وشخص آكل شارب، تحله الأعراض الحادثات، وتناله الآلام والآفات قديماً؟

فإن قالوا: يجوز ذلك، لم يأمنوا أن يكون ناسوتاً قديماً.

وإن قالوا: لا يجوز ذلك

قيل لهم: فالمسيح (ع) كانت فيه هذه الصفات معلومات مرئيات.

فإن أنكروا ذلك كابروا وقبح[2] معهم الكلام.

---

(١) في النسخة: الإلحاد

(٢)• في النسخة (وأقبح).

وإن أقروا به، وقالوا:[1] قد كان على هذه الصفات.

قيل لهم: فقد صح حدوثه، وبطل قدمه، وحصلتم عابدين لبشر مخلوق مربوب.

فإن قالوا: إنما رأينا ناسوته المحدث، ولم نر لاهوته القديم.

قيل لهم: أو ليس من مذهبكم أنهما اتحدا، وصارا شيئاً واحداً؟

فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فيجب أن يكون من رأى أحدهما فقد رآهما، وإن لم يكن الأمر كذلك فما اتحدا.

فصل آخر من قولهم وكلام عليهم.

هم يذهبون إلى أن آلههم من ثلاثة أقانيم، والإقنوم عندهم هو الجوهر، يعنون الأصل، فالثلاثة الجواهر عندهم آله واحد، ويسمون هذه الثلاثة: الآب، والإبن، والروح.

فيقال لهم: إذا جاز أن يكون عندكم ثلاثة أقانيم آلهاً واحداً، فلِمَ لا يجوز أن يكون ثلاثة آلهة أُقنوماً واحداً، ويكون ثلاثة فاعلين جوهراً واحداً، فما أَبطلوا به هذا بطل [به] قولهم سواء.

فصل من قولهم

وقد احتجوا فقالوا: وجدنا من له ابن اشرف وأفضل ممن لا ابن له، ومن لا ابن له ناقص.

قالوا: وكذلك وجدنا من لا حياة له ميت، والروح هي الحياة، فوجب أن تصِفَ إلّهنا بالشرف والكمال، ووجود الحياة.

فيقال لهم: فقولوا: إن له بنين عدة، فإن ذلك أكثر لشرفه، وأسنى لمنزلته،

---

(١) في النسخة (وقال)

بل قولوا: إن له نسلاً، وإن له جداً، لأن من له ابن ابن أجل ممن ليس له إلا ابن فقط.

وإذا أوجبتم الروح التي زعمتم أنها الحياة، لئلا يكون ميتاً، فأوجبوا له علماً لئلا يكون جاهلاً، وقدرةً لئلا يكون عاجزاً، قولوا أيضاً إن له عينين ليكون ناظراً، أو جميع الحواس ليكون مدركاً.

فإن قالوا: إن [كان] له ما ذكرتم، لما اتحد بالناسوت فصار مسيحاً.

قيل لهم: بل يجب أن يكون له فيما لم يزل، وإلا كان ناقصاً.

فصل من الألفاظ التي يُقرُّون أن المسيح (ع) قالها، وهي دالة على بطلان مذهبهم فيه.

قوله (ع) في الإنجيل:

«لا يكون الرسول أعظم ممن أرسله».

وقوله:

«من آمن بي وآمن بالذي أرسلني».

وقوله:

«يا إلهي قد علموا أنك أنت الله وحدك لا شريك لك، وأنك أنت الله الخالق، وأنك أنت أرسلت المسيح عيسى ليبلغ رسالتك، وأن نعبدك وحدك لا شريك له.»

وقال له الحواريون: أين تذهب وتدعنا فقال:

أذهب إلى إلَهي وإلَهكم، فأسأله أن يبعث إليكم البرقليط[1] فإنه الذي

---

(١) وردت كلمة (فارقليط) و(بارقليطا) في إنجيل يوحنا في ثلاث آيات.

١- يوحنا ١٤:١٦

«وأنا أسأل الآب (الخالق) فيعطيكم فارقليطا آخر، ليقيم معكم إلى الأبد».

٢- يوحنا ١٥:٢٦

ومتى جاء بارقليطا سأرسله أنا إليكم من عند الآب (الخالق) روح الحق الذي من عند الخالق ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الإبتداء.». =

يذكركم الحق، ولا يتكلم إلا بأمره، وإذا جاءكم فهو يشهد لي، ويبين لكم أمري.

وزعموا أن الشيطان جَرَّبَ المسيح، وأراه ملكوت الأرض، وقال له: هذا كله لي، فاسجد لي سجدةً واحدةً، أعطكه وأسلطك عليه، فقال له:

«اعزب عني، فإن الله أمرني أن لا أسجد لغيره».

وقال الحواريون: الآن علمنا أن الله بعثك، فرفع عينه إلى السماء فقال:

«رب قد بلغت رسالتك، وإنما جنة الخلد لمن علم أنك وحدك أرسلت المسيح من عندك، وقد أمرتهم يا إلهي بالذي أمرتني به. علموا أنك أرسلتني، فكيف ابتغي لك من الناس، ولا أبتغي للناس منك».

فصل:

فإن قالوا: هذا كله انما قاله المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته.

قيل لهم: وما يدريكم ذلك، وبعد فهل هو صادق فيا قال أم كاذب؟

فإن قالوا: كاذب، فقد أعظموا الفرية.

وقيل لهم: وما يؤمنكم أن يكون جميع ما قاله لكم كذب؟ أو كيف يتحد الآله الصادق بالإنسان الكاذب؟

وإن قالوا: إنه لم يقل إلا حقاً.

قيل لهم: فأي حجة بقيت في أيديكم مع ما أقررتم بأن المسيح قاله وصدق فيه؟

= ٣- يوحنا ١٦: ٧:

«لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم بارقليطا ولكن إن ذهبت أرسله لكم».

وكلمة فارقليط وبارقليطا، تعنيان من له حمد كثير كمحمد وأحمد. وتجد البحث ضافياً على هذه الكلمة في كتاب إظهار الحق للهندي. أنظر البشارة الثامنة عشر ص ٥٣٨ وما بعدها، وتجد بحثاً عنها في كتاب: رسول الإسلام في الكتب السماوية للدكتور محمد الصادقي من ١٤٦ وما بعدها.

وهل هو إلا دال على ما يقول المسلمون.

وقد احتجوا بأن في الإنجيل:

«أمضي إلى أبي»

فيقال لهم: في هذا أنه شاركم بهذا اللفظ في النبوة، فإن وجب أن يكون ابنه فالجميع أبناؤه.

على أنه لفظه يحتمل التأويل، ويكون معناه: ربي وربكم، وإلهي وإلهكم.

وفي هذا المختصر من الكلام عليهم كفاية والحمد لله.

رسالة كتبتها إلى أحد الإخوان، وسميتها بالبيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان.

بسم الله الرحمن الرحيم.

سألت يا أخي أسعدك الله بألطافه، وأيدك بإحسانه، وإسعافه، أن أثبت لك جملاً من اعتقادات الشيعة المؤمنين، وفصولاً في المذهب يكون عليها بناء المسترشدين، لتذاكر نفسك بها، وتجعلها عدةً لطالبها. وأنا اختصر لك القول وأجمله، وأقرب الذكر وأسهله، وأورده على سنن الفتيا في المقالة، من غير حجةٍ ولا دلالة، وما توفيقي إلا بالله.

أعلم أن الواجب على المكلف

أن يعتقد حدوث العالم بأسره، وأنه لم يكن شيئاً قبل وجوده.

ويعتقد أن الله تعالى هو محدثُ جميعِه، من أجسامه، وأعراضه، إلا أفعال العباد، الواقعة منهم، فإنهم محدثوها دونه سبحانه.

ويعتقد أن الله تعالى قديم وحده، لا قديم سواه، وأنه موجود لم يزل، وباق لا يزال، وأنه شيء لا كالأشياء، لا يشبه الموجودات، ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات.

وأن له صفاتٍ يستحقها لنفسه، لا لمعان غيره، وهي كونه حياً، عالماً، قديماً، باقياً، لا يجوز خروجه عن هذه الصفات إلى ضدها، يعلم الكائنات قبل كونها، ولا يخفي عليه شيء منها.

وأن له صفات أفعال،[1] لا يصح إضافتها إليه في الحقيقة، إلا بعد فعله، وهي ما وصف به نفسه من أنه خالق، ورازق، ومعطٍ، وراحم، ومالك، ومتكلم، ونحو ذلك.

وأن له صفات مجازات، وهي ما وصف به نفسه، من أنه يريد، ويكره، ويرضى، ويغضب.

فإرادته لفعلٍ هي الفعل المراد بعينه، وإرادته لفعل غيره، هي الأمر بذلك الفعل.

وليس تسميتها بالإراده حقيقةً، وإنما هو على مجاز اللغة.

وغضبه هو وجود عقابه، ورضاه هو وجود ثوابه.

وأنه لا يفتقر إلى مكان، ولا يدرك بشيءٍ من الحواس.

وأنه منزه من القبائح، لا يظلم الناس وإن كان قادراً على الظلم[2] لأنه عالم بقبحه، غني عن فعله. قوله صدق، ووعده حق، لا يكلف خلقه ما لا يستطاع، ولا يحرمهم صلاحاً، لهم فيه الإنتفاع، ولا يأمر بما لا يريد، ولا ينهي عما يريد.

وأنه خلق الخلق لمصلحتهم، وكلفهم لأجل منازل منفعتهم، وأزاح في التكليف عللهم، وفعل أصلح الأشياء بهم.

وأنه أقدرهم قبل التكليف، وأوجد لهم[3] العقل والتمييز.

---

(١) وخلاصة القول في الصفات أن منها ما هو صفات الذات كالحياة والعلم وسواهما وهي ليست بزائدة على الذات، ومنها ما هو صفة له باعتبار الفعل كالرازق والخالق وما إليهما، ومنها ما هو صفة له على نحو المجاز كالغضب والرضا وغيرهما كما أشار إلى ذلك المؤلف، مما يدل على الانفعال الممتنع في حقه تعالى.

(٢) إشارة إلى الرد على النظام أحد زعماء المعتزلة الذي ذهب إلى أن الله لا يفعل الشر لأنه لا يقدر عليه، أما الإمامية فذهبوا إلى أنه لا يفعله مع قدرته عليه، لأنه قبيح.

(٣) في النسخة (وأوجدهم)

وأن القدرة تصلح أن يفعل بها وضده بدلاً منه.

وأن الحق الذي تجب معرفته، تدرك بشيئين، وهما العقل والسمع.

وأن التكليف العقلي لا ينفك عن التكليف السمعي.(١)

وأن الله تعالى قد أوجد [للناس] في كل زمانٍ مُسمِعاً [لهم] من أنبيائه، وحججه بينه وبين الخلق، ينبههم على طريق الإستدلال في العقليات، ويفقههم على ما لا يعلمونه إلا به من السمعيات.

وأن جميع حجج الله تعالى محيطون علماً بجميع ما يفتقر إليهم فيه العباد.

وأنهم معصومون من الخطأ والزلل عصمة اختيار.(٢)

وأن الله فضلهم على خلقه، وجعلهم خلفاء القائمين بحقه.

وأنه أظهر على أيديهم المعجزات، تصديقاً لهم فيما ادعوه من الأنباء والأخبار.

وأنهم- مع ذلك- بأجمعهم عباد مخلوقون، وبشر مكلفون، يأكلون، ويشربون، ويتناسلون، ويحيون بإحيائه، ويموتون بإماتته، تجوز عليهم الآلام المعترضات، فمنهم من قتل، ومنهم من مات، لا يقدرون على خلقٍ، ولا رزقٍ، ولا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم آله الخلق.

وأن أقوالهم صدق، وجميع ما أتوا به حق.

وأن أفضل الأنبياء أُولو العزم، وهم خمسة:

نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليه وآله وعليهم.

---

(١) إن القول بالملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع مبني على القول بمسألة عقلية معروفة وهي مسألة الحسن والقبح العقليين، أما من لم يقل بهذه المسألة فلا تلازم بين حكم العقل والشرع، ومعنى القول بالتلازم هو أن العقل إذا أدرك حسن شيء أو قبحه وقطع به فإنه حتماً يكون حكم الشرع على طبقه.

(٢) على نحو أن تكون هذه العصمة غير ملجئةٍ له إلى فعل الطاعة، بل هو قادر معها على فعل الشر كما هو قادر على فعل الخير لم يرتفع معها شيء من الأختيار والقدرة، وإلا لما استحق شيئاً من الثواب والعقاب ولما صح تكليفه.

وأن محمداً بن عبدالله (ص) أفضل الأنبياء أجمعين، وخير الأولين والآخرين.

وأنه خاتم النبيين، وأن آباءه من آدم (ع) إلى عبدالله بن عبد المطلب رضوان الله عليهم، كانوا جميعاً مؤمنين، موحدين لله تعالى عارفين، وكذلك أبو طالب رضوان الله عليه.

ويعتقد أن الله سبحانه شرف نبينا (ص) بباهر الآيات، وقاهر المعجزات، فسبح في كفه الحصا، ونبع من بين أصابعه الماء، وغير ذلك مما قد تضمنته الأنباء، وأجمع على صحته العلماء، وأتى بالقرآن المبين، الذي بهر به السامعين، وعجز عن الإتيان بمثله سائر الملحدين.

وأن القرآن كلام رب العالمين، وأنه محدث ليس بقديم.[1]

ويجب أن يعتقد أن جميع ما فيه من الآيات، الذي يتضمن ظاهرها تشبيه الله تعالى بخلقه، وأنه يجبرهم على طاعته أو معصيته، أو يضل بعضهم عن طريق هدايته، فإن ذلك كله لا يجوز حمله على ظاهرها، وأن له تأويلاً، يلائم ما تشهد العقول به، مما قدمنا ذكره في صفات الله تعالى، وصفات أنبيائه.

---

(١) هذا إشارة إلى الفتنة التي حدثت بين فرق المسلمين في القرآن هل هو مخلوق أم أزلي، بعد اتفاقهم على أنه تعالى يتصف بالكلام وأنه متكلم كما هو صريح قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً) وأن القرآن كلام الله، ولكنهم اختلفوا في معنى كلامه فعند المعتزلة والشيعة أنه حادث وأنه تعالى أوجده بعد أن لم يكن موجوداً في أجسام دالة على المراد، كما أوجد الكلام في شجرة الطور لموسى (ع). وعند الأشاعرة أن الكلام صفة من الصفات اللاحقة له تعالى كغيره من الصفات الأخرى، من العلم والقدرة والحياة وغيرها وإن معنى كونه تعالى متكلماً أن هناك صفة قائمة بذاته كالعلم والإرادة، وهذه الصفة القائمة تُعَبِّر عنها وتحكيها الكلمات والألفاظ. وهذا المعنى القائم بذاته أمر واحد عندهم ليس بنهي ولا أمر ولا خبر ولا إنشاء ولا غيرها من أساليب الكلام، ويعبرون عنه بالكلام النفسي، وما يحكيه من الألفاظ والعبارات بالكلام اللفظي.

وقد نشبت هذه الفتنة في عصر المأمون العباسي الذي تبنى القول بخلق القرآن، واشتد على من يقول بقدمه. وقد كتبنا حول هذه المسألة في كتابنا: هشام بن الحكم ص١٤٤-١٤٦.

فإن عرف المكلف تأويل هذه الآيات فحسن، وإلا أجزأه أن يعتقد في الجملة أنها متشابهات، وأن لها تأويلاً ملائماً، تشهد بما تشهد به العقول والآيات المحكمات، وفي القرآن المحكم، والمتشابه، والحقيقة، والمجاز، والناسخ، والمنسوخ، والخاص، والعام.

ويجب عليه أن يقر بملائكة الله أجمعين، وأن منهم جبرئيل وميكائيل، وأنهما من الملائكة الكرام، كالأنبياء بين الأنام، وأن جبرئيل هو الروح الأمين، الذي نزل بالقرآن على قلب محمدٍ خاتم النبيين، وهو الذي كان يأتيه بالوحي من رب العالمين.

ويجب الإقرار بأن شريعة الإسلام التي أتى بها محمد (ع) ناسخة لما خالفها من شرائع الأنبياء المتقدمين.

وأنه يجب التمسك بها والعمل بما تضمنته من فرائضها، وأن ذلك دين الله الثابت الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا حلال إلا ما أحلت، ولا حرام إلا ما حرمت، ولا فرض إلا ما فرضت، ولا عبادة إلا ما أوجبت.

وأن من انصرف عن الإسلام، وتمسك بغيره، كافر ضال، مخلد في النار، ولو بذل من الإجتهاد في العبادة غاية المستطاع.

وأن من أظهر الإقرار بالشهادتين كان مسلماً، ومن صدق بقلبه، ولم يشك في فرضٍ أتى به محمد (ص) كان مؤمناً.

ومن الشرائط الواجبة للإيمان، العمل بالفرائض اللازمة، فكل مؤمنٍ مسلم، وليس كل مسلمٍ مؤمن.

وقوله تعالى:

(إن الدين عند الله الإسلام)[1]

إنما أراد به الإسلام الصحيح التام، الذي يكون المسلم فيه عارفاً، مؤمناً، عالماً بالواجبات طائعاً.

---

(١) آل عمران: ١٩

ويجب أن يعتقد أن حجج الله تعالى بعد رسوله الذين هم خلفاؤه، وحفظة شرعه، وأئمة أُمته، اثنا عشر أهل بيته، أوّلهم أخوه وابن عمه، وصهره بعل فاطمة الزهراء ابنته، ووصيه على أُمته، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ثم الحسن بن علي الزكي، ثم الحسين بن علي الشهيد، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي باقر العلوم، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي التقي، ثم علي بن محمد المنتجب، ثم الحسن بن علي الهادي، ثم الخلف الصالح بن الحسن المهدي صلوات الله عليهم أجمعين.

لا إمامة بعد رسول الله (ص) إلا لهم (ع)، ولا يجوز الاقتداء في الدين إلا بهم، ولا أخذ معالم الدين إلا عنهم.

وأنهم في كمال العلم والعصمة من الآثام نظير الأنبياء عليهم السلام.

وأنهم أفضل الخلق بعد رسول الله عليه السلام.

وأن إمامتهم منصوص عليهم من قبل الله على اليقين والبيان.

وأنه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات، وأعلمهم كثيراً من الغائبات، والأمور المستقبلات، ولم يعطهم من ذلك إلا ما قارن وجهاً يعمله من اللطف والصلاح.

وليسوا عارفين بجميع الضمائر والغائبات على الدوام، ولا يحيطون بالعلم بكل ما علمه الله تعالى.

والآيات التي تظهر على أيديهم هي فعل الله دونهم، أكرمهم بها، ولا صنع لهم فيها.

وأنهم بشر محدثون، وعباد مصنوعون، لا يخلقون، ولا يرزقون، ويأكلون ويشربون، وتكون لهم الأزواج، وتنالهم الآلام والأعلال، ويستضامون، ويخافون فيتقون، وأن منهم من قتل، ومنهم من قبض.

وأن إمام هذا الزمان هو المهدي ابن الحسن الهادي، وأنه الحجة على العالمين، وخاتم الأئمة الطاهرين، لا إمامة لأحدٍ بعد إمامته، ولا دولة تبعد

دولته، وأنه غائب عن رعيته، غيبة اضطرارٍ وخوفٍ من أهل الضلال، وللمعلوم عند الله تعالى في ذلك الصلاح.

ويجوز أن يعرف نفسه في زمن الغيبة لبعض الناس، وأن الله عز وجل سيظهره وقت مشيئته، ويجعل له الأعوان والأصحاب، فيمهد الدين به، [و] يطهر الأرض على يديه، ويهلك أهل الضلال، ويقيم عمود الإسلام، ويصير الدين كله لله.

وأن الله عز وجل يظهر على يديه عند ظهوره الإعلام، وتأتيه المعجزات بخرق العادات، ويحيي له بعض الأموات، فإذا [أ] قام في الناس المدة المعلومة عند الله سبحانه قبضه إليه، ثم لا يمتد بعده الزمان، ولا تتصل الأيام حتى تكون شرائط الساعة، وإماتة من بقي من الناس، ثم يكون المعاد بعد ذلك.

ويعتقد أن أفضل الأئمة عليهم السلام، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأنه لا يجوز أن يسمى بأمير المؤمنين أحد سواه.

وأن بقية الأئمة صلوات الله عليهم، يقال لهم الأئمة، والخلفاء، والأوصياء، والحجج، وإن[1] كانوا في الحقيقة أمراء المؤمنين، فإنهم لم يمنعوا من هذا الإسم لأجل معناه، لأنه حاصل لهم على الإستحقاق، وإنما منعوا من لفظه، حشمةً لأمير المؤمنين (ع).

وأن أفضل الأئمة بعد أمير المؤمنين، ولده الحسن، ثم الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين، إمام الزمان المهدي (ص)، ثم بقية الأئمة بعده على ما جاء به الأثر، وثبت في النظر.

وأن المهدي (ع) هو الذي قال فيه رسول الله (ص):

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله تعالى ذلك اليوم، حتى

---

(١) في النسخة (وإنهم).

يظهر فيه رجل من ولدي، يواطئ اسمه إسمي، يملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً »[1].

فاسمه يواطئ إسم رسول الله (ص)، وكنيته تواطئ كنيته، غير أن النهي قد ورد عن اللفظ، فلا يجوز أن يتجاوز في القول أنه المهدي، والمنتظر، والقائم بالحق، والخلف الصالح، وإمام الزمان، وحجة الله على الخلق.

---

(١) روى هذا الحديث وأمثاله ابن خلدون في المقدمة في الفصل الثاني والخمسين عن الترمذي وأبي داود باختلاف في بعض ألفاظه، وروى حوالى اثنين وثلاثين حديثاً، وقال في ص ٣١١ من المقدمة:

« إن جماعة من الأئمة خرّجوا أحاديث المهدي، منهم: الترمذي، وأبو داود، والبزاز، وابن ماجه، والحاكم، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي، وابن عباس، وابن عمر، وطلحة، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سلمة، وثوبان، وقرة بن إياس، وعلي الهلالي، وعبد الله بن الحارث بن جزء ».

وقد ناقش في سندها تارة، وفي متنها تارة أخرى على طريقته الخاصة. وهي إسقاط كل رواية تأتي عن طريق الشيعة، أو عن طريق من يميل إلى أهل البيت، أو عن طريق من يتهم بالتشيع وإن لم يكن شيعياً، أو عن طريق من يروي شيئاً من فضائل أهل البيت، أو شيئاً من معاتب أعدائهم الأمويين.

ولكن برغم مناقشات ابن خلدون وغيره، فإن هناك حقيقة ثابتة، وهي أن الأحاديث في هذا الموضوع قد بلغت من الكثرة حد التواتر المعنوي، لا يمكن التشكيك في مضمونها، أو دعوى أنها موضوعة، إذ لم يحظ موضوع من المواضيع الاسلامية كموضوع قضية المهدي المنتظر، وليس له شبيه من حيث عدد الأرقام الهائلة س الأحاديث في هذا الموضوع، فقد أحصيت الأحاديث الواردة فيها من طريق أهل السنة وفي مسانيدها ومؤلفاتها ما يربو على أربعماية حديث عن النبي (ص)، وأحصي مجموع الأخبار الواردة من طرق الشيعة والسنة، فبلغت أكثر من ستة آلاف حديث، وهو رقم هائل لم يتوافر في أي قضية إسلامية أخرى، حتى في تلك القضايا الاسلامية الضرورية، وهو يتحدى كل شك وإنكار.

وقد وضعت عدة مؤلفات في هذا الموضوع، ومن أحسنها، كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر للشيخ لطف الله محمد جواد الصافي.

ويجب أن يعتقد أن الله فرض معرفة الأئمة (ع) بأجمعهم، وطاعتهم، وموالاتهم، والأقتداء بهم، والبراءة من أعدائهم وظالميهم... وأنه لا يتم الإيمان إلا بموالاة أوليـاء الله، ومعاداة أعدائه، وأن أعداء الأئمة عليهم السلام كفار ملحدون في النار، وإن أظهروا الإسلام، فمن عرف الله ورسوله والأئمة الاثني عشر وتولاهم، وتبرأ من أعدائهم فهو مؤمن، ومن أنكرهم.. أو تولى أعدائهم فهو ضال هالك لا ينفعه عمل ولا اجتهاد، ولا تقبل له طاعة ولا يصح له حسنات »:[1]

ويعتقد أن الله يزيد وينقص إذا أشاء في الأرزاق والآجال.

وأنه لم يرزق العبد إلا ما كان حلالاً طيباً.

ويعتقد أن باب التوبة مفتوح لمن طلبها، وهي الندم على ما مضى من المعصية، والعزم على ترك المعاودة إلى مثلها.

وأن التوبة ماحية لما قبلها من المعصية التي تاب العبد منها.

وتجوز التوبة من زلة، إذا كان التائب منها مقيماً على زلةٍ غيرها لا تشبهها، ويكون له الأجر على التوبة، وعليه وزر ما هو مقيم عليه من الزلة.

وأن الله يقبل التوبة بفضله وكرمه، وليس ذلك لوجوب قبولها في العقل قبل الوعد، وإنما عُلِمَ بالسمع دون غيره.

ويجب أن يعتقد أن الله سبحانه، يميت العباد ويحييهم بعد الممات ليوم المعاد.

وأن المحاسبة حق والقصاص، وكذلك الجنة والنار والعقاب.

وأن مرتكـبي المعاصي من العارفين بالله ورسوله، والأئمة الطاهرين،

---

(١) مكان النقاط كلمات غير واضحة.

المعتقدين لتحريمها مع ارتكابها، المسوفين التوبة منها، عصاة فساق، وأن ذلك لا يسلبهم اسم الإيمان كما لم يسلبهم إسم الإسلام.[1].

وأنهم يستحقون العقاب على معاصيهم، والثواب على معرفتهم بالله تعالى، ورسوله، والأئمة من بعده (ص).

وما بعد ذلك من طاعتهم، وأمرهم مردود إلى خالقهم، وإن عفا عنهم فبفضله ورحمته، وإن عاقبهم فبعدله وحكمته، قال الله سبحانه:

(وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم). التوبة: ١٠٦

وأن عقوبة هؤلاء العصاة إذا شاءها الله تعالى، لا تكون مؤبدة، ولها آخر، يكون بعده دخولهم الجنة، وليسوا من جملة من توجه إليهم الوعيد بالتخليد. والعفو من الله تعالى يرجى للعصاة المؤمنين.

وقد غلطت المعتزلة فسمت من يرجو العفو مرجئاً، وإنما يجب أن يسمى راجياً.

ولا طريق إلى القطع على العفو، وإنما هو الرجاء والتجوير فقط.

ويعتقد أن لرسول الله (ص) والأئمة من بعده (ع) شفاعة مقبولة يوم القيامة، ترجى للمؤمنين من مرتكبي الآثام.

ولا يجوز أن يقطع الإنسان على أنه مشفوع فيه على كل حال، ولا سبيل له إلى العلم بحقيقة هذه الحال، وإنما يجب أن يكون المؤمن واقفاً بين الخوف والرجاء.

ويعتقد أن المؤمنين الذين مضوا من الدنيا وهم غير عاصين، يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجنة بغير حساب.

---

(١) صرح بهذا المفيد أستاذ المؤلف في كتابه أوائل المقالات ص ٤٨ ونسبه إلى اتفاق الإمامية أما الخوارج فتسمي مرتكب الكبيرة مشركاً وكافراً، والحسن البصري أستاذ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، فيسمهم منافقين، وأما واصل بن عطاء فوضعهم في منزلةٍ بين منزلتين، وقال أنهم فساق ليسوا بمؤمنين، ولا كفار، ولا منافقين. أنظر هشام بن الحكم للمعلق ص ٢٧.

وأن جميع الكفار والمشركين، ومن لم تصح له الأُصول من المؤمنين يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجحيم بغير حساب، وإنما يحاسب من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم العارفون العصاة.

وأن أنبياء الله تعالى وحججه (ع) هم في القيامة المسؤلون للحساب بإذن الله تعالى، وأن حجة أهل كل زمانٍ يتولى أمر رعيته الذين كانوا في وقته.

وأن سيدنا رسول الله (ص) والأئمة الإثنا عشر من بعده (ع)، هم أصحاب الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار من أنكرهم وأنكروه.

وأن رسول الله (ص) يحاسب أهل وقته وعصره، وكذلك كل إمامٍ بعده.

وأن المهدي (ع) هو المواقف لأهل زمانه، والمسائل للذين في وقته.

وأن الموازين [التي] توضع في القيامة، هي إقامة العدل في الحساب، والآنصاف في الحكم والمجازاة، وليست في الحقيقة موازين بكفات وخيوط كما يظن العوام.

وأن الصراط المستقيم في الدنيا دين محمد وآل محمد عليه وعليهم السلام، وهو في الآخرة طريق الجنان.

وأن الأطفال والمجانين والبله من الناس، يتفضل عليهم في القيامة، بأن تكمل عقولهم، ويدخلون الجنان.(١)

---

(١) وهو المعروف من رأي الإمامية، وأول من صرح به منهم هشام بن الحكم على ما يظهر، وتدل عليه بالإضافة إلى حكم العقل بعض النصوص عن أهل البيت (ع) وخالف الأشاعرة عدا أبا الحسن الأشعري الذين قالوا بأن الله تعالى يأمرهم بدخول نار يؤججها يوم القيامة فمن أطاع أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار، وجوز أبو الحسن الأشعري تعذيب الأطفال في القيامة لغيظ آبائهم، وذهب الخوارج إلى أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة من الحكم بكفرهم أو إيمانهم، ومن نعيمهم أو عذابهم. أنظر هشام بن الحكم للمعلق ص ١٨٧ - ١٩٠.

وأن نعيم أهل الجنة متصل أبداً بغير نفادٍ، وأن عذاب المشركين والكفار متصل في النار بغير نفاد.

ويجب أن تؤخذ معالم الدين في الغيبة من أدلة العقل، وكتاب الله عز وجل، والأخبار المتواترة عن رسول الله (ص) وعن الأئمة (ع)،[1] وما أجمعت عليه الطائفة الإمامية، وإجماعها حجة.

فأما عند ظهور الإمام (ع) فإنه المفزع عند المشكلات، وهو المنبه على العقليات، والمُعرِّف بالسمعيات، كما كان النبي (ص).

ولا يجوز استخراج الأحكام في السمعيات بقياسٍ ولا إجتهاد.[2]

فأما العقليات فيدخلها القياس والاجتهاد، ويجب على العاقل مع هذا كله ألا يقنع بالتقليد في الإعتقاد، وأن يسلك طريق التأمل والاعتبار، ولا يكون نظره لنفسه في دينه أقل من نظره لنفسه في دنياه، فإنه في أمور الدنيا يحتاط ويحترز، ويفكر ويتأمل، ويعتبر بذهنه، ويستدل بعقله، فيجب أن يكون في أمر دينه على أضعاف هذه الحال، فالغرر في أمر الدين أعظم من الغرر في أمر الدنيا.

فيجب أن لا يعتقد في العقليات إلا ما صح عنده حقه، ولا يُسلِّم في السمعيات إلا لمن ثبت له صدقه.

---

(١) ما ذكره المؤلف هو رأي جماعةٍ من علماء الإمامية، كالشريف المرتضى، وابن زهرة، وابن البراج، والطبرسي، وابن إدريس وغيرهم، فقد ذهب هؤلاء إلى عدم اعتبار الخبر الواحد إذا لم يكن مقطوع الصدور عن المعصوم، وخصوا اعتباره بما إذا كان قطعي الصدور، سواء أكان محتفاً بقرينة عقلية أو نقلية أخرى، فالمهم لدى هؤلاء في اعتبار الخبر أن يفضي إلى العلم، ولو كان ذلك لإجماع أو شاهدٍ عقلي، بل صرح المفيد في أوائل المقالات بأنه لا يجب العمل بخبر الواحد.

أما المشهور بين الإمامية بل المجمع عليه بين المتأخرين منهم فاعتبار الخبر الواحد لقيام الدليل على حجيته، ولكل من الفريقين أدلة على دعواه مذكورة في كتب الأصول.

(٢) المراد بالإجتهاد هنا ليس هو استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وإنما المراد به الإعتماد على الرأي والإستحسان والقياس، من دون الرجوع إلى القواعد والأصول التي ثبتت حجيتها شرعاً

نسأل الله حسن التوفيق برحمته، وألا يحرمنا ثواب المجتهدين في طاعته.

قد أثبت لك يا أخي - أيدك الله - ما سألت، واقتصرت وما أطلت.

والذي ذكرت أصل لما تركت، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم.

فصل: في ذكر مولد أمير المؤمنين (ص)

روى المحدثون، وسطر المصنفون أن أبا طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمرأته فاطمة بنت أسد بن هاشم رضوان الله عليهما، لما كفلا رسول الله (ص) استبشرا بغرته، واستبعدا بطلعته، واتخذاه ولداً، لأنهما لم يكونا رزقا من الولد أحدا.

ثم نشأ (ع) أشرف نشوء وأحسنه، وأفضله وأيمنه، فرأى فاطمة ورغبتها في طلب الولد، وقربانها وقتاً بعد وقت، فقال لها: يا أمه اجعلي قربانك لوجه الله تعالى خالصاً، ولا تشركي معه أحدا، فإنه يرضاه منك ويتقبله ويعطيك طلبتك، ويعجله.

فامتثلت فاطمة أمره، وقبلت قوله، وقربت قرباناً مضاعفاً، وجعلته لله تعالى خالصاً، وسألته أن يرزقها ولداً صالحاً ذكراً.

فأجاب الله عز وجل دعاها، وبلغها مناها، ورزقها من الأولاد خمسة: عقيلاً، ثم طالباً، ثم جعفراً، ثم علياً، ثم اختتمهم فاختة المعروفة بأم هاني.

فمما جاء في حديثها[1] قبل أن ترزق أولادها، أنها كانت جلست يوماً تتحدث مع عجائز العرب والفواطم من قريش، منهن فاطمة ابنة عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جدة رسول الله (ص) لأبيه، وفاطمة ابنة زائدة بن الأصم، وهي أم خديجة بنت خويلد، وفاطمة ابنة عبد الله رزام، وفاطمة

---

(١) تجد هذا الحديث في كتاب إثبات الوصية للمسعودي ص.١١٤، وفي بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٠ نقله عن الكراجكي في الكنز.

ابنة الحارث بن عكرمة، وتمام الفواطم التي انتمى إليهن رسول الله (ص)، فاطمة أم قصي، وهي ابنة نضر.

فإنهن لجلوس إذ أقبل رسول الله بنوره الباهر، وسعده الظاهر، وقد تبعه بعض الكهان، ينظر إليه، ويطيل فراسته فيه، إلى أن أتى إليهن، فسألهن عنه، فقلن: هذا محمد ذو الشرف الباذخ، والفضل الشامخ، فأخبرهن الكاهن بما يعلمه من رفيع قدره، وبشرهن بما سيكون من مستقبل أمره، وأنه سيبعث نبياً، وينال منالاً علياً، وقال: إن التي تكفله منكن في صغره، سيكفل لها ولداً، يكون عنصره من عنصره، يختصه بسره وبصحبته، ويحبوه بمصادقته وإخوّته.

فقالت له فاطمة ابنة أسد رضوان الله عليها:

أنا التي كفلته، وأنا زوج عمه الذي يرجوه ويؤمله.

فقال: إن كنتِ صادقةً، فستلدين غلاماً عَلّاماً، مطواعاً لربه هماماً، اسمه على ثلاثة أحرفٍ، يلي هذا النبي في جميع أموره، وينصره في قليله وكثيره، حتى يكون سيفه على أعدائه، وبابه لأوليائه، يفرج عن وجهه الكربات، ويجلو عنه حندس الظلمات، تهاب صولته أطفال المهاد، وترتعد من خيفته من[1] الجلال، له فضائل شريفة، ومناقب معروفة، وصلة منيعة، ومنزلة رفيعة يهاجر إلى النبي في طاعته، ويجاهد بنفسه في نصرته، وهو وصيه الدافن له في حجرته.

قالت له أُم علي (ع): جعلت أفكر في قول الكاهن، فلما كان الليل رأيت في منامي كأن جبال الشام قد أقبلت تدب، وعليها جلابيب الحديد، وهي تصيح من صدورها بصوتٍ مهول، فأسرعت نحوها جبال مكة، وأجابتها بمثل صياحها وأهول، وهي كالشرد[2] المحمر، وأبو قبيس ينتفض كالفرس،

(١) في النسخة (عن)، وفي اثبات الوصية ص١١٦: وترعد من خيفته الفرائض ويوم الجلاد.

(٢) هي الناقة التي تعسرت ولادتها فلا يخرج حتى تموت، كذا في هامش النسخة، وفي اثبات الوصية ص ١١٧: وهي كالشرر المجمر. والشرد جمع شارد وهو البعير النافر والمحمر على وزن مكرم الناقة يلتوي في بطنها ولدها.

ونصال تسقط عن يمينه وشماله، والناس يلتقطون ذلك، فلقطت معهم أربعة أسياف وبيضة حديد مذهبة. فأول ما دخلت مكة سقط[1] منها سيف في ماء فغمر، وطار الثاني في الجو واستمر[2]، وسقط الثالث إلى الأرض فانكسر، وبقي الرابع في يدي مسلولاً، فبينا أنابه أصول إذ صار السيف شبلاً، فتبينته فصار ليثاً مهولاً،[3] فخرج عن يدي، ومر نحو الجبال يجوب بلاطحها،[4] ويخرق صلادحها[5] والناس منه مشفقون، ومن خوفه حذرون، إذ أتى محمد (ص) فقبض على رقبته، فانقاد له كالظبية الألوف، فانتبهت وقد راعني الزمع،[6] والفزع، فالتمست المفسرين، فطلبت القائفين (ع) والمخبرين، فوجد كاهناً زجر لي بحالي، وأخبرني منامي، وقال لي: أنت تلدين أربعة أولاد وبنتاً بعدهم، وإن أحد البنين يغرق، والآخر يقتل في الحرب، والآخر يموت، ويبقى له عقب، والرابع يكون إماماً للخلق، صاحب سيفٍ وحقٍ، ذا فضلٍ وبراعة، يطيع النبي المبعوث أحسن طاعة.

فقالت فاطمة: فلم أزل مفكرة في ذلك، ورزقت بنيَّ الثلاثة: عقيلاً، وطالباً، وجعفراً.

ثم حملت بعليٍ (ع) في عشر ذي الحجة، فلما كان الشهر الذي ولدت فيه، وكان شهر رمضان، رأيت في منامي، كأن عمود حديدٍ قد انتزع من أُم رأسي، ثم سطع في الهواء حتى بلغ السماء، ثم رُدَّ إليّ، فقلت: ما هذا » فقيل لي: هذا قاتل أهل الكفر، وصاحب ميثاق النصر، بأسه شديد، يفزع من خيفته، وهو معونة الله لنبيه، وتأييده على عدوه.

قالت: فولدت علياً(ع).

وجاء في الحديث:

---

(١) في البحار: سقطت منها سيف في ماء فغيِّر.

(٢) في إثبات الوصية: فانثمر، ولعله تصحيف (فانتثر).

(٣) في إثبات الوصية: مستأسداً.

(٤) جمع بلطح وهو المكان الواسع.

(٥) في البحار: صلاطحها وهو بمعنى بلاطم.

(٦) الزمع بالتحريك شبه الرعدة تأخذ الانسان.

أنها دخلت الكعبة على ما جرت به عادتها، فصادف دخولها وقت ولادتها، فولدت أمير المؤمين (ص)، داخلها، وكان ذلك في النصف من شهر رمضان[1]، ولرسول الله (ص) ثلاثون سنة على الكمال، فتضاعف ابتهاجه به، وتمام مسرته، وأمرها أن تجعل مهده جانب فراشه.

وكان يلي أكثر تربيته، ويراعيه في نومه ويقظته، ويحمله على صدره وكتفه، ويحبوه بألطافه وتحفه، ويقول: هذا أخي وسيفي وناصري ووصيي.[2]

فلما تزوج النبي (ص) خديجة (ع) أخبرها بوجده بعلي ومحبته، فكانت تستزيره، فتزينه، وتحليه، وتلبسه، وترسله مع ولائدها، ويحمله خدمها، فيقول الناس: هذا أخو محمد، وأحب الخلق إليه، وقرة عين خديجة، ومن اشتملت السعادة عليه.

وكانت ألطاف[3] خديجة تطرق منزل أبي طالب ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً.

ثم إن قريشاً أصابتها أزمة مهلكة، وسنة مجدية منهكة، وكان أبو طالب رضي الله عنه ذا مالٍ يسير، وعيالٍ كثير، فأصابه ما أصاب قريشاً من العُدم والإضاقة، والجهد والفاقة.

فعند ذلك دعا رسول الله (ص) عمه العباس، فقال له: يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال، مختل الحال، ضعيف النهضة والغرمة، وقد ناله ما نزل بالناس من هذه الأزمة، وذوو الأرحام أحق بالرفد، وأولى من حمل الكل[4]، في ساعة الجهد، فانطلق بنا إليه، لنعينه على ما هو عليه، فلنجمل عنه بعض أثقاله، ونخفف عنه من عياله، يأخذ كل واحدٍ منا واحداً من بنيه، يسهل عليه بذلك بعض ما هو فيه.

---

(١) أنظر إثبات الوصية للمسعودي ص١١٤.
(٢) المصدر ص١١٧
(٣) أي هدايا تبره بها.
(٤) الكل: الثقل.

فقال له العباس: نعم ما رأيت، والصواب فيما أتيت، هذا والله الفضل الكريم، والوصل الرحيم.

فلقيا أبا طالب، فصبراه، ولفضل آبائه ذكراه، وقالا له: إنا نريد أن نحمل عنك بعض العيال، فادفع إلينا من أولادك من يخف عنك به الأثقال.

قال أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً فافعلا ما شئتما.

فأخذ العباس جعفراً، وأخذ رسول الله (ص) علياً (ع)[1] فانتجبه لنفسه، واصطفاه لمهم أمره، وعول عليه في سره وجهره، وهو مسارع لمرضاته، موفق السداد في جميع حالاته.[2]

وكان رسول الله (ص) في ابتداء طروق الوحي إليه، كلما هتف به هاتف، أو سمع من حوله رجفة راجف، أو رأى رؤيا، أو سمع كلاماً، يخبر بذلك خديجة وعلياً (ع) ويستسرهما هذه الحال.

فكانت خديجة تثبّته وتصبره، وكان علي يهنيه ويبشره، ويقول له: والله يا ابن عم، ما كذب عبد المطلب فيك، ولقد صدقت الكهان فيما نسبته إليك، ولم يزل كذلك إلى أن أُمر (ص) بالتبليغ. فكان أول من آمن به من النساء خديجة، ومن الذكور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعمره يومئذٍ عشر سنين.[3]

---

(١) في مقاتل الطالبين ص١٧ أن رسول الله (ص) أخذ علياً، وحمزة أخذ جعفراً، والعباس أخذ طالباً.

(٢) تجد قصة ولادة أمير المؤمنين (ع) في اثبات الوصية ص١١٥- ١٢٠ مع اختلاف وزيادة.

(٣) وقال الأصبهاني: وكانت سنه يوم أسلم إحدى عشرة على أصح ما ورد من الأخبار في إسلامه (مقاتل الطالبيين ص١٧) وتنوزع في سنه يوم أسلم، فقال فرقة كانت سنه يومئذٍ خمس عشرة سنة، وقال آخرون ثلاث عشرة، وقيل إحدى عشر، وقيل تسع، وقيل ثمان، وقيل سبع، وقيل ست وقيل: خمس (التنبيه والإشراف ص١٩٨).

ومما عملته لبعض الإخوان كتاب الإعلام بحقيقة إسلام أمير المؤمنين عليه السلام وبه نستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجود والإكرام، الهادي إلى شريعة الإسلام، وصلاته على خيرته من جميع الأنام، سيدنا محمد رسوله وأهل بيته المطهرة من الأثام، وسلام الله على أول السابقين إسلاماً وإيماناً، وأخلص المصدقين إقراراً وإذعاناً، وأنصح الناصرين سراً وإعلاناً، وأوضح العالمين حجة وبرهاناً، الذي كان سبقه إلى الدخول في الإسلام، وكونه بعد الرسول الحجة على الأنام، مشابهاً لخلق آدم (ص) في وجود الخليفة قبل المستخلف عليه، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ذي الفضائل والمناقب، ولعنة الله على باغضيه ومنكري فضله وحاسديه.

هذا مختصر جمعت لإخواني فيه من الكلام في إسلام أمير المؤمنين (ص) ما يجب الإنتهاء إليه، والإعتماد في المسألة عليه.

فصل: يجب أن يقدم القول بأن أمير المؤمين (ص) أسلم

اعلموا - أيدكم الله - أن المخالفين لشدة عداوتهم لأمير المؤمنين ألقوا شبهةً مَوَّهُوا بها على المستضعفين، وجعلوا لها طريقاً، يسلكها من يروم نفي الإسلام عن أمير المؤمنين (ص).

وذلك أنهم قالوا: إنما يصح الإسلام ممن كان كافراً، فأما من لم يك قط ذا كفر ولا ضلال، فلا يجوز أن يقال أنه أسلم، وإذا كان علي بن أبي طالب (ع) لم يكفر قط، فلا يصح القول بأنه أسلم.

وهذا ملعنة من النصاب لا تخفي على أولي الألباب، يتشبثون بها إلى القدح في أمير المؤمنين (ع)، والراحة من أن يسمعوا القول بأنه أسلم قبل سائر الناس.

وقد تعدتهم هذه الشبهة، فصارت في مستضعفي الشيعة، ومن لا خبرة له

بالنظر والأدلة، حتى إني رأيت جماعةً منهم يقولون هذه المقال، ويستعظمون القول بأن أمير المؤمنين (ع) أسلم أتم استعظام.

وقد نبهتهم على أن هذه الشبهة مدسوسة عليهم، وأن أعداءهم ألقوها بينهم، فمنهم من قبل ما أقول، ومنهم من أصر على ما يقول.

وقد كنت اجتمعت بأحد الناصرين لهذه الشبهة من الشيعة، فقلت له: أتقول إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مسلم؟

فقال: لا يسعني غير ذلك.

فقلت له: أفتقول أنه يكون مسلماً من لم يسلم؟ فقال: إن قلت بأنه أسلم، لزمني الإقرار بأنه قبل إسلامه لم يكن مسلماً.

ولكني أقول: إنه ولد مسلماً مؤمناً، فقلت: هذا كقولك إنه ولد حياً قادراً، وهو يؤديك إلى أن الله تعالى خلق فيه الإسلام والإيمان، كما خلق فيه القدرة والحياة، ويدخل بك في مذهب أهل الجبر، ويبطل عليك القول بفضيلة أمير المؤمنين (ع) في الإسلام، وما يستحق عليه من الأجر.

فأختر لنفسك: أما القول بأن إسلامه وإيمانه فعل الله سبحانه، وأنه ولد مسلماً ومؤمناً، وإن ساقك إلى ما ذكرناه.[1]

وإما القول بأن الله تعالى أوجده حياً قادراً ثم آتاه عقلاً، وكلفه بعد هذا، فأطاع، وفعل ما أمر به مما يستحق جزيل الأجر على فعله، فإسلامه وإيمانه من أفعاله الواقعة بحسب قصده وإيثاره، وإن أدّاك في وجوده قبل فعله إلى ما وصفناه.

فحيّره هذا الكلام، ولم يجد فيه حيلةً من جواب.

ومما يجب أن يكلم به في هذه المسألة أهل الخلاف، أن يقال لهم:

لمَا زعمتم أنه لم يسلم إلا من كان كافراً؟

---

(١) وهو عدم استحقاقه (ع) الأجر على إسلامه لأنه مجبور عليه من فعل الله.

فإن قالوا: لأن من صح منه وقوع الإسلام فهو قبله عارٍ منه، وإذا عري منه كان على ضده، وضده الكفر.[1]

قيل لهم: لمَ زعمتم أنه إذا عري منه كان على ضده؟ وما أنكرتم من أن يخلو منهما، فلا يكون على أحدهما؟

فإن قالوا: إن ترك الدخول في الإسلام هو ضده، لأنه لا يصح اجتماع الترك والدخول، فمتى كان تاركاً كان كافراً، لأن معه الضد.

قيل لهم: إنما يلزم ما ذكرتم، متى وجدت شريعة الإسلام، ولزم العمل بها، وعلم العبد وجوبها عليه بعد وجودها.

فأما إذا لم يكن نزل به الوحي، ولا لزم المكلف منها أمر ولا نهي، فالزامكم الكفر جهل وغي.

فإن قالوا: قد سمعناكم تقولون: إن الوحي لما نزل على النبي (ص) بتبليغ الإسلام دعا إليه أمير المؤمنين (ع) فلم يجبه عند الدعاء، وقال له: أجلني الليلة، وتعتدون هذا له فضيلة، وفيه أنه قد ترك الدخول في الإسلام بعد وجوده.

قلنا: هو كذلك، لكنه قبل علمه بوجوبه، وهذه المدة التي سأل فيها الإنظار هي زمان مهلة النظر، التي أباحها الله تعالى للمستدل، ولو مات قبل اعتقاد الحق لم يكن على غلط، وهكذا رأيناكم تفسرون قول إبراهيم (ع) لما (رأى كوكباً قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أُحب الآفلين) الإنعام: ٧٦ إلى تمام قصته (ع).

---

(١) هذه الدعوى مبنية على القول بأن التقابل بين الإيمان والكفر تقابل نقيضين أو السلب والإيجاب، أو تقابل ضدين لا ثالث لهما.
أما إذا كان التقابل بينهما تقابل عدم وملكة، أو تقابل ضدين لهما ثالث فلا تصح هذه الدعوى. ويبدو أن طبيعة الجواب مبنية على أن التقابل بينهما تقابل ضدين لهما ثالث، الذي لا يلزم من نفي أحدهما إثبات الآخر.

وقوله: (إنني بريءٌ مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين). الأنعام: ٧٨ - ٧٩ .

وتقولون: إن هذا منه كان استدلالاً، وهي في زمان مهلة النظر التي وقع عقيبها العلم بالحق.

فإن قالوا: فما تقولون في أمير المؤمنين (ع) قبل الإسلام؟، وهل كان على شيء من الاعتقادات؟

قيل لهم: الذي نقول فيه أنه كان في صغره عاقلاً مميزاً، وكان في الاعتقاد على مثل ما كان عليه رسول الله (ص) قبل الإسلام، من استعماله عقله، والمعرفة بالله تعالى وحده، وإن ذلك حصل من تنبيه الرسول (ص)، وتحريك خاطره إليه، وحصل للرسول من ألطاف الله تعالى، التي حركت خواطره إلى الإسلام والاعتبار، ولم يكن منهما من سجد لوثنٍ، ولا دان بشرع متقدم.

فأما الأمور الشرعية فلم تكن حاصلةً لهما، فلما بُعث رسول الله (ص) لزم أمير المؤمنين (ع) الإقرار به، والتصديق له، وأخذ الشرع منه.

وإنما قال له: أجلني الليلة ليعتبر فيقع له العلم واليقين مع اعتقاد التصديق لرسول رب العالمين، فلما ثبت له ذلك أَقَرَّ بالشهادتين، مجدداً للإقرار بالله سبحانه، وشاهداً ببعثة رسول الله (ص).

فإن قالوا: فأنتم إذاً تقولون إن رسول الله (ص) أسلم؟ وهذا أعظم من الأولى.

قيل لهم: إن العظيم في العقول هو الإنصراف من هذا القول، فإن لم تفهموا فيه حجة العقل فما تصنعون في دليل السمع، وقد قال الله عز وجل لنبيه (ع):

(قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم، ولا تكونن من المشركين) الأنعام: ١٤ .

وقوله سبحانه:

(قل إن هدى هو الهدى، وأُمرنا لنسلم لرب العالمين). الانعام: ٧١

وقوله: (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعنى، وقل للذين أُوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) آل عمران: ٢٠

ونظير ذلك كثير في القرآن، فكيف يصح هذا الإسلام من الرسول ولم يكن قط كافراً، وهل بعد هذا البيان شك يعترض عاقلاً؟؟

ثم يقال لهم: إذا كان لا يسلم إلا من كان كافراً، فما تقولون في إسلام إبراهيم الخليل (ص)، ولم يكن قط كافراً، ولا عبد وثناً، حيث قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب، يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. البقرة: ١٣٠ - ١٣١

فقد تبين لكم - أيها الإخوان ثبتكم الله على الإيمان - ما تضمنه هذا الفصل من البيان عن صحة إسلام أمير المؤمنين (ع).

وأنا أتكلم بعد هذا على الذين قالوا إنه (ص) قد أسلم، ولكن لم يكن السابق الأول، وزعمهم أن المتقدم على جميع الناس أبو بكر.

فصل: من البيان عن أن أمير المؤمنين (ع) أول بشرٍ سبق إلى الإسلام بعد خديجة عليها السلام.

أعلموا أن أهل النصب والخلاف قد حملتهم العصبية والعناد على أن ادعوا تقدم إسلام أبي بكر على سائر الناس، وإذا هم عرجوا عن طريق المكابرة، واطلعوا في السير الطاهرة، والأخبار المتواترة، والآثار المتظافرة، والأشعار السائرة وأقوال أمير المؤمنين (ع) الظاهرة، وجدوا جميع ذلك ناطقاً بخلاف ما يزعمون، شاهداً بكذبهم فيما يدعون، قاضياً بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أول ذكرٍ آمن برسول الله (ص)، وسبق إلى الإسلام، وأنه لم يتقدمه بشر من الأمة بأسرها غير خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وقد روي: أن رسول الله (ص) بُعث يوم الاثنين، وفيه أسلمت خديجة، وإن أمير المؤمنين (ع) أسلم يوم الثلاثاء.

وروى أصحاب الحديث عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان علي (ع) يألف النبي (ص)، فأتاه، فوجده وخديجة يصليان، قال ابن عباس: وعلي يومئذٍ ابن عشر حجج، فقال لرسول الله (ص): ما هذا؟ قال: يا علي، هذا دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وبعث به رسله، أدعو إلى الله وحده لا شريك له، فقال علي (ع): هذا شيء لم أسمع به. قال: صدقت يا علي.

فمكث علي تلك الليلة مفكراً، فلما أصبح أتى النبي (ص)، فقال له: لم أزل البارحة أفكر فيما قلت لي، فعرفت الحق والصدق في قولك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله.

وأخبرني شيخنا المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه إجازةً، قال: أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد البلخي[1]، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج[2]، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن بن القاسم البرقي، قال: حدثني أسد بن عبيدة، عن يحيى بن عفيف، عن أبيه قال:

كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بمكة قبل ظهور أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء شاب، فنظر في السماء حين تحلقت الشمس، ثم استقبل الكعبة، فقام يصلي، ثم جاء غلام فقام عن يمينه، ثم جاءت أمرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، ثم رفع الشاب فرفعا، ثم سجد الشاب فسجدا، فقلت: يا عباس، أمر عظيم، فقال العباس: أمر عظيم، أتدري من هذا الشاب؟ هذا محمد بن عبدالله بن بن عبد المطلب، ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي بن أبي طالب ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة ابنة خويلد. إن ابن أخي هذا حدثني ان ربه رب

---

(١) من تلاميذ أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي كان عارفاً بالاخبار متكلماً توفي سنة ٣٦٧هـ وهو استاذ الشيخ المفيد، وله كتاب فعلت فلا تلم. وكتاب نقض العثمانية على الجاحظ وكتاب في الإمامة ووصفه ابن النديم بأنه كان شاعراً مجوداً في أهل البيت (ع) متكلماً بارعاً.

(٢) في الأصل البلخ.

السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.[1].

وحدثني الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن شاذان (رضي) بمكة في المسجد الحرام، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا الحسن بن محمد العلوي، قال: حدثنا ابراهيم بن عبدالله، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا: معمر بن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه، قال: أخبرني أبو هريرة العبدي، قال: حدثني جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله (ص):

«علي بن أبي طالب أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأصحهم ديناً، وأكثرهم يقيناً، وأكملهم حلماً، وأسمحهم كفا، وأشجعهم قلباً، وهو الإمام والخليفة بعدي».[1]

وجاء في الحديث عن أبي ذر رحمه الله أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول:

علي أول من آمن بي وصدقني.[2].

وعن أنس بن مالك أنه قال: قال النبي (ص).

إن أول هذه الأمة وروداً عَلَيَّ أولها إسلاماً، وإن علي بن أبي طالب أولها إسلاماً، فقال له سلمان (رض): قبل أبي بكر وعمره؟ فقال: قبل أبي بكر وعمر.

وعن أنس بن مالك أيضاً أنه قال: بعث النبي (ص) يوم الإثنين، وأسلمت خديجة في آخر ذلك اليوم، وأسلم علي (ع) يوم الثلثاء.[3]

---

(١) رواه أبو جعفر الأسكافي المعتزلي في نقضه على كتاب العثمانية للجاحظ أنظر: رسائل الجاحظ ص١٨- ١٩ جمع ونشر حسن السندوبي.

(٢) رواه في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٧، أنظر: فضائل الخمسة ج (١) ص ١٨٨، وأنظر: نقض العثمانية للاسكافي ص ١٧.

(٣) رواه الإسكافي عن جابر وأنس وأبي رافع أنظر رسائل الجاحظ ص٢٠.

وعن أبي ذر وسلمان جميعاً قالا:

أخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال:

ألا إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب الدين، والمال يعسوب الظالمين.(١)

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله (ص) لفاطمة (ع):

أما ترضين يا فاطمة أني زوجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً.(٢)

وفي رواية أخرى:

زوجتك أقدم المسلمين سلماً، وأكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً.(٣)

وعن عكرمة عن ابن عباس قال:

كان لعلي بن أبي طالب أربع مناقب، لم يسبقه إليها عربي.

كان أول من صلى مع رسول الله (ص).

وكان صاحب رأيته في كل زحف، وانهزم الناس يوم المهراس وثبت.

وغسله وأدخله قبره.(٤) والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

فأما المحفوظ من كلام أمير المؤمنين (ع) في ذلك واحتجاجه به في جملة ما له من المناقب.

فمنه، ما حدثني به القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم السلمي الحراني رحمه الله قال: حدثني الخطيب العتكي أبو حفص عمر بن علي، قال: أخبرنا

---

(١) روي في الإصابة ج٧ قسم١ ص١٤٧، وفي فيض القدير ج٤ ص٣٥٨ أنظر: فضائل الخمسة ج١ ص١٨٩.

(٢) رواه الإسكافي في نقض العثمانية ص١٩ من رسائل الجاحظ.

(٣) المصدر نفسه

(٤) أنظر: الإرشاد ص١٧.

أبو بكر محمد بن إبراهيم البغدادي، ويعرف ذوران، قال: حدثنا الحضرمي ويعرف بمطنّي، قال: حدثنا سعد بن وحب بن شيبان وعبد الرحمن بن جبلة، قالا: حدثنا نوح بن قيس الطلاحي، عن سليمان بن غالب، عن معادة بنت عبد الرحمن العدوية، قالت: سمعت علياً (ع) على منبر البصرة وهو يقول:

أنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق بين الحق والباطل، أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر، وآمنت قبل أن يؤمن.[1]

وجاء عنه (ع) أنه قال:

«اللهم، لا أعرف أحداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيها»

وجرى بينه وبين عثمان كلام، فقال له عثمان: وعمر خير منك، فقال له: كذبت، بل أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلهما وبعدهما.

وقد تضمن ذكر تقدم إيمانه كثير من أشعاره الواردة في أخباره.

حدثني القاضي السلمي، قال أخبرني الخطيب العتكي، قال حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى الفتات، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب الدينوري، قال: حدثنا محمد بن عبد البلوي الأنصاري، قال: حدثنا عمارة بن زيد، قال: حدثنا بكير بن حارثة عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب، عن مالك، عن جابر بن عبدالله، قال: سمعت علياً (ع) ينشد ورسول الله (ص) يسمع:

أنـــا أخو المصطفـــى لا شك في نسبي
مَعْـــهُ ربيـــت وسبطـــاه هما ولـــدي
جـــــدي وجـــــد رسول الله منفرد
وفاطم زوجـــــتي لا قول ذي فنـــــد
صدقتــــه وجميـــع النـــــاس في بهم
من الضلالـــــة والإشراك ذي النكـــد
فالحمـــــد لله حمداً لا شريـــك لـــــه
الـــبَر بالعبـــد والباقي بـــلا أمـــد

---

(١) المصدر ص ٢٠ باختلاف بالزيادة والنقصان.

قال: وتبسم رسول الله (ص) وقال: صدقت يا علي.

ومنه احتجاجه (ع) على معاوية في جواب كتابه من الشام إليه، وقد رام معاوية إلاقتخار فيه، فقال أمير المؤمنين (ع): يفتخر ابن آكلة الأكباد:

ثم قال عبيد الله بن أبي رافع[١]: أكتب:

محمد النبي أخي وصهري — وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي — يطير مع الملائك ابن أمي
وبنت محمدٍ سلني وعرسي — مناطٌ لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمدٍ ابناي منها — فأيكُم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً — غلاماً ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي الولاء معاً عليكم — خليلي يوم دوح غدير خم[٢]

فكان (ص) يحتج بتقدم إسلامه على الكافة، ويفتخر به في جملة مناقبه على الأُمة، ويذكره بحضرة رسول الله (ص)، دفعةً بعد دفعة، وبعد رسول الله (ص) بين الصحابة، فما أنكر ذلك قط عليه الرسول (ص)، وكيف ينكره عليه وهو الشاهد له بذلك، ولا قال له أحد من الناس لا نحتج بهذا الكلام، فإن أبا بكر هو الذي أسلم قبل جميع الأنام، بل يذعن لقوله (ع) الناس، ويعلمون صدقه من غير اختلاف، ويقولون فيه كما قد قال (ع).

فمن ذلك قول سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:

---

(١) هو من خواص علي (ع) وكاتبه، له كتاب قضايا أمير المؤمنين (ع) وكتاب تسمية من شهد معه (ع) الجمل وصفين والنهروان من الصحابة، وأورده ابن حجر في التقريب وقال: كاتب علي (ع) وهو ثقة من الثالثة أي أنه مات بعد المائة.

(٢) روى هذه الأبيات المفيد في الفصول المختارة ج٢ ص٧٠ وزاد بيتاً في آخرها وهو:
فويل ثم ويل ثم ويل — لمن يلقى الآله غداً بظلمي

مـا كنـت أحسب أن الأمر منتقـل
عن هاشم ثم منهـــا عن أبي حسن
أليس أول من صَـــــلَّى لقبلتهم
وأعرف النـــاس بالآثـــار والسنن
من فيـه مـا فيهمُ من كـل صالحـةٍ
وليس في القوم ما فيه من الحسن[1]

وجرير بن عبدالله البجلي يقول فيه مثل ذلك أيضاً، وقيس بن سعد بن عبادة له فيه أقوال كثيرة، وغيرهم ممن شهد رسول الله (ص) وسمع منه الأخبار بتقديم إسلامه، والحال أشهر عند أهل العلم من أن يستتر، وأظهر بين أهل النقل من أن يكتم.

غير أن الناصبة قد غلبها الهوى على التقوى، فآثرت الضلال على الهدى.

وقد احتج النصاب في تقديم إسلام أبي بكر بقول حسان:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقـــةٍ
فأذكر أخـاك أبـا بكر بمـا فعـلا
خـــير البريـــة اتقاهـــا وأعدلهـــا
بعـــد النـــبي وأوفاهـــا بمـــا حملا
الصاحـــب التـــالي المحمود مشهـده
وأول النـــاس منهم صـدق الرسلا[1]

---

(١) تجد هذه الأبيات في كتاب سليم بن قيس ص١٦ منسوبة للعباس وتجدها في كتاب الجمل للمفيد ص٤٣ منسوبة لعبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب مع زيادة بيتين، وفي تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٠٣ ط النجف منسوبة لعتبة بن أبي لهب.

(٢) تجد البيت الأول والثالث في كتاب العثمانية ص ٢ من رسائل الجاحظ.

واحتجاجهم بقول حسان يدل على عمى القلوب وصدأ الألباب[1]، أو على تعمد التلبيس على ضعفاء الناس، وإلا فلو اعتمدوا الأنصاف علموا أن حسان بن ثابت هو الذي تضمن شعره الإقرار لأمير المؤمنين (ع) بالأمامة والرئاسة على الأنام لما مدحه بذلك يوم الغدير بحضرة رسول الله (ص) على رؤوس الأشهاد بعد أن استأذن الرسول (ص) فأذن له فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم واسمع بالرسول مناديا

يقول فمن مولاكم ونبيكم[2]
فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا

آلهك مولانا وأنت نبينا
ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له: قم يا علي فإنني
رضيتك من بعدي إماماً وهادياً

فمن كنت مولاه فهذا وليه
فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم وال وليه
وكن للذي عادى علياً معادياً[3]

فصوبه النبي (ص) في هذا المقال، وقال له: لا تزال يا حسان مؤيداً ما نصرتنا بلسانك)

فكيف سمعت الناصبة تلك الأبيات التي رويت لها من قول حسان؟ ولم تسمع عنه هذه الأبيات التي قد سارت بها الركبان بل كيف تثبت لها بما ذكرته

(١) في النسخة صدى.
(٢) في المسترشد للطبري ص٩٦ (ووليكم) بدل نبيكم.
(٣) ذكر الأبيات الأربعة الأولى منها الطبري في المسترشد ص ٩٦. وانظر: أعلام الورى ص ١٤٠ فقد ذكر الأبيات كلها.

من شعره أن أبا بكر سبق الناس إلى الإسلام؟ ولم تثبت بما ذكرناه من شعره أيضاً أن أمير المؤمنين (ع) لجميع الناس إمام؟ وكيف احتجت ببعض قوله؟ وصدقه فيه؟ ولم ترَ الاحتجاج بالبعض الآخر وكذبته فيه؟

أوليس إذا قالت أنه كذب فيما قاله في علي (ع) في هذه الأبيات؟ أمكن أن يقال: لها بل كذب فيما حكيتموه عنه من تلك الأبيات.

وإن قالت إن حساناً شاعر النبي (ص) ولسنا نكذبه، لكن نقول إنه كذب عليه في الشعر الذي رويتموه.

قيل لها: فإن قال لكم قائل مثل هذا الكلام، وأنه كذب عليه في الشعر الذي ذكرتموه ما يكون الإنفصال؟

وأعلم أنا لم نقل ذلك إلا لنعلمهم، لأنه لا حجة في أيديهم، وانه لا فرق بين قولهم وقول من قلبه عليهم.

ولسنا ننفي عن حسان الكذب، ولا رأينا فيه بحسن، وذلك أنه فارق الإيمان، وانحاز إلى جملة أعداء أمير المؤمنين (ع) وحصل من عصبة عثمان، فهو عندنا من أهل الضلال.

فإن قال قائل: كيف تجيزون ذلك عليه بعدما مدحه به الرسول (ص) في يوم غدير خمٍ وأثنى عليه؟

قلنا: إن مدحه وثناءه عليه كان مشروطاً ولم يكن مطلقاً.

وذلك أنه قال: ما تزال مؤيداً ما نصرتنا بلسانك، وهذا يدل على أنه متى انصرف عن النصر، زال عنه التأييد واستحقاق المدحة. وقد انصرف عنها بطعونه على أمير المؤمنين (ع)، وانصبابه في شعب عدوه، وقعوده في جملة من قعد عن نصرته في حرب البصرة.

ويشبه ما قال فيه النبي (ع) قول الله تعالى في ذكر أزواج نبيه ونسائه:

(يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) الأحزاب: ٣٢

فعلق ذلك بشرط وجود التقوى، فإذا عدمت كنّ كمن سواهن، بل كنّ أسوأ حالاً من غيرهن.

وأعـلم- أيدك الله تعالى- أنه قد روى المخالفون عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما أسلم أبي جاء إلى منزله، فما قام حتى أسلمنا وأسلمت عائشة وهي صغيرة.

وروايتهم هذه دليل على تأخر إسلامه، وذلك أن مولد عائشة معروف، وزمانها معلوم، ولدت بعد البعثة بخمس سنين، وكان لها وقت الهجرة ثماني سنين، وتزوجها رسول الله (ص) بعد الهجرة بسنةٍ، ولها يومئذٍ تسع سنين، وأقامت معه تسعاً، وكان لها يوم قبض (ع) ثماني عشرة سنة.

فإذا كانت يوم إسلام أبيها صغيرة، فأقل ما يكون عمرها في ذلك الوقت سنتـان وهذا يدل على أنّ أباها أسلم بعد البعثة بسبع سنين، فهو مقدار الزمان الذي أتت الأخبار بأن أمير المؤمنين (ع) كان يصلي فيه مع رسول الله (ص)، والناس في بهم الضلال.

وسنذكر طرفاً مما ورد في ذلك من الأخبار، فإذا كان الناس سوى أمير المؤمنين إنما أجابوا إلى الإسلام بعد سبع سنين من مبعث النبي، فليس يستحيل أن يكون أبو بكر أحد المستجيبين في هذه السنة، وليس ذلك بموجب أن يكون أولهم، لأنه قد تناصرت الأخبار بتقديم إسلام جعفر بن أبي طالب عليه، بل على غيره من الناس سوى أمير المؤمنين (ع).

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي قال حدثنا عمر بن محمد بن سيف بالبصرة سنة سبع وخمسين وثلاثماية، قال حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان، قال حدثنا محمد بن صفر بن صلصال بن الدلهمس بن جهل بن جندل، قال حدثني أبو ضو بن صلصال بن الدلهمي قال: كنت أنصر النبي (ص) مع أبي طالب قبل إسلامي، فإني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيـــظ، إذ خرج أبو طالب إلي شبيهاً بالملهوف، فقال لي: يا أبا الغنصقر، هل رأيت هذين الغلامين يعني النبي (ص) وعلياً (ع)، فقلت ما

رأيتها مذ جلست، فقال: قم بنا في الطلب، فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالتها.

قال فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة، ثم صرنا إلى جبلٍ من جبالها، فاسترخينا إلى قلة، فإذا النبي (ص) وعلي (ع) عن يمينه، وهما قائمان بأزا، عين الشمس يركعان ويسجدان، قال: فقال أبو طالب لجعفر ابنه: صل جناح ابن عمك، فقال إلى جنب علي، فأحس بها النبي (ص)، فتقدمهما وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه، ثم أقبلوا نحونا، فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم انبعث يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي ... عند مهم الأمور والكرب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا يخذل النبي ولا ... يخذله من بنيّ ذو حسب[1]

وقد أتت الأخبار بأن زيد بن حارثة تقدم أبا بكر في الإسلام.

بل روي أن أبا بكر لم يسلم حتى أسلم قبله جماعة من الناس.

وروى سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص: انه قال لأبيه: كان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ قال: لا قد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلاً.

وأما الأخبار الواردة بأن أمير المؤمنين (ع) صلى مع رسول الله (ص) سبع سنين، والناس كلهم كانوا ضالين.

فمنها ما أخبرني به شيخنا المفيد أبو عبدالله (رض) قال: أخبرني أبو حفص عمر بن محمد الصيرفي قال: حدثنا محمد بن أبي التلج، عن أحمد بن القاسم البرقي، عن أبي صالح سهل بن صالح- وكان قد جاوز ماية سنة- قال سمعت أبا المعمر عباد بن عبد الصمد، قال سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله (ص): صلت الملائكة عليّ وعلى علي (ع) سبع سنين، وذلك أنه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ص) الا مني ومن علي (ع).

---

(١) أنظر: العذير ج٧ ص٣٥٦ نقله عن ديوان أبي طالب ص ٣٦ وعن كتاب الأوائل للعسكري.

ومنه ما روي عن أبي أيوب أنه قال: إن رسول الله (ص) قال: لقد صلت الملائكة عليّ وعلي عليٍ سبع سنين، لأنا كنا نصلي ليس معنا أحد غيرنا.

وما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله (ص): ان الملائكة صلت عليّ وعلى عليٍ سبع سنين قبل أن يسلم بشر.

وما رواه عباد بن يزيد قال سمعت علياً (ع) يقول:

لقد صليت مع رسول الله (ص) سبع حجج ما يصلي معه غيري إلا خديجة بنت خويلد، ولقد رأيتني أدخل معه الوادي، فلا نمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمعه.

وما روى (ع) من قوله:

أنا عبد الله، وأنا أخو رسول الله (ص) وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي الا كذاب مفترٍ صليت قبلهم سبع سنين.

وما رواه أبو رافع قال قال (ص) بعثت أول يوم الأثنين، وصلت خديجة آخر يوم الاثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء من الغداة مستخفياً قبل أن يصلي مع النبي (ص) أحد سبع سنين.

(فصل في أن إسلامه (ع) كان عن بصيرةٍ وإستدلال)

اعلم أنه لما توجهت الحجة على المخالفين بتقدم إسلام أمير المؤمنين (ع) على سائر المكلفين، قالوا: وما الفضيلة في إسلام طفلٍ لم يلحق بدرجة العقلاء البالغين؟ وأي تكليفٍ يتعين عليه يستحق بفعله الأجر من رب العالمين؟ وهل كان إلقاء الإسلام إليه إلا على سبيل التوقيف والتلقين الذي يفعله أحدنا مع ولده لينشأ عليه، ويصير له من الآلفين؟

وخطأ هؤلاء القوم لا يخفى للمتأملين، وضلالهم عن الحق واضح للمنصفين.

وذلك أن الحال التي كان عليها رسول الله (ص) في إبتداء أمره من كتمان ما هو عليه وستره، وصلاته مختفياً في شعاب مكة، للمخافة التي كان فيه

والتقية، منتظراً لأذن الله تعالى في الاعلان والاظهار، فيبدي حينئذٍ أمره على تدريج، يأمن معه المضار، يقضي إلى أن يلقي ذلك إلى الأطفال والصبيان الذين لا عقول لهم، يصح معها الكتمان، والذين من عادتهم الاخبار بما علموه والاعلان.

فإذا علمنا وهذه صورة الحال، أن النبي (ص) قد خص في ابتدائها بالوقوف على سر أحد الأطفال، تحققنا أن ذلك الطفل مميز، بصحة الفعل والكمال.

وليس يستحيل حصول العقل والتمييز لابن عشر سنين، ولا تجويزه ذلك في الأمور المستبعدة عند العارفين.

والمنكر لذلك إنما يعول على الغالب في المشاهدات. والعقل لا يمنع من وجود ما ذكرناه في نادر الأوقات، بل لا يمنع من أن يجعل الله تعالى ذلك آية يخرق بها العادات.

وقد أخبر الله سبحانه عن نبيين من أنبيائه (ع) بما هو أعجب من هذا، وهما عيسى ويحيى.

فقال حاكياً كلام عيسى (ع) للناس في المهد:

(إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً)

وقال في يحيى:

(يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً)

فإن قال الخصوم: (إن هذين نبيان يصح أن يكون لهما الآيات المعجزات).

قلنا: فما المانع من يكمل الله تعالى عقل طفلٍ في زمن نبينا (ع) ويمنحه صحة التمييز والاستدلال، ويخصه بالتكليف دون جميع الأطفال، ويكون ذلك آيةً لنبيه (ص)، وكرامة له في أخص الناس به.

ولوجهٍ آخر من الصلاح يختص بعلمه، وليكون مع هذا كله إبانةً لوليه الذي هو حجته ووصي نبيه (ص). فما المحيل لما ذكرناه، والمانع من كونه كذلك؟

أوليس قد روي أن الشاهد الذي شهد من أهلها في قميص يوسف (ع) كان طفلاً في المهد، له سنتان، وليس بنبي،

وبعد فقد أوجدكم[1] الله تعالى عيانا من أحد أئمتنا (ع) ما هو أكثر مما أنكرتموه من هذه الحال.

وهو أبو جعفر محمد بن علي بن موسى (ع)[2] وشهادة المأمون لما عزم على تقريبه ومصاهرته، وهو ابن تسع سنين، بالعقل والعلم والكمال[3]، واتفاقهم معه على أن يعقدوا له مجلساً للامتحان، وسؤالهم يحيى بن أكثم القاضي في أن يتولى لهم ذلك، وبذلهم له الأموال، وما جرى له من عجيب الكمال في السؤال والجواب، حتى عجز يحيى، ووقف في[4] يديه، وأذعن بالإستفادة منه، والرجوع إليه فيما لا يعلمه.

وهذا أمر قد شاركتمونا في نقله، واتفق أصحاب الحديث[5] على حمله.

ولسنا نشك في أن هذا العلم والفضل لم يحصل لأبي جعفر (ع) إلا من أحد وجهين[6].

إما الإلهام، فهو إذاً معجز بان[7] به من الأنام.

---

(١) المرجح ان ضمير الجماعة المخاطبة وهو (كم) زائد.
(٢) هو الإمام التاسع أبو جعفر محمد بن علي الملقب بالجواد ولد سنة١٩٥هـ وتوفي سنة٢٢٠هـ
(٣) في النسخة أيضاً الكلام.
(٤) هكذا ورد في النسخة ولعل الصواب (بين).
(٥) في النسخة الحديثين.
(٦) في النسخة (لاحد) أيضاً.
(٧) بان أي انفصل وغاير.

وإما عن تلقين وتعليم، وكـان عمره وقت تلقينه ذلك، وهو في وقت للناظرة ابن تسع سنين، وقيل ثماني سنين.

أو ليس هذا أعجوبة قد نقلتموها وأقررتم بها، وسألتموها؟.

فأخبرونا كيف أقررتم لولد أمير المؤمنين (ع) في زمن المأمون بكمال العقل والعلم وحسن المعرفة والفهم، وهو ابن تسع سنين؟ وأنكرتم أن يصح لأمير المؤمنين صلوات الله عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله كمال العقل والتكليف وله عشر سنين؟

فإن قالوا: نحن لا نعترف لأبي جعفر (ع) بهذا، كانت السير قاضية بيننا وبينهم، شاهدة للمحق[1] منا.

ثم يقال لهم: إن لم يكن الأمر كما ذكرناه من كمال عقل أمير المؤمنين (ع) وقت دعاء النبي (ص) له إلى الإسلام، وهو في حال سر وكتمان وخوف من الشرك والضلال، أليس يكون قد غرر بنفسه فيما ألقاه إليه، وفعل ما يشهد العقل بقبحه، وخطأ المقدم عليه حاشا الرسول (ص) مما ينسبونه إليه.

والذي ذكرناه في أمير المؤمنين (ع) أوضح من أن يشتبه الأمر فيه.

أليس هو القائل لرسول الله (ص): انني لم أزل البارحة مفكراً فيما قلت لي، فعرفت الحق والصدق في قولك، وأنا أشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله.

فوقع منه الإقرار بالشهادة بعد فكر ليلة كاملة.

فكيف تصح من طفلٍ - كما زعمتم - غير عاقل أن يفكر في صحة النبوة ليلةً كاملة، حتى حصل له العلم بصدق المخبر بها بعد طول الروية؟

وهل بعد هذا لبسٌ يعترض عاقلاً هجر العصبية.

وقد روي أعجب منه عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال إن النبي (ص)

---

(١) في النسخة للحق أيضاً.

عرض علي علي (ع) الإسلام، فقال له علي (ع): أنظرني الليلة، فقال له النبي (ص): هي أمانة في عنقك، لا تخبر بها أحداً.

فلينظر الغافلون إلى هذا الكلام الواقع منهما عليهما السلام، وسؤال أمير المؤمنين (ع) له في التأجيل والإنظار.

هذا وهو الذي كفله ورباه، ولم يزل طائعاً له في جميع ما يأمره ويراه. فلما أتاه الأمر رأى أن الإقدام على الإقرار به من غير علم ويقين قبيح، سأله التأجيل.

ثم قول النبي (ص) له. إنها أمانة في عنقك لا تخبر بها أحداً، مما تشهد العقول بأسرها أنه لا يقال إلا لمميزٍ يكون عقله كاملاً.

ويزيد هذه الحال أيضاً بياناً، أنه لما أسلم (ع) كان يخرج مع رسول الله (ص) إلى شعاب مكة، فمرة يصلي معه، ومرة أخرى يرصد له.

حتى روي أن كل واحدٍ منهما كان إذا صلى صاحبه، حرسه ووقف يرصد له.

فهل يصح أن يختص بهذا الأمر من لا عقل له؟ لا: ولكن قد يخفى صحته عمن لا عقل له.

والعجب أن مخالفينا يدفعون أن يكون إسلام أمير المؤمنين (ع) وهو ابن عشر سنين، له فضيلة. ورسول الله (ص) لم يدفع ذلك، بل كان يعده له من أول الفضائل، ويخبر به إذا مدحه وأثنى عليه في المحافل.

والعجب أنهم ينكرون علينا الإحتجاج بتقدم إسلامه، وهو (ص) كان يحتج بذلك بين الصحابة، ولا ينكره أحد عليه، ولا يقول له: وما في ذلك من الفضل؟ وإنما أسلمت وأنت طفل لا عقل لك.

فصل في البلوغ

وأما ما ظن الخصوم من أن البلوغ إلى درجة التكليف، هو الإحتلام، وقولهم: إن أمير المؤمنين (ع) لم يكن بلغ وقت إسلامه مبلغ المحتلمين، فلا يكون من المكلفين.

فظن غير صحيح. ولو كان الأمر كما زعموه لكان كل من بلغ الحلم مكلفاً، ونحن نعلم فساد ذلك، لوجود بالغين من البله والمجانين غير مكلفين.

والواجب الذي ليس عنه محيد أن يقال إن وجود العقل في الإنسان وصحة التمييز منه والإدراك، شرط في وجوب تكليف العقليات، من النظر والإستدلال ومعرفة ما لا يسع جهله من الأمد والواجبات واعتقاد الحق بأسره وإدراك الصواب.

وشرط أيضاً في صحة تعلق [تكليف][1] العبادات السمعيات، وإن كان أكثرها يسقط عمن لم يبلغ الإحتلام، ولا[2] يعلم سقوطه إلا من جهة السمع الوارد دون ما سواه.

ولم يكن المشروع[3] كله حاصلاً في ابتداء البعثة، ولا أتى الوحي وقت إسلام أمير المؤمنين (ع) لجميع العبادات السمعية، فيعلم ما هو لازم لمن لم يبلغ مما هو غير لازم.

فأما التكليف الواجب في العقول فلا يجوز أن يسقط عمن له عقل وتحصيل..[4] اذ هو بلوغ حد التكليف.

وقد بينا أن أمير المؤمنين (ع) كان كامل العقل وهو ابن عشر سنين

---

(١) النسخة خالية من كلمة تكليف واضفناها تصحيحاً للمعنى.

(٢) في النسخة: وإن يعلم ووضعنا مكانها كلمة (ولا يعلم) تصحيحاً للمعنى.

(٣) في النسخة للمشروع.

(٤) هنا كلمتان غير واضحين المراد.

فلزمته[1] المعرفة بالله تعالى والرسول وبجميع ما يوجب معرفة العقول[2]، ولزمه من التعبد المسموع ما قارن وجهاً من المصلحة له[3] وهذا كاف لذوي التحصيل.

وقد أوردت في هذا الكتاب من القول في إسلام أمير المؤمنين (ع) ما فيه منفعة للمؤمنين، وحجة على المخالفين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين [وآله][4] الطيبين الطاهرين.

فصل: من كلام أمير المؤمنين (ع) وحكمه.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

لا شرف أعلا من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة.

من ضاق صدره لم يصبر على أداء حق. من كسل لم يؤد حق الله.

من عظم أوامر الله أجاب سؤاله.

من تنزه عن حرمات الله سارع إليه عفو الله.

من تواضع قلبه لله لم يسأم بدنه طاعة الله.

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.

ليس مع قطيعة الرحم نماء. ولا مع الفجور غنى.

عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر.

تصفية العمل خير من العمل.

عند الخوف يحسن العمل.

---

(١) في النسحة فلزمه أيضاً.

(٢) في النسخة معرفة المعقول أيضاً.

(٣) هنا كلمتان غير واضحتين

(٤) السخة خالية من كلمة وآله.

رأس الدين صحة اليقين.
أفضل ما لقيت الله به نصيحة من قلب، وتوبة من ذنب.
إياكم والجدل فإنه يورث الشك في دين الله.
بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثر منها في أوان كسادها.
اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.
ودخول الجنة رخيص، ودخول النار غالٍ
التقى سائق إلى كل خير.
من غرس أشجار التقى جنى ثمار الهدى.
الكريم من أكرم عن ذل النار وجهه.
ضاحك معترف بذنبه أفضل من باكٍ مدلٍ على ربه.
من عرف عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره.
من نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره.
ومن نظر في عيوب الناس ورضاها لنفسه فذلك الأحمق بعينه.
كفاك أدبك لنفسك ما كرهته لغيرك.
اتعظ بغيرك ولا تكن متعظاً بك.
لا خير في لذةٍ تعقب ندامة.
تمام الإخلاص تجنب المعاصي.
من أحب المكارم اجتنب المحارم.
جهل المرء بعيوبه من أعظم ذنوبه.
من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.
ومن أساء استوحش.
من عاب عِيب.
ومن شتم أُجيب.
أدوا الأمانة ولو إلى قاتل الأنبياء.
الرغبة مفتاح العطب.
والتعب مطية النصب.

الشر داع إلى التقحُّم في الذنوب.

من تورط في الأمور غير ناظر في العواقب، فقد تعرض لمدرجات النوائب.

من أتى ذمياً وتواضع له ليصيب من دنياه شيئاً ذهب ثلثاً دينه.

من لزم الإستقامة لزمته السلامة.

حدثنا الشيخ المفيد أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي رضي الله عنه بمكة في المسجد الحرام، قال: حدثني أبو الفرج المعافى بن زكريا قال حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: حدثنا الحسن بن محمد بن بهرام قال: حدثنا يوسف بن موسى الطالقاني، قال: حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص):

لو أن الغياض أقلام، والبحر مداد، والجن حُسَّاب، والأنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.

وأُنشدت[١] لابن وكيع الشاعر[٢] في أمير المؤمنين صلوات الله عليه هذه الأبيات:

قالوا: علي لماذا لست تمدحه ... فقلت أصبحت في ذا الفعل معذورا
صرفت مدحي إلى من نور مدحته ... يعده الناس إسرافاً وتبذيراً
ولم أطق مدح من فاتت فضائله ... قدر المدائح منظوماً ومنثوراً
ومن جواد قريضي أن بعثت به ... في مدحه من علاه عاد محسوراً

---

(١) في النسخة وأنشدت بيتين، وهو زيادة من الناسخ.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد خلف البغدادي أحد الشعراء البارعين توفي بمدينة تنيس من ديار مصر بالقرب من دمياط سنة ٣٩٣هـ. له ديوان شعر ومن شعره:

لقد قنعت همتي بالخمول ... وحدت عن الرتب العالية
وما جهلت طعم طيب العلا ... ولكنها تؤثر العافية

ووكيع لقب جده أبي محمد بن خلف وكان فاضلاً عالماً بالقرآن والفقه والنحو والسير وله مصنفات توفي سنة ٣٠٦هـ.

أأزعم الغيث يحيي الأرض وإبله ... أم أزعم البدر قد عم الورى نوراً
ما زلت ذاك وذا بالوصف منهية ... ولا أتيت بفضل كان مستوراً
متى صرفت إليه الشعر أمدحه ... شهرت من وصفه ما كان مشهوراً
وظلت أتعب فيمن ليس يرفعه ... مدحي وأنشر فضلاً كان منشوراً
سارت مآثره بالفضل ظاهرةً ... فما ترى لمديح فيه تأثيراً
وأصبح الوصف منه لاستفاضته ... كاللفظ كرر في الأسماع تكريراً
يعد جهديَ تقصيراً بمدحته ... ولست أرضى بجهدٍ عُدَّ تقصيراً

وأظنه بنى على قول المتنبي:

وتركت مدحي للوصي تعمداً ... إذ كان نوراً مستقلاً كاملاً(١)
وإذا استقل(٢) الشيء قام بنفسه ... وأرى صفات الشمس تذهب باطلاً

وفي هذا المعنى لأبي نؤاس في الرضا عليه السلام:

قيل لي لمْ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا اهتدي لمدح إمامٍ ... كان جبريل خادماً لأبيه

ولبعضهم:

لا يبلغن مدح النبي وآله ... قوم إذا ما بالمدائح فاهوا
رجل يقول إذا تكلم قال لي ... جبريل أخبرني بذاك الله

ومن مليح ما وجدته لابن الرومي:

لي أحمدان لدنياي وآخرتي ... ولي عليان فانظر من أعدتُ وَلي
من خاتم الملك في الدنيا بخنصره ... ومن على كتفيه خاتم الرسل
تعلقت راحتي منهم بأربعةٍ ... إن عشت أو مت للتأميل والأمل
منهم باثنين ما استسمحت يسمح لي ... كما باثنين ما استشفعت يشفع لي
فللشفاعة حسبي أحمد وعلي ... وللمعيشة حسبي أحمد وعلي

---

(١) في ديوان المتنبي والمحفوظ هكذا: إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً).

(٢) في الديوان والمحفوظ: وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً.

فصل في فضل اقتناء الكتب

قال بعض الحكماء الكتب أصداف الحكم، تنشق [عنها] جواهر الشيم.

وقيل لآخر: ما بلغ من شهوتك للكتب ورغبتك في قراءتها؟ فقال: إذا نشطت فهي لذتي، وإذا اغتممت فهي سلوتي.

وقال آخر: ما ورَّثت الأسلاف للإخلاف كنوزاً أفضل من الكتب، ولا حلَّت الآباء الأبناء حُليّاً أجمل من الأدب.

وليم آخر على إنفاذ المال في الكتب وترك الولد بغير عقل، فقال: إني اعتقد لهم كتب علوم تخلِّص أرواحهم، لأعق أموال تنعِّم أشباحهم.

وقيل لآخر: فلان مات وما خلف لولده إلا كتباً. فقال: لقد خلف لهم مآثر لا تعفوها الأيام، وترك لهم موارث لا تنفدها الأعوام.

وقال بعض المصنفين في فضل الكتب واقتنائها:

أعلم أن الكتاب قيَّدَ على الناس علم الدين، وأخبار الأولين، مع خفة محمله، وصغر جثته، صامت ما أسكته، بليغ ما استنطقته، ومن بسامر لا يبتديك في حال شغلك، ولا يدعك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له، والتذمم منه.

ومن لك بزائر إن شئت جعل زيارته غباً، ووروده حباً[1] وإن شئت لزمك لزوم ظلك، فكان منك مكان بعضك.

والكتاب هو الذي إذا نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوّد بيانك، وفخم ألفاظك، وعمر صدرك، ومنحك صداقه الملوك، وتعظيم العوام، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر.

---

(١) في النسخة: جسما.

قال: والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، لا يقصرعنك بنوم، ولا يعتريه ملال، وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يحقرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عدلت عنه لم يدع طاعتك، وإن هب ريح أعدائك لم ينقلب عليك، ومتى كنت منه متعلقاً بسببٍ ومعتصماً بحبلٍ لم [تضطرك] معه وحشة الإنفراد إلى الجليس السوء.

ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا منعه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارة بك، مع ما في ذلك من التعرض للحقوق في فضول النظر، وملابسة صغار الناس وحضور ألفاظهم الساقطة، وأخلاقهم الردية، لكان في ذلك السلامة يوم القيامة، ونعم الجليس.

وقال في هذا المعنى:

والكتاب نعم الذخر والقعدة، ونعم الجليس والعقدة، ونعم السيرة والنزهة، ونعم الشغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والزميل. والكتاب وعاء مليء علماً، وظرف حشي ظَرَفاً، وإناء شحن مزاحاً وجداً. إن شئت كان أبين من سحبان وائل(١)، وإن شئت كان أعي من باقل(٢)، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فوائده، وإن شئت ألهتك نوادره، وإن شئت أشجتك مواعظه.

وبعد فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردن، وروضة تنقلب في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء.

ومَن لك بمؤنس لا ينطق إلا بما تهوى، آمَنَ من في الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر.

---

(١) هو من ألسنة الجاهليين وخطباء الإسلام ويضرب فيه المثل في الفصاحة والبيان توفي سنة (٥٤هـ)- (٦٧٣م) وفي النسخة (من تيجان وائل).

(٢) هو باقل بن عمرو بن ثعلبة الأبادي يضرب فيه المثل في العي والفهاهة.

وقال: لا أعلم جاراً أبر، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية، وأقل جناية، ولا أقل ملالاً، وإبراماً وخلافاً وجزافاً، ولا أقل غيبة، ولا أبعد من مرأى، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدل، ولا أكف عن قتال من كتاب.

ولا أعلم قريناً، ولا أحسن موافاة، ولا أعجل مكافاة، ولا أحضر معرفة، ولا أخف مؤنة، ولا شجراً أطول عمراً، ولا أطيب ثمراً، ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكاً، ولا أوجد في كل أوان من كتاب[1]

وأنشد بعضهم:

وإذا الهموم تضيقتك ولم تجد
أحداً ومل فؤادك الأصحابا
فاعمد إلى الكتب التي قد ضمنت
أوراقها الأشعارا والآدابا
فهي التي تنفي الهموم ولم تجد
أحداً له أدب يمل كتاباً

فصل:

حكى شيخنا المفيد رضي الله عنه في بعض كتبه[2]:

قال: قد ألزم الفضل بن شاذان رحمه الله، فقهاء العامة[3]. قولهم في الميراث، أن يكون نصيب بني العم أكثر من نصيب الولد، واضطرهم إلى الإعتراف بذلك، فقال:

---

(١) أحسب أن هذا الفصل في وصف الكتاب هو من إنشاء المؤلف، لأنه بأسلوبه أشبه.

(٢) وهو كتاب الفصول المختارة ج١ ص١٢٣- ١٢٤.

(٣) في النسخة: الناحبة والتصحيح مطابق لما فى الفصول المختارة. والفضل بن شاذان النيسابوري الأزدي المتوفي عام (٢٦٠هـ) وهو من شيوخ الفقه والكلام والآثار الشيعة، وله مؤلفات كثيرة أنهاها مترجموه إلى ماية وثمانين كتاباً.

خبروني عن رجلٍ توفي وخلف ثلاثين ألف درهم، وخلف ثماني وعشرين بنتاً وابناً واحداً، كيف تقتسمون الميراث؟

فقالوا: نعطي الولد الذكر ألفي درهم، ونعطي كل بنت ألف درهم، فيكون للبنات ثمانية وعشرون ألف درهم على عددهم، ويحصل الذكر ألفا درهم، فيكون له ما قسمه الله عز وجل وأوجبه في كتابه من قوله: وللذكر مثل حظ الأنثيين.

قال لهم: فما تقولون؟ لو كان موضع الإبن ابن عم، كيف تقسم الفريضة؟

فقالوا: نعطي ابن العم عشرة ألاف درهم، ونعطي البنات كلهن عشرين ألف درهم.

فقال لهم الفضل بن شاذان رحمه الله: فقد صار ابن العم أوفر حظاً من الإبن للصلب، والإبن مسمى في التزيل، متقرباً بنفسه، وبنو العم لا تسمية لهم، وإنما يتقربون بأبيهم، وأبوهم يتقرب بجده، والجد يتقرب بأبيه، وهذا نقض للشريعة.

قال شيخنا المفيد رضي الله عنه:

وإنما لزمت هذه الشناعة فقهاء العامة خاصة، لقولهم بأن من عدا الزوج والزوجة والأبوين، يرثون مع الولد، على خلاف مسطور الكتاب والسنة، وإنما أعطوا ابن العم عشرة آلاف درهم في هذه الفريضة، من حيث تعلقوا بقوله تعالى: (فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك). فلما بقي الثلث اعطوه لابن العم، فلحقتهم هذه الشناعة المخرجة لهم من الدين، ونجت الشيعة من ذلك والحمد لله.(١)

ووجدت في أمالي(٢) شيخنا المفيد رضي الله عنه:

---

(١) أنظر: الفصول المختارة ج١ ص١٢٢.

(٢) هذا موجود في الفصول المختارة ج١ ص٤٤.

أن أبا الحسن علي بن ميثم[1] رضي الله عنه، دخل على الحسن بن سهل، وإلى جانبه ملحد قد عظمه[2]، والناس حوله، فقال له:

قد رأيت عجباً. قال: وما هو؟ قال: رأيت سفينة تعبِّر الناس من جانب إلى جانب بغير ملاَّح ولا ماصر.

قال فقال الملحد: إن هذا أصلحك الله لمجنون.

قال: وكيف؟

قال: لأنه يذكر عن خشب جماد لا حيلة له ولا قوة، ولا حياة فيه ولا عقل، أنه يعبِّر الناس، ويفعل فعل الإنسان، كيف يصح هذا؟

فقال له أبو الحسن: فأيما أعجب هذا أو هذا الماء الذي يجري على وجه الأرض يمنةً ويسرة بلا روح ولا حيلة ولا قوى، وهذا النبات الذي يخرج من الأرض، والمطر الذي ينزل من السماء، كيف يصح ما تزعمه من أن لا مدبر له كله؟ وأنت تنكر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر وتعبِّر الناس بلاح.

قال: فبهت الملحد.

فصل أجبت به بعض الإخوان عن ثلاث آيات من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفق للسداد، وصلواته على حججه في العباد، مولانا محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين.

هذه ثلاث آيات من القرآن، سأل عنها بعض أهل الإيمان، أوضحت معانيها وما يتعلق به المخالفون منها، وأجبت عن ذلك بما اقتضاه الصواب على سبيل الإختصار دون الإطناب.

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار الكوفي صاحب أمير المؤمنين علي (ع) وتوفي سنة (١٧٩هـ)، وهو من متكلمي الشيعة البارزين في عصر الرشيد. وله عدة مؤلفات.

(٢) في النسخة: قد أعظم الناس حوله وصوبناه اعتماداً على النص الوارد في الفصول المختارة.

الآية الأولى قول الله عز وجل:

« واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت لأهلكتهم من قبل وإياي ، أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ». الأعراف: ١٥٥

المواضع المسؤول عنها من هذه الآية التي يتعلق بها المخالفون منها ثلاث مواضع:

أحدها: قول موسى عليه السلام: أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فيقولون: كيف خفي على نبي الله أنه لا يجوز في العدل والحكمة أخذ العبد بجرم غيره.

الثاني: قوله: (إن هي إلا فتنتك) فزعمت المجبرة أن في هذا دلالة على أن الله تعالى يفتن العباد الفتنة التي هي الإضلال.

الثالث قوله: تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ، قالوا: وهذا بيان أنه سبحانه يفعل في طائفة من عبادة الضلال ، ويحرمهم الإيمان ، ويخص الأُخرى بالهدى ويجنبها الضلال.

الجواب:

أما قول موسى (ع) (أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا) ففيه وجهان:

أحدها: أن الهلاك هنا هو الموت ، قال الله تعالى: (إن أمرؤ هلك ليس له ولد)[1] يعني مات ، فكأن موسى عليه السلام قال على سبيل السؤال: أتميتنا مع هؤلاء السفهاء ، وليس الموت الذي سأل عنه عقوبة ، بل على ما جوزه من اتفاق حضور الميتة ، كما اتفق هلاك العالمين في طوفان نوح عليه السلام إلا من حملت السفينة ، فكان هلاك الكفار منهم عقوبةً لهم ، وهلاك الأطفال والبهائم ومن لا تكليف عليه معهم ، لحضور آجالهم.

---

(١) سورة النساء ١٧٦

وقامت الباء في قوله تعالى: (بما فعل السفهاء) مقام (مع)، لأنهما جميعاً من حروف الخفض.

والوجه الثاني: أن يكون قوله: أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا، خرج منه على وجه الإستبعاد لذلك والنفي والإنكار، كما يقول أحدنا للحاكم: أتراك تظلمني في فعلك، أو تجور عليّ في حكمك، وهو لا يريد سؤاله بل يقصد نفي الظلم والجور عنه، واستبعاد وقوعهما منه. قال جرير:

أعبداً حل في شعبي غريباً ... ألؤماً لا أباً لك واغترابا

يريد أن لا يجتمع هذان.

وأما قوله: إن هي إلا فتنتك [فإن][1] الفتنة على ضروب في الكلام، وهي في هذا المكان بمعنى المحنة والإختبار، قال الله تعالى:

(وفتناك فتوناً)[2] يعني اختبرناك اختباراً، وكأنه قال: إن هي إلا فتنتك التي امتحنت بها خلقك و[اختبرتهم][3] في التكليف، لتثبت من اهتدى بها، وتعاقب من ضل [عنها][4].

وأما قوله: (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) فإنه ذكر في هذه الآية وفي نظائرها، أنه يضل قوماً ويهدي آخرين مجملاً للقول في ذلك من غير تفسير.

وكشف في آيات أُخر عمن يشاء أن يضلهم، ومن يريد أن يهديهم، وميزهم وصف بعضهم من بعض وبينهم، فقال في الضلال:

(ويضل الله الظالمين)

وقال: (وما يضل به القوم الفاسقين).

فأخبر أنه لا يشاء أن يضل إلا من سبقت منه الجناية، واقترف الإساءة.

---

(١) في النسخة (تكن).
(٢) طه: ٤٠
(٣) في النسخة: وأخبرتهم.
(٤) في النسخة: عندها.

وقال في الهدى:

(وقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) المائدة: ١٦

وقال: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) التغابن: ١١

فأوضح بهذه الآيات المفسرة عما ذكره في تلك الآيات المجملة.

فأما هذا الضلال منه والهدى فهو يحتمل وجوهاً: منها أن يكون الا ضلال العقاب، والهدى الثواب. وجاز ذلك في الكلام، لأن الجزاء عندهم على الشيء يسمى بإسم ذلك الشيء على طريق الإتساع، وله نظائر في القرآن.

ومنها أن يضل العُصاة عن الألطاف في الدنيا التي وعد بها أهل الايمان.

ومنها للتسمية، فقد يقال: أكذبني فلان، إذا سماني كاذباً، وأضلني، إذا سماني ضالاً. قال الشاعر[١]:

وطائفة قد أكفروني بحبكم   وطائفة قالوا مسيء ومجرم[٢]

الآية الثانية

قوله سبحانه:

(وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، إنا هدنا إليك، قال عذابي أُصيب به من أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون). الأعراف: ١٥٦

(المواضع المسؤول عنها من هذه الآية).

الذي يسأل عنه من معانيها:

---

(١) هو الكميت بن زيد الأسدي من ألمع شعراء الدولة الأموية وكان عالماً بلغات العرب وأيامهم خصّ أكثر شعره في مديح أهل البيت (ع) وأفضله الهاشميات المشهورة توفي سنة ١٢٦هـ

(٢) هو مذنب لا مجرم، وهو من قصيدته البائية التي أولها:

طربت وما شوقاً إلى البيت أطرب   ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

قوله: (إنا هدنا إليك) وما في معناه في اللغة.

وقوله: (عذابي أُصيب به من أشاء) فهو مما ينتسب به المجبرة.

وقوله: (ورحمتي وسعت كل شيء) فقد قال بعض الملحدة: إذا كانت رحمته وسعت كل شيء، فكيف لم تسع الكافر الذي لم يرحمه؟

الجواب.

أما قوله: (هدنا إليك) فمعناه تبنا إليك.

وأما قوله: (عذابي أُصيب به من أشاء) فالكلام فيه كالكلام في الضلال والهدى، وقد تقدم من الكلام في ذلك ما يستدل به على أنه تعالى لا يشاء أن يعذب إلا من عصى.

وأما قوله: (ورحمتي وسعت كل شيء) ففيه وجهان.

أحدهما: أن نعمة سبحانه في الدنيا قد شملت الخلائق ووسعت العباد، وسيكتبها في الآخرة للذين يتقون ويكونون على ما نعته من الصفات.

والوجه الآخر إنه أراد يقول وسعت كل شيء، أن رحمته تسع الخلائق لو دخلوها، ولا تقصر عنهم لو عملوا لها، غير أنه لا يكتبها إلا لمن اتقى وفعل الحسنى.

الآية الثالثة

قوله الله تعالى:

(الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون) الأعراف: ١٥٧

المواضع المسؤول عنها من هذه الآية

منها قوله تعالى: (النبي الأمي) فقد ظن قوم أنه أراد بذلك عدم علمه بالخط.

ومنها قوله تعالى: (ويضع عنهم إصرهم) ما هذا الإصر والإغلال التي كانت عليهم؟

ومنها قوله: (الذين آمنوا به وعزروه ونصروه) فقد تأول قوم ذلك في أبي بكر وعمر وعثمان.

ومنها: النور الذي كان معه (ع) ما هو؟ ليقع العلم به.

الجواب:

أما قوله سبحانه (الأُمي) فإنما نسبه إلى أُم القرى وهي مكة، قال الله تعالى: (لتنذر أم القرى ومن حولها).

وأهلها هم الأُميون، قال الله تعالى:

(هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم) الجمعة: ٢

وهذا كافٍ في إبطال ما ظنوه.

وأما الإصر ههنا [فـ] هو الثقل، والإثقال التي كانت عليهم، والأَغلال يحتمل أن تكون الذنوب التي اقترفوها في حال الكفر والضلال، فأخبر الله سبحانه أنه يضعها عنهم إذا آمنوا به وبرسوله عليه وعلى آله السلام.

وأما قوله: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون).

فهو مدح لمن كان على هذه الصفات، وليس فيه تسمية لأحد يزول معها الأشكال، ولا على ما ادعاه المخالفون في ذلك دليل إجماع.

ومن سبر الأَخبار واطلع في صحيح السير والآثار، علم أن أبا بكر وعمر وعثمان مُعَرُّون من هذه الصفات.

وهذا باب يتسع فيه الكلام، والواجب مطالبة من إدعى أن هذه الآية فيهم، بدليل على دعواه يصح بمثله الإحتجاج. فأما الآية نفسها فلا تدل على ذلك.

وأولى الأَشياء أن يكون المدح فيها للذين حصل الاتفاق على استحقاقهم ما

تضمنته من الصفات، ممن لا ريب في صحيح إيمانهم، وعالي نصرتهم وجهادهم. من أهل البيت عليهم السلام، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، ومن الصحابة الأخيار والنجباء الأطهار، زيد بن حارثة، وخباب، وعمار بن ياسر، وسعد بن معاذ، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم ابن التيهان، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وإبنا سهل وعثمان، ومن في طبقتهم من أهل الإيمان، رحمة الله عليهم أجمعين.

وأما النور الذي أُنزل معه فهو القرآن، ولم يسم بذلك لأن فيه أجساماً من الضياء، لكن لما يتضمنه من الحجج والبيان الذي يستنار به في شريعة الإسلام.

وقد سماه الله تعالى نوراً في موضع آخر فقال:

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » المائدة: ١٥

وقال أيضاً:

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » المائدة: ٤٦

ولم يرد أن فيها أجساماً من الضياء، وإنما أراد ما ذكرنا.

فهذا مختصر من الكلام في معاني هذه الآيات، والحمد لله الموفق للصواب وصلى الله على خيرته من خلقه محمد رسوله وآله.

ووجدت في بعض الأناجيل مكتوباً:

« إن المسيح (ع) قال: وحقاً أقول، لست الشارب مما لفظته الكروم حتى أشرب ذلك غداً في الملكوت ».

وفي هذا على النصارى حجتان:

إحدهما إن المسيح (ع) كان لا يشرب الخمر، وهو خلاف ما رووه عنه من قوله في لحم الخنزير والخمر:

« هذا لحمي فكلوه، وهذا دمي فاشربوه ».

والحجة الأُخرى أن في الجنة شرباً، وإذا كان فيها شرب كان فيها أكل، وليست تذهب النصارى إلى هذا.

فأما روايتهم عنه (ع) [أنه] قال:

« هذا لحمي فكلوه، وهذا دمي فاشربوه » فإنه يحتمل وجهاً من التأويل، ويكون معناه التهديد، وإن كان بلفظ الأمر، كما يقول أحدنا لمن يتهدده: أعمل ما شئت، وهو لا يريد أمره

ويقوي هذا التأويل ما تضمنه الخبر عن قوله:

هذا لحمي وهذا دمي. ونحن نعلم أن لحمه ودمه محرمان، فيصح بما ذكرناه من أن المراد بالخبر التهديد.(١)

وأعلم أنا لم نتأول هذا الخبر توقفاً عن رده، وإنا لنعلم أنهم متهمون فيما يروون. وإنما تأولناه تصرفاً في النظر وإقامة الحجة على الخصم. فأما ما في القرآن من التهديد الذي هو بلفظ الأمر فواضح. أحدها قول الله سبحانه لابليس:

« إجلب عليهم بخيلك ورحلك وشاركهم في الأموال والأولاد، وعِدهم وما يعدهمُ الشيطان إلا غروراً » الإسراء: ٦٤

وقوله تعالى:

« أعملوا ما شئتم أنه بما تعملون بصير، فصلت: ٤٠

مسألة:

إن سأل سائل عن قول الله تعالى في موضع من ذكر موسى (ع):

« وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبراً ولم يعقب » النمل: ١٠.

وعن قوله في موضع آخر:

---

(١) وبعبارة أوضح أن المراد به هو الزجر عنهما، على معنى إن ساغ لكم أكل لحمي فكلوا لحم الخنزير، وإن ساغ لكم شرب دمي فاشربوا الخمر.

« فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين » الشعراء: ٣٢

وقال: ما معنى هذا الإختلاف في وصف العصا، وقد أخبر في إحدى الآيتين، أنها كانت كالجان والجان الحية الصغيرة، وذكر في الآية الأخرى أنها ثعبان مبين، والثعبان الحية العظيمة. فكيف تكون في خبر واحد بهاتين الصفتين المتباينتين؟

جواب: قلنا قد أجيب عن هذا السؤال بأن موسى (ع) لما ألقى العصا جعلها الله تعالى على صفة الجان في سرعة حركتها وقوتها وكثرة نشاطها، وعلى صفة الثعبان في عظم خلقها وهول منظرها وكبر جسمها، فاجتمع فيه الوصفان لها، فليس تشبيهها لها بالجان في إحدى الآيتين بموجب أن يكون لشبهه في جميع صفاته، ولا تشبيهه لها بالثعبان في الآية الأخرى بدليل على أنها تماثله في سائر حالاته. وعلى هذا الجواب لا تباين في الآيتين بحمد الله ومنّه.

ووجه آخر

وقد أُجيب عن ذلك بجواب آخر، وهو أن الآيتين ليستا خبراً عن حالة واحدة، بل لكلٍ واحدة منها حال منفردة.

فالحال التي كانت العصا فيها كأنها جان كانت في ابتداء النبوة، وقبل مصير موسى (ع) إلى فرعون مؤدياً للرسالة.

والحال التي صارت العصا فيها ثعباناً كانت عند لقائه وإبلاغه الرسالة. وعلى هذا تدل التلاوة. ولم يبق في المسألة شبهة. والمنة لله.

فصل:

وروي في الحديث أن فضـال بن الحسن بن فضال الكوفي مر بأبي حنيفة وهو في جمعٍ كثير يملي عليهم شيئاً من فقه حديثه، فقال فضال لصاحبه كان معه! والله لا أبرح حتى أُخجل أبا حنيفة.

فقال صاحبه: إن أبا حنيفة من قد علمت حاله وظهرت حجته.

فقال فضال: هل علت حجة على المؤمن؟

ثم دنا منه فسلم عليه وقال: يا أبا حنيفة يرحمك الله إن لي أخاً يقول: إن خير الناس بعد رسول الله (ص) علي بن أبي طالب، وأنا أقول: أبو بكر وبعده عمر، فما تقول أنت يرحمك الله؟

فأطرق أبو حنيفة ملياً ثم رفع رأسه فقال:

كفى بمكانهما من رسول الله (ص) كرماً وفخراً، أما علمت أنهما ضجيعاه، فأي حجة أوضح لك من هذا؟

فقال له فضال: إني قد قلت لأخي هذا فقال: والله لإن كان الموضع لرسول الله (ص) دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضعٍ ليس لهما، وإن كان لهما فوهبا لرسول الله (ص) لقد أساءا وما أحسنا في ارتجاعهما هبتهما ونكثهما عهدهما.

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال: لم يكن لهما خاصة، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة، فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحق ابنتيهما.

فقال فضال: قد قلت له ذلك فقال: أنت تعلم أن النبي (ص) مات عن تسعٍ، فنظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله (ص)، وفاطمة ابنته تمنع الميراث.

فصاح أبو حنيفة: يا قوم نحوه عني فإنه رافضي[1]

فصل:

حدثني الحسين بن محمد بن علي الصيرفي قال حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عمر المعروف بالجعابي قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن سليمان بن محبوب قال: حدثنا أحمد بن عيسى الحربي قال: حدثنا إسماعيل بن يحيى عن ابن جريح عن

---

(١) هذا مذكور في الفصول المختارة ج١ ص٤٢ - ٤٣. وتجده أيضاً في احتجاج الطبرسي ص٢٠٧ أنظر البحار ج ٤٧ ص٤٠٠ هامش.

عطا عن ابن عباس قال كان النبي (ص) ليلة بدر قائماً يصلي ويبكي ويستعبر ويخشع ويخضع كاستطعام المسكين ويقول:

اللهم أنجز لي ما وعدتني ويخر ساجداً ويخشع في سجوده ويكثر التضرع، فأوحى الله تعالى إليه: قد انجزنا وعدك، وأيدناك بابن عمك علي، ومصارعهم على يديه، وكفيناك المستهزئين به. فعلينا فتوكل، وعليه فاعتمد، فأنا خير من توكلت عليه، وهو أفضل من اعتمد عليه.

وحدثني القاضي أبو الحسن أسد بن ابراهيم السلمي الحراني نزيل بغداد قال: أخبرني أبو حفص عمر بن علي العتكي الخطيب، قال: قرأت على الحسن بن أحمد البالسي [حدثكم][1] أبو أمية محمد بن ابراهيم قال: حدثنا أبو عاصم النبيل عن أبي الجراح عن جابر بن صبيح عن أم سرحيل عن أم عطية إن رسول الله (ص)، بعث علياً عليه السلام في سرية [قالت] فرأيته رافعاً يده يقول: اللهم لا تمتني حتى تريني علياً » .

وباسناده عن العتكي قال: حدثني سعيد بن محمد قال: أخبرنا محمد بن عبد الحضري قال: حدثنا عباد بن يعقوب قال: حدثنا علي بن عابس عن الحارث بن حميرة عن القاسم بن جندب قال: سمعت رجلاً من خثعم يقول:

سمعت أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله (ص) بثبير وهو يقول:

أشرق ثبير، اللهم إني أسألك بما سألك به أخي موسى أن تشرح لي صدري وأن تيسر لي من أمري، وأن تحلل عقدةً من لساني، يفقهوا قولي، وأن تجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيرا.

وبإسناده أيضاً عن العتكي قال أخبرني محمد بن صفوة قال: حدثني الحسن ابن علي العلوي قال: حدثني أحمد بن العلاء قال: حدثنا صباح بن يحيى المري

---

(١) هكذا في النسخة.

قال: حدثني خالد بن يزيد عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه عليهم السلام، قال: قال رسول الله (ص) يوم الأحزاب::

«اللهم إنك اخذت مني عبيدة بن الحرث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أُحد، وهذا أخي علي بن أبي طالب، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»(١)

فصل:

روى في الحديث أنه لما أتت الأحزاب وحاصرت المدينة وأقامت عليها بضعاً وعشرين ليلة، طاف المشركون بالخندق فلم يكن منهم من يقدم عليه غير عمرو بن عبدود، فإنه ضرب فرسه فعبر به عرضه وحصل في حيز المدينة فأخذ يزبجر في ممره ومجيئه على رسول الله (ص)، وينادي بالبراز ولا يجيبه أحد، فقال رسول الله (ص) لأصحابه وهم مطيفون به: أيكم برز إلى عمرو أضمن له على الله الجنة، فلم يجبه منهم أحد، هيبة لعمرو واستعظاماً لأمره. فقام علي بن أبي طالب (ع) فقال له إجلس، ونادى أصحابه دفعة أُخرى فلم يقم منهم أحد، والقوم ناكسوا رؤوسهم، فقام علي بن أبي طالب (ع) فأمره بالجلوس، ونادى الثالثة، فلما لم يجبه أحد سواه، استدناه وعممه بيده وأمره بالبروز إلى عدوه، فتقدم إليه، ورسول الله (ص) يقول: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»

وكان عمرو حينئذٍ يرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع موقف الخصم المناجز
إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من كرم الغرائز

فتقدم إليه أمير المؤمنين صلى الله عليه وهو يقول:

---

(١) روي بعضه في منتخب الكنز ص٣٥ أنظر حياة أمير المؤمنين ص ٢٤٥

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرةٍ والصدق منجى كل فائز
إني لأرجو أن تقوم عليك نائحة الجنائز
من طعنةٍ نجلاء يبقى ذكرها بين المزاهز[1]

ثم جادله فما كان بأسرع من أن صرعه أمير المؤمنين وجلس على صدره، فلما هَمَّ أن يذبحه، وهو يكبر الله ويحمده قال له عمرو:

يا علي، قد جلست مني مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حليتي. فقال له أمير المؤمنين (ص): هي أهون علي من ذلك، وذبحه وأتى برأسه، وهو يتبختر في مشيته، فقال عمر: ألا ترى يا رسول الله إلى علي، كيف يتيه في مشيته، فقال رسول الله (ص): إنها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام.

ثم نهض رسول الله (ص) إلى أمير المؤمنين (ع) فتلقاه ومسح الغبار عن عينيه، فرمى الرأس بين يديه، فقال رسول الله (ص) ما منعك من سلبه؟ قال: يا رسول الله خفت أن يلقاني بعورته، فقال النبي (ص): إبشر يا علي، فلو وزن اليوم عملك بعمل جميع أُمة محمد لرجح عملك على عملهم. وذلك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا وقد دخله ذل من قتل عمرو، ولم يبق بيت من المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو، فأنشأ أمير المؤمنين يقول:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه
ونصرت رب محمد بصواب
فضربته وتركته متجدلاً
كالنسر فوق دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني
كنت المقطر بزني أثوابي

---

(١) روي ذلك أبو جعفر الإسكافي في نقضه العثمانية للجاحظ أنظر: رسائل الجاحظ ص ٦٤- ٦٥ وأنظر: فضائل الخمسة ج٢ ص٣٢٠- ٣٢٣ فقد روى شيئاً منه عن مستدرك الصحيحين وغيره.

لا تحسُبَنّ الله خــــادال دينـــــه
ونبيـــــه يـــــا معشر الأحزاب[1]

ولما قتل علي (ص) عمراً سمع منادياً ينادي لا يرى شخصه:

قتل علي عمراً، قصم علي ظهراً، أبرم علي أمراً.

ووقعت الجفلة بالمشركين فأنهزموا أجمعين، وتفرقت الأحزاب خائفين مرعوبين.

فروي عن جابر رحمه الله أنه قال: ما شبهت قتل علي عمراً إلا بما قصه الله تعالى في أمر داود وجالوت، حيث يقول «فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت.»[2]

فصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وحكمه

العفاف زينة الفقر، الشكر زينة الغني، الصبر زينة البلاء، التواضع زينة الحسب، الفصاحة زينة الكلام، العدل زينة الأمارة، السكينة زينة العبادة، الحفظ زينة الرواية، خفض الجناح زينة العلم، حسن الأدب زينة العقل، بسط الوجه زينة الحلم، الايثار زينة الزهد، بذل المجهود زينة المعروف، الخشوع زينة الصلاة، ترك ما لا يعنى زينة الورع.

جاء في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

أعبد الناس من أقام الفرائض.

وأزهد الناس من اجتنب المحارم. وأسخى الناس من أدَّى زكاة ما له وأتقى الناس من قال الحق فيما له وعليه.

---

(١) روى هذه الأبيات الطبرسي في إعلام الورى ص١٠٠ - ١٠١ وأنظر: الإرشاد للمفيد ص٤٥ و٤٧.

(٢) أنظر: المصدر ص ١٩٦ والإرشاد ص٤٧.

وأعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه، وكره لهم ما يكره لنفسه.
وأكيس الناس من كان أشد ذكراً للموت.
وأغبط الناس من كان في التراب في أمنٍ من العقاب يرجو الثواب.
وأغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال.
وأعظم الناس خطراً من لم يجعل للدنيا عنده خطراً.
وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه.
وأشجع الناس من غلب هواه.
وأكثر الناس قيمةً أكثرهم علماً.
وأقل الناس قيمةً أقلهم علماً.
وأقل الناس لذة الحسود.
وأقل الناس راحة البخيل.
وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عز وجل عليه.
وأولى الناس بالحق أعلمهم به.
وأقل الناس حرمةً الفاسق.
وأقل الناس وفاءً الملوك.
وأفقر الناس الطَمِع.
وأغنى الناس من لم يكن للحرص أسيراً.
وأكرم الناس أتقاهم.
وأعظم الناس قدراً من ترك المراء وإن كان محقاً.
وأقل الناس مروءةً من كان كاذباً.
وأمقت الناس المتكبر.
وأشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب.
وأسعد الناس من خالط كرام الناس.
وأعقل الناس من أشدهم تهمةً للناس.
وأولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة.
وأبغى الناس من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه.

وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.
وأحق الناس بالذنب المغتاب.
وأذل الناس من أهان الناس.
وأحزم الناس أكظمهم للغيظ.
وأصلح الناس أصلحهم للناس.
وخير الناس من انتفع به الناس.[١]

وروى أن هذه الأبيات لأمير المؤمنين عليه السلام:

تخذتــكم درعــاً حصينــاً لتدفعوا سهام العدى عـني فكنتم نصالها
فـــــإن أنتمُ لم تحفظوا لمودتي ذماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقـف المعذور عني بجانبٍ وخلوا نبــالي للعــدى ونبالهــا

وأنشدني الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أحمد الموسوي:

كنـــا نعظم بالآمـــال بعضـــكمُ ثم انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونـا بشيء غـير واحدةٍ هي الرجاء فسوّى بيننا الياس

وأنشد لإبراهيم بن العباس كتبه إلى محمد بن عبد الملك.[٢]

أخي بيـــــني وبـــين الـــد هر صاحـــب أينـــا غلبـــا
صديقي استقـــام فــإن نبـــا دهر عـــلي نبـــا
وثبــت عــلى الزمـــان بـــه فعـــاد بـــه وقـــد وثبـــا
ولو عـــاد الزمـــان لنـــا لطـــار بـــه أخـــاً حَدِبـــا

---

(١) شطر من هذه الكلمات تجده في نهج البلاغة باب الحكم والأمثال وغيرها وقد رواها الصدوق في الأمالي ص ١٨- ١٩

(٢) هو ابو إسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول توفي سنة (٢٤٢ هـ) شاعر مجيد وأديب كبير من شخصيات الشيعة وله مدائح عدة في الإمام الرضا وأهل البيت واضطر- تقيةً- لأن يحرق كل شعره بهم، وديوان شعره نشره عبد العزيز الميمني ضمن مجموعة الطرائف سنة ١٩٣٧ م وتجد بعض اخباره في عيون أخبار الرضا، ص ١٤٨

وله أيضاً فيه:

كنــت أخي بإخـــاء الزمـــان فلما
جفـــا بنـــا صرت حربـــا عوانـــا
كنـــت أذم إليـــك الزمـــان فأصـ
ـبحـــــت فيـــــك أذم الزمانـــــا
فكنـــــت أعـــدك للنـــا نبـــات
فأصبحـــت أطلـــب منـــك الأمانـــا

وله أيضاً فيه:

قـــدرت فـــلم تضرر عـــدواً بقـــدرةٍ
وسِمـــت بـــه إخوانـــك الـــذل والرغما
وكنـــت مليـــاً بالـــتي قـــد يعافهـــا
من الناس من يأبى الدنية [والذما][1]

مسألة:

إمرأة جامعها ستة نفر في يوم واحد، فوجب على أحدهم القتل، وعلى الثاني الرجم، وعلى الثالث الجلد، وعلى الرابع نصف الجلد، وعلى الخامس التعزير، ولم يجب على السادس شيء.

الجواب:

كان أحدهم ذمياً، فوجب عليه القتل، وكان الآخر محصناً مسلماً فوجب عليه الرجم، وكان الآخر بكراً فوجب عليه الجلد، وكان الآخر عبداً فعليه نصف الجلد، وكان الآخر صبياً، فعليه التعزير، وكان الآخر زوجاً فليس عليه شيء.

---

(١) فى النسخة والوفا.

مسألة أخرى:

رجل له جارية يملك جميعها ليس لأحد معه نصيب، لا يحل له جماعها حتى يجامعها غيره.

جواب:

هذا رجل كان زوجاً لهذه الجارية ثم ابتاعها من سيدها، وقد كان طلقها تطليقين فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره[1].

مسألة أخرى:

إمرأة ولدت على فراش بعلها ببغداد، فلحق نسبه برجل ببصرة، فلزمه دون صاحب الفراش، من غير أن يكون شاهد المرأة أو عرفها، أو عقد عليها، أو وطأها حلالاً أو حراماً؟.

جواب:

هذه امرأة بكر وقعت عليها ثيب في حالٍ قد قامت فيها من جماع زوجها، فحولت نطفة الرجل إلى فرجها فحملت منه، ومضى على ذلك تسعة أشهر، فتزوجت البكر في آخر التاسع برجلٍ ودخلت عليه في ليلة العقد، فولدت على فراشه ولداً تاماً، فأنكر الزوج ذلك وقررها على ضمها فاعترفت بما ذكرناه، وأقرت الفاعلة أيضاً، فلحق الولد بصاحب النطفة على ما حكم به الحسن بن علي عليهما السلام، في أثرٍ مذكور.[2]

---

(١) هذا وارد على رأي الإمامية القائلين بالتحريم بطلقتين للأمة حتى تنكح زوجاً غيره وأن المدار في التحريم هو حال المطلقة الزوجة فإن كانت حرة فلا تحرم إلا بثلاث طلقات وإن كان الزوج عبداً مملوكاً، وإن كانت أمةً فإنها تحرم على تطليقتين وإن كان زوجها المطلق حراً، ويدل عليه صراحةً صحيحة الحلبي عن الصادق (ع) قال: طلاق الحرة إذا كانت تحت العبد ثلاث تطليقات، وطلاق الأمة إذا كانت تحت الحر تطليقتان وبمضمونها صحيحة محمد بن مسلم عن الباقر (ع) وغيرهما. ويرى بعض السنة أن الاعتبار بحال الزوج إن كان حراً فلا تحرم إلا بالثلاث وإن كانت أمة وتحرم باثنتين إذا كانت حرة وهو عبد.

(٢) تجده ذلك في مناقب أبي طالب ج ٣ ص ١٧٧.

فصل في الوعظ والزهد:

قيل لبعضهم: كيف حالك؟

قال: كيف حال من يغنى ببقائه، ويسقم بسلامته، ويؤتى من مأمنه[1].

وقيل لبعض حكماء العرب:

من أنعم الناس عيشاً؟

فقال: من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

قيل: فمن أعلمهم؟

فقال: من صمت فادّكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر.

وروي: ان الله تعالى يقول:

يا ابن آدم، في كل يوم يؤتى رزقك وأنت تحزن، وينقص عمرك وأنت لا تحزن، تطلب ما يطغيك، وعندك ما يكفيك.

وقيل: أغبط الناس من اقتصد فقنع، ومن قنع فك رقبته من عبودية الدنيا وذل المطامع.

وقيل: الفقير من طمع، والغني من قنع.

وقيل: من كان له من نفسه واعظ، كان عليه من الله حافظ.

وقيل: لا يزال العبد بخير ما دام له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همه.

ووعظ رجل فقال:

عباد الله، الحذر الحذر، فوالله لقد ستر، حتى كأنه قد غفر، ولقد أمهل حتى كأنه قد أهمل[2].

---

(١) هذه الكلمة للإمام علي (ع) وهي مذكورة في النهج في القسم الثالث رقم ١١٥.

(٢) هذه الكلمة لأمير المؤمنين علي عليه السلام وهي مذكورة في النهج في الباب الثالث رقم ٢٩.

وقيل: العجب لمن يغفل وهو يعلم أنه لا يُغفل عنه، وأن يهنئه عيشه وهو لا يعلم إلى ماذا يصير أمره.

وقيل: إن للباقي بالفاني معتبر، أو للآخر بالأول مزدجر، فالسعيد لا يركن إلى الخُدَع، ولا يغتر بالطمع.

قال آخر: كيف اذخر عملي ولست أدري متى يحل أجلي؟ أم كيف تشتد حاجتي إلى الدنيا، وليست بداري؟ أم كيف أجمع وفي غيرها قراري، أم كيف لا أمهد لرجعتي قبل انصراف مُدَّتي؟

وقال عمر بن الخطاب لأبي ذر الغفاري: عظني. قال له: ارض بالقوت، وخف الفوت، وأجعل صومك الدنيا، وفطرك الموت.

وقال آخر: عجباً لمن تكتحل عينه برقاد، والموت ضجيعها على وساد.

وقال آخر: نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله.

وقال آخر: عجبي لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، ولا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

وقيل: كيف يصفو عيش من هو عما عليه، مأخوذ بما لديه، محاسب على ما وصل إليه.

وقال آخر: عجباً لمن يقصر عن الواضحة، وهو يعمل بالفاضحة.

وقيل: إذا زللت فارجع، وإذا أذنبت فاقلع، وإذا أسأت فاندم، وإذا ائتمنت فاكتم.

وقال المسيح عليه السلام:

تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل.

وقال عليه السلام: إذا عملت الحسنة فـالْهُ عنها، فإنها عند من لا يضيعها، وإذا عملت السيئة فاجعلها نصب عينيك.

وقيل لحكيم: لِمَ تدمن إمساك العصا، ولست بكبير ولا مريض؟ قال لأعلم أني مسافر.

وقيل: من أحسن عبادة الله في [شبيته][1] لَقّاه الله الحكمة في بلوغه أشده، وذلك قوله سبحانه:

«ولما بلغ أشده أتيناه حكماً وعلماً، وكذلك نجزي المحسنين». سورة يوسف: ٢٢

ولا بأس أن يعذل المقصر المقصر، قال بعضهم: لا يمنعكم معاشر السامعين سوء ما تعلمون منا، أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منّا.

قال الخليل بن أحمد: اعمل بعلمي، ولا يضرك تقصيري. نعوذ بالله أن يكون ما علمنا حجةً علينا لا لنا.

أنظر يا أخي لنفسك، ولا تكن ممن: جمع علم العلماء، وطرائف الحكماء، وجرى في العمل مجرى السفهاء.

حدثني الحسين بن محمد بن علي الصيرفي، قال حدثني أبو بكر محمد بن علي الجعابي، قال حدثنا أبو محمد القاسم بن محمد بن جعفر العلوي، قال حدثني أبي عن أبيه، عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله (ص):

«للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً، لا براءة له إلا الأداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافىء صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر انعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليه، ويعادي عدوه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه».

---

(١) في النسخة مشيته.

ثم قال عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً، يطالبه به يوم القيامة، فيقضي له وعليه...[1].

وحدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي، قال: حدثنا أبو زيد عمرو بن أحمد العسكري بالبصرة، قال: حدثنا أبو أيوب، قال: حدثنا أحمد بن الحجاج، قال: حدثنا ثوبان بن إبراهيم عن مالك بن مسلم عن أبي مريم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) قال:

«تُعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين: يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبدٍ مؤمن إلا من كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى يصطلحا...

مسألة فقهية لأبي النجا:

أتعرف من قد باع من مهر أمه
أباه فوفَّاها بحقِ صداقها
وكانت قديماً أشهدت كل من رأت
بأن أباه قد أَبَتَّ طلاقها

الجواب:

إذا أنت عقدت المسائل ملغزاً
أتتك جوابات تحلُّ وثاقها
تزوج عبد حرةً أنجبت فتىً
وصادفه قول أبان فراقها
فأنكحها مولاه من بعد رغبةٍ
لما قد رأى منها وأسنى صداقها

---

(١) رواه الشهد الثاني زين الدين العاملي الجبعي في آخر رسالته في الغيبة المطبوعة مع كشف الفوائد وحقائق الإيمان وأسرار الصلاة ص ٢٦٠ - ٢٦١ - بسنده عن الكراجكي المؤلف.

فوكلت إبن العبد في قبض مهرها
وأفلس مولاه وأبدى عتاقها
فباع الوكيل العبد بالحكم إذ رأى
هوى أمه في بيعها وارتفاقها

تفسير الجواب:

هذه امرأة حرة، فتزوجت عبداً، فولدت منه إبناً، ثم طلقها العبد، فأنكحها مولاه بصداق مسمى، فوكلت ابنها من العبد بقبض مهرها، وفلَّس المولى، فقضي لها العبد في واجبها، فوكلت ابنها في بيعه لاستيفاء صداقها.

فصل في ذكر مجلس جرى لي ببليس(١):

حضرت في سنة ثماني عشرة وأربعماية مجلساً، فيه جماعة ممن يجب استماع الكلام، ومطلع نفسه فيه إلى السؤال، فسألني أحدهم، فقال: كيف يصح لكم القول بالعدل(٢) والإعتقاد بأن الله تعالى لا يجوز عليه الظلم؟ مع قولكم أنه سبحانه يعذب الكافر في يوم القيامة بنار الأبد، عذاباً متصلاً غير منقطع، وما وجه الحكمة والعدل في ذلك؟

وقد علمنا أن هذا الكافر وقع منه كفرة في مدةٍ متناهية، وأوقات محصورة، وهي ماية سنة في المثل، وأقل وأكثر، فكيف جاز في العدل عذابه أكثر من زمان كفره؟

وألاَّ زعمتم أن عذابه متناهٍ كعمره، ليستمر القول بالعدل، وتزول مناقضتكم لما تنفون عن الله تعالى من الظلم.

---

(١) بلبيس بكسر البائين وسكون اللام وياء وسين مهملة مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، كان يسكنها عبس بن بغيض، فتحت سنة ١٨/١٩هـ على يد عمرو بن العاص، وقال:

جزى عرباً ببلبيس ربها ... بسعاتها تقرر بذاك عيونها
كراكر من قيس بن عيلان ساهراً ... جفون ظباها للعلى وجفونها

كذا ذكره ياقوت في العجم م اس ٤٧٩

(٢) في النسخة بالقول

الجواب:

فقلت له: سألت فافهم الجواب.

اعلم أن الحكمة لما اقتضت الخلق والتكليف، وجب أن يرغب العبد فيما أمره به من الإيمان بغاية الترغيب، ويزجره عما نهى عنه في الكفر بغاية التخويف والترهيب، ليكون ذلك أدعى له إلى فعل المأمور به، وأزجر له عن ارتكاب المنهي عنه.

وليس غاية الترغيب إلا الوعد بالنعيم الدائم المقيم، ولا يكون غاية التخويف والترهيب، إلا التوعيد بالعذاب الخالد الأليم.

وخلف الخبر كذب، والكذب لا يجوز على الحكيم. فبان بهذا الوجه، أن تخليد الكافر في العذاب الدائم، ليس بخارج عن الحكمة، والقول به مناقض للأدلة.

فقال صاحب المجلس:

قد أتيت في جوابك بالصحيح الواضح، غير أنا نظن بقيةً في السؤال، تطلع نفوسنا إلى أن نسمع عنها الجواب، وهي:

أن الحال أفضت إلى ما ينفر[1] منه العقل، وهو أن عذاب أوقات غير محصورة، يكون مستحقاً على ذنوب مدة متناهية محصورة.

فقلت له: أجل، إن الحال قد أفضت إلى أن الهالك على كفره، يعذب بعذاب تقدير زمانه أضعاف زمان عمره، وهذا هو السؤال بعينه. وفي مراعاة ما أجبت به عنه بيان أن العقل لا يشهد به، ولا ينفر منه. على أنني آتي بزيادة في الجواب مقنعة في هذا الباب.

فأقول: إن المعاصي تتعاظم في نفوسنا على قدر نعم المعصي بها. ولذلك عظم عقوق الولد لوالده لعظِم إحسان الوالد عليه، وجلت جنايه العبد على سيده، لجليل إنعام السيد عليه. فلما كانت نعم الله تعالى أعظم قدراً، وأجل أثراً من أن توفى بشكر، أو تحصى بحصر، وهي الغاية في الإنعام، الموافق

---

(١) في النسخة: ينفرد.

لمصالح الأنفس والأجسام، كان المستحق على الكفر به، وحجده إحسانه ونعمه، هو غاية الآلام، وغايتها هو الخلود في النار.

فقال رجل ينتمي إلى الفقه كان حاضراً:

قد أجاب صاحبنا الشافعي عن هذه المسألة بجوابين، هما أجلى وأبين مما ذكرت.

قال له السائل: وما هما؟

قال: أما أحدهما فهو أن الله سبحانه، كما ينعم في القيامة [على] من وقعت منه الطاعة في مدةٍ متناهية بنعيم لا آخر له ولا غاية، وجب قياساً على ذلك أن يعذب من وقعت منه المعصية في زمانٍ محصور متناهٍ، بعذاب دائم غير منقضٍ ولا متناهٍ.

قال: والجواب الآخر، أنه خلد الكفار في النار لعلمه أنهم لو بقوا أبداً لكانوا كفاراً.

فاستحسن السائل هذين الجوابين منه استحساناً مفرطاً، إما لمغايظتي بذلك، أو لمطابقتهما ركالة فهمه.

فقال صاحب المجلس: ما تقول في هذين الجوابين؟

فقلت: اعفني من الكلام، فقد مضى في هذه المسألة ما فيه كفاية.

فأقسم علي وناشدني.

فقلت: إن المعهود من الشافعي والمحفوظ منه كلامه في الفقه وقياسه في الشرع.

أما أصول العبادات والكلام في العقليات فلم تكن من صناعته.

ولو كانت له في ذلك بضاعة لاشتهرت، إذ لم يكن خامل الذكر.

فمن نسب إليه الكلام فيما لا يعلمه على طريق القياس والجواب، فقد سبه، من [حيث] أن فساد هذين الجوابين لا يكاد يخفى عمن له أدنى تحصيل.

أما الأول منهما وهو مماثلته بين إدامة الثواب والعقاب، فإنه خطأ في العقل والقياس، وذلك أن مبتدى النعم المتصلة في تقدير زمانٍ أكثر من زمان

الطاعة، إن لم يكن ما يفعله مستحقاً، كان تفضلاً، ولا يقال للمتفضل المحسن: لِمَ تفضلت وأحسنت، ولا للجواد المنعم، لِمَ جُدت وأنعمت.

وليس كذلك المعذِبُّ على المعصية في تقدير زمانٍ زائدٍ على زمانها، لأن ذلك إن لم يكن مستحقاً كان ظلماً، تعالى الله عن الظلم. فالمطالبة بعلة المماثلة بين الموضعين لازمة، والمسألة مع هذا الجواب عما يوجب التخليد قائمة. والعقلاء مجمعون على أن من أعطى زيداً على فعله أكثر من مقدار أجره، فليس له- قياساً على ذلك- أن يعاقب عمراً على ذنبه بأضعاف ما يجب في جرمه.

وأما جوابه الثاني فهو وإن كان ذكره بعض الناس، لاحقٌ بالأول في السقوط، لأنه لو كان تعذيب الله عز وجل للكافر بعذاب الأبد، إنما هو لأنه علم منه أنه لو بقي أبداً كافراً، لكان إنما عذابه على تقدير كفرٍ لم يفعله. وهذا هو الظلم في الحقيقة، الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه، لأن العبد [لم][1] يفعل الكفر إلا مدة محصورة.

وقد اقتضى هذا الجواب أن تعذيبه الزائد على مدة كفره هو عذاب على ما لم يفعله.

ولو جاز ذلك لجاز أن يبتدىء خلقاً، ثم يعذبه من غير أن يبقيه ويقدره، ويكلفه، إذا علم منه أنه إذا أبقاه، وأقدره، وكلفه، كان كافراً جاحداً لأنعمه.

وقد أجمع أهل العدل على أن ذلك لا يجوز منه سبحانه، وهو كالأول بعينه في العذاب، للعلم بالكفر قبل وجوده، لا على ما فعله وأحدثه.

وقبحها يشهد العقل به ويدل عليه. تعالى الله عن إضافة القبيح إليه.

فَعُلمَ أنه لا يعتبر في الجواب عن هذا السؤال بما أورده هذا الحاكي عن الشافعي، وأن المصير إلى ما قدمناه من الجواب عنه أولى، والحمد لله.

---

(١) في النسخة لا يفعل فآثرنا موضعها لم يفعل لأنه الصحيح في المعنى.

فلما سمع المتفقه طعني فيما أورده، وقولي إن الشافعي ليس من أهل العلم بهذه الصناعة، ولا له فيها بضاعة، ظهرت إمارات الغضب في وجهه، وتعذر عليه نصرة ما جاء به، كما تَعَذَّر عليه وعلى غيره ممن حضر، القدح فيما كنت أجبت به، فتعمد لقطع ما كنا فيه بحديثٍ ابتداه، لا يليق بالمجلس ولا يقتضيه.

فبينا نحن كذلك إذ حضر رجل، كانوا يصفونه بالمعرفة، وينسبونه إلى الأصطلاح بالفلسفة، فلما استقر به المجلس، حكوا له السؤال، وبعض ما جرى فيه من الكلام.

فقال الرجل: هذا سؤال يلزم الكلام فيه، ويجب على من أقر بالشريعة، طلب جواب صحيح عنه، يعتمد عليه.

ثم سألوني الرجوع إلى الكلام والاعادة لما سلف لي من الجواب، ليسمع ذلك الرجل الحاضر.

فقلت له: ألا سألتم الفقيه إعادة ما كان أورده لعله أن يرضى هذا الشيخ إذا سمعه، وعنيت بالفقيه، الحاكي عن الشافعي؟

قالوا: قد تبين لنا فساد ما أجاب به، ولا حاجة بنا إلى إشغال الزمان بإعادته.

قلت: فأنا مجيبكم إلى الكلام، وسالك غير الطريقة الأولى في الجواب، لعل ذلك أن يكون أسرع لزوال اللبس، وأقرب إلى سكون النفس، إن وجدت منكم مع الإستماع حسن إنصاف.

قالوا: نحن مستمعون لك غير جاحدين لحق يظهر في كلامك.

فقلت: كان السؤال عن وجه العدل والحكمة في تعذيب الله عز وجل لمن مات وهو كافر بالعذاب الدائم، الذي تقدير زمانه لا ينحصر، وقد وقع من العبد كفره في مبلغ عمره المتناهي.

والجواب عن ذلك:

أن العذاب المجازى به على المعصية، كائنةً ما كانت، لا كلام بيننا في استحقاقه، وإنا الكلام في اتصاله وانقطاعه.

فلا يخلو المعتبر في ذلك أن يكون هو الزمان الذي وقعت المعصية فيه ومقداره وتناهيه، [أو] المعصية في نفسها وعِظمِها من صغرها.

فلو كانت مدة هي المعتبرة، وكان يجب تناهي العذاب لأجل تناهيها في نفسها، لوجب أن يكون تقدير زمان العقاب عليها بحسبها وقدرها، حتى لا يتجاوزها ولا يزيد عليها.

وهذا حكم يقضي الشاهد بخلافه، ويجمع العقلاء على فساده. فكم قد رأينا فيما بيننا معصية وقعت في مدةٍ قصيرة، كان المستحق من العقاب عليها يحتاج إلى أَضعاف تلك المدة، ورأينا معصيتين، تماثل في القدر زمانها، واختلف زمان العقاب المستحق عليها، كعبد شتم سيده، فاستحق من الأدب على ذلك أضعاف ما يستحقه إذا شتم عبداً مثله، وإن كان زمان الشتمين متماثلاً.

فالمستحق عليها من الأدب والعقاب يقع في زمان غير متماثل، ولو لم يكن في هذا حجة إلا ما نشاهده من هجران الوالد أياماً كثيرة لولده على فعل، وقع في ساعةٍ واحدة منه، مع تصويب كافة العقلاء للوالد في فعله، بل لو لم يكن فيه إلا جواز حبس السيد فيما بيننا لعبده زماناً طويلاً على خطيئته.

وكذلك الأمام العادل لمن يرى من رعيته، لكان فيه كفاية في وضوح الدلالة، وليس يدفع الشاهد إلا مكابر معاند.

فَعُلِمَ مما ذكرناه أنه لايعتبرفيما يستحق على المعصية بقدر زمانها، ولا يجب أن يماثل وقت الجزاء عليها لوقتها.

ووجب أن يكون المرجع إليها نفسها، فبعظمها يعظم المستحق عليها، سواء [أ] طال الزمان أو قصر، اتصل أم انقطع، وجد فكان محققاً، أو عُدِم فكان مقدراً، والحمد لله.

فلما سمع القوم مني هذا الكلام، وتأملوا ما تضمنه من الإفصاح والبيان، وتمثيلي بالمتعارف من الشاهد والعيان، لم يسعهم غير الإقرار للحق والإذعان

والتسليم في جواب السؤال لما أوجبه الدليل والبرهان.

والحمد لله الموفق للصواب، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين.

زيادة في المسألة:

وقد احتج من نصر الجواب الثاني المنسوب إلى الشافعي بقول الله تعالى:

« ولو ردوا لعادوا نهوا عنه » الأنعام: ٢٨.

وجعل ذلك دلالة على أنه عذابهم بعذاب الأبد، لعلمه بذلك من حالهم.

وليس في هذه الآية دلالة على ما ظن، وإنما هي مبنية على باطن أمرهم، ومكذبة لهم فيما يكون في القيامة من قولهم. وما قبل الآية تتضمن وصف ذلك من حالهم، وهو قوله تعالى سبحانه:

« إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا، ونكون من المؤمنين » الأنعام: ٢٧.

فقال الله سبحانه:

« بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون ». الأنعام: ٢٨

هذا: لما تمنوا الرجوع إلى دار التكليف. وليس فيه إخبار بأنه عذبهم لما علمه منهم أن لو أعادهم. حسبنا الله ونعم الوكيل.

فصل:

روي أن إمرأة العزير وقفت على الطريق فمرت بها المواكب حتى مرَّ يوسف (ع)، فقال:

الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، والحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بمعصيته.

وذكروا أن المتمناة ابنة النعمان بن المنذر دخلت على بعض ملوك الوقت، فقالت: إنا كنا ملوك هذا البلد، يجبي إلينا خراجها، ويطيعنا أهلها، فصاح

بنا صائح الدهر، فشق عصانا وفرق ملأنا، وقد أتيتك في هذا اليوم أسألك ما أستعين به على صعوبة الوقت.

فبكى الملك وأمر لها بجائزة حسنة، فلما أخذتها أقبلت بوجهها عليه فقالت: إني محييتـك بتحية كنا نحيّ بها، فأصغى إليها فقالت:

شكرتك يد افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، وقلدك المنن في أعناق الرجال، ولا أزال الله عن عبدٍ نعمةً إلا جعلك السبب لردها، والسلام.

فقال: اكتبوها في ديوان الحكمة .

وروى أن أمير المؤمنين (ع) مرَّ على المدائن فلما رأى آثار كسرى وقرب خرابها، قال رجل ممن معه:

جرت الرياح على رسوم ديارهم　　فكأنهم كانوا على ميعاد.

فقال أمير المؤمنين (ع):

أفلا قلت: «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم، ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» الدخان: ٢٦ - ٢٩ [١]

فصل من المقدمات في صناعة الكلام:

إعلم أن المعدوم عندنا ليس بشيء، ولا يكون الشيء إلا موجوداً.

فإن قال لك قائل: ما الشيء؟ فقل هو الموجود.

فإن قال: ما الموجود؟ فقل: هو الثابت العين في الوجود.

فإن قال: ما المعدوم؟ فقل: هو ما خرج بانتقائه عن كونه شيئاً.

---

(١) رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين ح١ ص١٤٣، وقال (ع) بعد الآيات: إن هؤلاء لم يشكروا النعمة، فسُلبوا دنياهم بالمعصية، إياكم وكفر المنعم، لا يحل بكم النقم.

فإن قالوا: ما القديم؟ فقل: ما ليس لوجوده أول.

فإن قال: ما المحدث؟ فقل: هو الذي لوجود، أول.

فإن قال ما الجسم؟ فقل: هو ذوا الطول والعرض والعمق

فإن قال ما الجوهر؟ فقل: هو أصغر ما تألفت منه الأجسام.

فإن قال ما العرض؟ فقل: هو العارض في المحل بغير بقاء.

واعلم أن الأعراض عندنا لا تبقى وإنما تتجدد حالاً بعد حال، ولا يوجد العرض عندنا إلا وقتاً واحداً، والموجود وقتاً واحداً ليس بباقٍ، ولا يوجد شيء من الأعراض إلا في محل.

فإن قال: ما الباقي؟ فقل هو المستمر الوجود، فإن أحببت فقل: هو ما وجد وقتين فما زاد.

فإن قال: ما الفاني؟ فقل: هو ما انعدمت عينه بعد وجوده، وقد كان يجوز أن لا ينعدم.

فإن قال: ما الإجتماع؟ فقل: هو محاسن جواهر الأجسام.

فإن قال: ما الإفتراق؟ فقل: هو مبانيتها.

فإن قال: ما الحركة؟ فقل هي ما فرغ بالتحرك مكاناً وشغل مكاناً.

فإن قال: ما السكون؟ فقل: هو لبث الجوهر في مكانٍ وقتين فما زاد.

واعلم أن الجوهر إذا لم يكن في مكان فهو ليس بمتحركٍ ولا ساكن.

فإن قال لك: ما المكان؟ فقل: هو ما أحاط بالمتمكن، فمكان الجوهر ستة أمثاله تحيط به من جميع جهاته، وصفحة العالم العليا هي مكان للعالم، ولا مكان لها. ولا يقال في الحقيقة انها متحركة ولا ساكنة، وكذلك المستفتح[1] الوجود من الجواهر عندنا وعند أكثر أهل النظر أنه ليس بمتحرك ولا ساكن.

---

(١) العبارة غير واضحة وقد يراد به ما كان في ابتداء وجوده

فإن قال لك: ما الحي؟ فقل: من صح كونه قادراً.

فإن قال: ما القادر؟ فقل هو من صح منه الفعل.

فإن قال: ما العالم؟ فقل هو من كان فعله محكماً منتظماً.

فإن قال: ما المريد؟ فقل هو عند التحقيق من قطع على أحد الأمرين المعترضين.

فإن قال: أتقولون إن الله مريد؟ فقل: أما على الحقيقة فلا يجوز ذلك عليه، وأما على المجاز فقد يوصف به اتساعاً في الألفاظ، وقد وصف نفسه سبحانه بأنه مريد كما وصف نفسه بأنه غضبان، وراض، ومحب، وكاره. وهذه كلها صفات مجازات.

فإن قال: فما الفائدة في قولكم إن الله تعالى مريد؟ فقل: هو حصول العلم للسامع بأنه سبحانه في أفعاله وأوامره منزه عن صفة الساهي والعابث.

فإن قال: فما إرادته؟ فقل: الجواب عن هذا السؤال على قسمين: أحدهما: ارادته لما يفعله، وهي الفعل المراد نفسه. والآخر: إرادته لما يفعله غيره، وهي أمره بذلك الفعل.

فإن قال: فيا غضبه؟ فقل: وجود عقابه.

فإن قال: فما رضاه؟ فقل: وجود ثوابه.

فإن قال: فما محبته؟ فقل: هي على قسمين: أحدهما أن يحب المؤمن، بمعنى يحسن إليه ويثيبه، والآخر: انه يحب الطاعة، بمعنى يأمر بها.

فإن قال: فما كراهته؟ فقل: هي بالضد من ذلك.

فإن قال: ما المتكلم؟ فقل: هو من فعل كلاماً.

فإن قال: ما الكلام؟ فقل: هو الأصوات المنتظمة إنتظاماً يدل على معانٍ.

فإن قال: ما الخبر؟ فقل: هو ما أمكن فيه الصدق والكذب.

فإن قال: ما الصدق؟ فقل: هو الاخبار عن الشيء بما هو عليه.

فإن قال: ما الكذب؟ فقل: هو الأخبار عن الشيء بخلاف ما هو به.

فإن قال: ما الحق؟ فقل: هو ما عضد[1] معتقده البرهان.

(١) في النسخة ما عقد.

فإن قال ما الباطل؟ فقل: هو ما خذل معتقده البيان.
فإن قال: ما الصحيح؟ فقل: هو الحق بعينه.
فإن قال: ما الفاسد؟ فقل: هو الباطل بعينه.
فإن قال: ما العقل؟ فقل: هو عرض يحل الحي، يفرق بين الحسن والقبح، ويصح بوجوده عليه التكليف.
فإن قال: ما الحسن؟ فقل: هو ما كان للعقول ملائماً.
فإن قال: ما القبح؟ فقل: هو ما كان لها منافراً.
فإن قال: ما العلم؟ فقل: هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس إلى المعتقد.
فإن قال: ما الجهل؟ فقل: هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه.
فإن قال: ما المعرفة؟ فقل: هي العلم بعينه.
فإن قال: ما النظر؟ فقل: هو استعمال العقل في الوصول إلى معرفة الغائب باعتبار دلالة الحاضر.
فإن قال: ما الدليل؟ فقل: هو المعتبر في إدراك ما طلبت النفس إدراكه.
فإن قال: ما الحجة؟ فقل: هي الدليل بعينه.
فإن قال: ما الشبهة؟ فقل: هي ما عرض للنفس عند انصرافها عن طريق الحق من باطل تخيلته حقاً.

فصل: من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه في ذكر العلم

قال أمير المؤمنين عليه السلام:
قيمة كل امرىء ما يحسن.
والناس أبناء ما يحسنون.
العلم وراثة مستفادة.
رأس العلم الرفق، وآفته الخرق.
الجاهل صغير وإن كان شيخاً
والعالم كبير وإن كان حدثا

الأدب يغني من الحسب
من عُرِف بالحكمة لحظته العيون بالوقار
العلم في الصغر كالنقش في الحجر.
زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتُغَرِق.
الآداب تلقيح الأفهام ونتائج الأذهان.
إذا استوضحت فاعزم.
لو سكت من لا يعلم سقط الإختلاف.
من جالس العلماء وقر، ومن خالط الأنذال حقر.
لا تحقرن عبداً آتاه الله علماً، فإن الله تعالى لم يحقره حين آتاه إياه.
المودة أشبك الأنساب، والعلم أشرف الاحساب..
لا كنز أنفع من العلم، ولا قرين سوء شر من الجهل.
العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الانفاق، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه.

عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضة، وهو صلة بين الإخوان، ودال على المروءة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأُنس في الغربة. ومن عرف الحِكَمَ لم يصبر على الأزدياد منها.

الشريف من شرفه علمه.

فصل من كلامه عليه السلام في ذكر الحلم وحسن الخلق:

قال (ع):
الحلم سجية فاضلة.
أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل.
من حلم عن عدوه ظفر به.
شدة الغضب تغير المنطق، وتقطع مادة الحجة، وتفرق الفهم.
لا نسب أنفع من الحلم، ولا حسب أنفع من الأدب، ولا نَصَبَ أوجع من الغضب.

حسن الخلق يبلغ درجة الصائم القائم.
حسن الخلق خير رفيق.
رب عزيز أذله خلقه، وذليل أعزه خلقه.
من لانت كلمة وجبت محبته.
التواضع يكسبك السلامة.
زينة الشريف التواضع.
حسن الأدب ينوب عن الحسب.

تأويل آية:

إن سأل سائل عن قوله سبحانه:

«حتى إذا جاء أمرنا ونار التنور، قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك، إلا من سبق عليه القول منهم، ومن آمن، وما آمن معه إلا قليل» هود: ٤٠ [١]

الجواب:

أما التنور فقد ذكر في معناه وجوه:

أحدها: أن يكون المراد به أن النور برز والضوء ظهر، وأتت إمارات دخول النهار، وتقضي الليل.

وهذا التأويل يروي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وثانيها: أن يكون معنى ذلك، واشتد غضب الله عليهم، وحل وقوع نقمته بهم، فذكر التنور مثلاً، لحصول العذاب، كما تقول العرب: قد حمي الوطيس، إذا اشتدت الحرب، وعظم الخطب، وقد قارب[١][٢]القوم، إذا اشتدت حربهم.

وثالثها: أن يكون أراد بالتنور وجه الأرض، وأن الماء نبع وظهر على وجهها، وقد روي هذا عن أبي عباس، قال: والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً.

---

(١) أنظر الكلام على هذه الآية في أمالي المرتضى م ٢ ص ١٧٠- ١٧٢.
(٢) هنا كلمة مطموسة غير واضحة.

ورابعها: أن يكون هو التنور المعهود للخبز، وكان في دار نوح عليه السلام، فجعل فوران الماء منه علماً له عليه السلام على نزول العذاب.

فأما قوله: من كلٍ زوجين اثنين، فقد قيل: من كل ذكر وأُنثى اثنين، وكل واحدٍ من الذكر والأُنثى زوج.

وقال آخرون: من كل ضربين اثنين.

وقيل أيضاً: من كل لونين اثنين.

ومعنى من سبق عليه القول، أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به. والله أعلم بمراده.

فصل:

من التوراة في ذكر الفلك:

قال الله تعالى لنوح (ع): فاصطنع أنت فلكاً من خشب الصنوبر،واصنع الفلك أَدواراً، وأطِله من داخل وخارج بقارٍ، واجعل طول الفلك ثلاثمائة ذراع، وعرضه خمسين ذراعاً، وارتفاعه ثلاثين ذراعاً، واصطنع في الفلك كوىً، واصطنع بابه من جنبه، واجعل الفلك أثلاثاً: الأسفل والأوسط والأعلى، وسأرسل الطوفان على الأرض، ليفسد كل شيء فيه روح من تحت السماء، وكل ما في الأرض، وأُوثقك بميثاقي، وأدخل الفلك أنت وامرأتك وبنوك، ونساء بنيك معك، ومن كل شيء من اللجم فأَدخل اثنين اثنين معك.

رسالة كتبتها إلى بعض الإخوان تتضمن كلاماً في وجوب الإمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، الهادي إلى الحق بواضح البرهان، وصلواته على سيدنا محمد نبيه المبعوث للبيان، وعلى آله الطاهرين أئمة الأزمان.

قد وقفت ايها الأخ الفاضل أدام الله لك التأييد، وأوصلك بالتوفيق والتسديد، من رغبتك في الإستدلال، وحرصك على دفع شبه أهل الضلال، على ما أوجب عليَّ حسن مساعدتك، وإجابتك عما تلتمسه عند مسائلتك، لما بيننا لما من الإيمان، وما يتعين من ذلك على الإخوان.

قال رسول الله (ص):

«المؤمنون إخوة، تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم»[1].

وقد فهمت السؤال الذي أرسلت، وأنا أُجيب عنه بما يحضرني حسبما طلبت إن شاء الله تعالى، وبه أستعين.

- السؤال-: ذكرت- أيدك الله- أن أخذ المخالفين قال: إذا كان الله تعالى قد قال:

«ما فرطنا في الكتاب من شيء» الانعام: ٣٨.

وكانت الأُمة مجتمعة [على] أن النبي (ص) قد بلغ الرسالة إلى الكافة، وأدَّى فيها الأمانة، وبَيَّن لجميع الأُمة، فما الحاجة بعد ذلك إلى إمام.

- الجواب-

فأقول والله الموفق للصواب:

إن الكتاب، وإن كان الله تعالى لم يفرط فيه من شيء، فإن الأمة لم تستغن به عن تفسير رسول الله (ص) لمعانيه، وتنبيهه لمراد الله تعالى فيه، ولا علمت- بسماع تلاوته- جميع أحكام الله تعالى في شرائعه، بل مفتقرة إلى النبي صلى الله عليه وآله في الإيضاح والبيان، معتمدة عليه في السؤال عن معاني القرآن، وهو نبيها مؤيد معصوم، كامل العلوم، يرشد ضالتها، ويعلم جاهلها، ويجيب سائلها، وينبه غافلها، ويزيل الإختلاف من بينها، ويفقهها[2] على معالم

---

(١) أنظر: تحف العقول ص ٣٠ رواه ما عدا فقرة: (ويجير عليهم أقصاهم)

(٢) هكذا وردت في النسخة، والأولى: ويوقفها على معالم دينها.

دينها، بقول متفق وأمر متسق، وقد علم أن الآتين من أمته بعده مكلفون من شرعه نظيرنا، كأنه من كان في وقته.

فوجب في العدل والحكمة إزاحة علل أهل كل زمان لمن يقوم فيه ذلك المقام، يفزع إليه في النازلات، ويُعَوَّل عليه عند المشكلات، تكون النفس ساكنةً إلى طهارته وعصمته، واثقةً بكمال علمه ووفادته.

وليس ما تضمنه السؤال من أن النبي عليه وآله السلام قد بلغ الكافة، وبيَّن للأمة بقادح في هذا الإستدلال، لأنه عليه السلام بَيَّن لهم شرعه على الحد الذي أمر به، فعيَّن لهم على بعضه بالمشافهة، ودلَّهم منه على الجملة الباقية بالإشارة إلى من خصه الله بعلمها، واستحفظه إياها، وجعله الخليفة على الأُمة بعده في تبليغها حسبما تقتضيه مصالحها في تكليفها، في أخبارٍ تواترت على ألسنتها، منها قوله:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»

فكان ما خصه به من تفصيل ما أجمل لهم، بحسب ما كلفه من التبليغ دونهم.

على أنه لو ماثلهم في جميع التكليف لم يلزم اشتراكهم في الإبانة على التفصيل، وإنما الواجب عموم المكلفين بالتمليك من الأدلة، التي بها تثبت الحجة، وتدرك المحجة.

والإمام عندنا أحد الدليلين على الحق من الشريعة، فإذا أودعه الذي استخلفه عليهم تفصيل كثيرٍ مما أجمل لهم، ونص على عينه، ومكَّن منه فقد أزاح عللهم، ولم يخرج ذلك عن القول بأنه بلّغهم وبيَّن لهم، ولا دَفَع ما قدمناه من وجوب الحاجة إلى إمام يرجعون إليه فيما كلفهم.

ووجه آخر:

لو فرضنا أن النبي (ص) قد شمل جميع الأمة بالإبانة على سبيل التفصيل والجملة، ولم يخص أحداً منهم، ولا أخفى شيئاً عنهم، لم تسقط مع ذلك الإمامة، ولا جاز خلو زمان من حجة- لأن النبي (ص) عَلَّم أهل عصره، وبيَّن

لمن كان في وقته ودهره، وكانت أحوالهم مختلفة، وأسباب إختلافها معهودة معروفة.

فمنهم الذكي الرشيد، والبطيء البليد، والمحب للعلم مع شغله بدنياه، والمنقطع إلى العمل والزهد دون ما سواه، والمتوفر على العلم المواظب عليه، والمتضجر منه الزاهد فيه، والمجتهد في الحفظ مع كثرة نسيانه، والمعتمد يعتبر ما [يسعه][1] إيمانه.

هذا مع عدم العصمة عنهم، وجواز الغلط منهم. ولذلك حصل الإختلاف بينهم، وتضادت رواياتهم، ووقع في الحيرة العظمى من عَوَّل في دينه عليهم.

ولم يكن الله سبحانه ليلجيء عباده بعد نبيه (ص) إلى غير حفظة لما استودعوه، ولا منفقين فيما رووه ونقلوه.

ولسنا نجد عَلَماً على يد بعضهم، يستدل به على أمانتهم وصدقهم، ولا عصمة لهم يؤمن معها من تحريفهم أو غلطهم.

هذا مع ما نعلم من عدمهم[2] أكثر النصوص في الأحكام، والتجائهم بعدمها إلى الإجتهاد والقياس، والأخذ في الدين بالظن والرأي، الموقع بينهم الإختلاف، والمانع من الإتفاق والإئتلاف.

فعلمنا أن الله سبحانه قد أزاح علل المكلفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرين، بالأئمة الراشدين، الهداة المعصومين، الذين أمر الله تعالى بالرد إليهم، والتعويل عليهم فقال عز من قائل:

« ولو ردوه إلى رسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » النساء: ٨٣

وقال النبي (ص):

---

(١) في النسخة يسمعه.

(٢) يريد بقوله (من عدمهم) عدم إحاطتهم بأكثر النصوص.

«إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[1].

ووجه آخر:

ولو قدرنا أن الأمة قد سمعت جميع علوم الشريعة، فوعت وأحاطت بتفاصيل أحكامها، وحفظت واتفقت فيما روت ونقلت، وسقطت مَعَرَّة الإختلاف عنها، واستقر الإتفاق منها. لم يغن ذلك عن الأئمة، ولا جاز عدمهم، على ما يقتضيه العدل والحكمة، لأن الأمة على كل حالٍ يجوز عليها الشك والنسيان، ويمكن منها الجحد والكتمان.

وعلى ذلك حجج يجدها من أنعم الإستدلال، لولا الغرض في ترك الإطالة، لأوردنا طرفاً منها في هذا الجواب.

وللمسؤل أن يبني جوابه على أصله المستقر عنده على قوله، إلى أن ينقل الكلام إليه، فتكون المنازعة فيه.

وإذا جاز على الأمة ما ذكرناه، لم يكن حفظها واتفاقها الذي قدرناه، بمؤمّنٍ من وقوع ما هو جائز عليها، وحصول ما هو متوهم منها.

وفي جواز ذلك مع عدم الأئمة جواز سقوط الحجة عن الأمة، إذ لا معقل يدرك منه الصواب، [يكون][2] حافظاً للشرع والكتاب.

وفي هذا أوضح البيان عن وجوب الحاجة إلى الإمام في كل زمان.

وجه آخر:

ولو أضفنا إلى ما فرضناه وقدرنا، وجوده، وتوهمناه من سماع الأُمة لجميع تفاصيل الأحكام، وإيرادها على إتفاقٍ ونظامٍ، نفي[3] جواز الشك

---

(١) هو مروي على اختلاف في بعض ألفاظ في صحيح الترمذي ومسلم ومستدرك الصحيحين ومسند أحمد وغيرهم الكثيرين أنظر: فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص ٤٣ - ٥٢.

(٢) في النسخة يكن. ولا موجب لجزمها.

(٣) في العبارة قلق واضطراب.

والنسيان عنها، وإحالة الجحد والكتمان منها، لم يغن ذلك عن إمامٍ في كل زمان، حسبما يشهد به الدليل العقلي والبرهان.

وذلك أنا وجدنا اختلاف طبائع الناس وشهواتهم، وتباين هممهم وإرادتهم، وميل جميعهم في الجملة إلى الرياسة، ومحبتهم لنفوذ الأمر، ووجوب الطاعة، ورغبتهم في حرز الأموال، وتطلعهم إلى نيل الآمال، وارتكاب أكثرهم للمقبحات، وتسرعهم إلى ما يقدرون عليه من الشهوات، مع وكيد تحاسدهم، وشديد تظالمهم الذي لا ينكره إلا من دفع الضرورات، وأنكر المشاهدات. يقضي ذلك في العقول عند ذوي التحصيل، بأن صلاح أحوالهم، وانتظام أمورهم، وحراسة أنفسهم وأموالهم، لا يتم إلا بوجود رئيس لهم، ومتقدم عليهم، يكون مسدَّداً فيما يمضيه من تدبيرهم، موفقاً للصواب فيما يراه لهم وعليهم، يقيم بهيبته عوجهم، ويرد بيده أودهم، ويجمع برأيه متشتتهم، ويقهر بتمكنه معاندهم، ويمنع القوي من الضعيف، ويسوسهم بالسوط والسيف.

وفي عدم الرئيس- وهم على ما ذكرناه- فساد أحوالهم، وانقطاع نظامهم، وحصول الهرج منهم، ووجود الحيرة والفتنة بينهم، التي هي سبب تلافهم، وهلاك أنفسهم.

وهذا أمر يعلم العقلاء صحته ممن أقر بالشرع، وجحده، قال الأفوه الأودي وكان جاهلياً:(١)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وإذا كان الله تعالى إنما خلق خلقه لنفعهم، وأحياهم لصلاحهم ومراشدهم، فإنه في عدله وحكمته، ورأفته ورحمته، لم يخلهم في كل زمان من رئيسٍ يكون لهم، وإمام في الدين والدنيا عليهم.

---

(١) هو صلاءة بن عمرو بن مالك الأودي من بني أود، والأفوه لقب كان له، وهو من سادات العرب في الجاهلية المعروفين بالرأي والحزم، ومن الشعراء المشاهير، وكان فارساً مغواراً توفي سنة (٥٧٠م) وفي شعره فكر وحياة.

ووجه آخر:

ولو رفعنا الدليل العقلي الذي أوردناه، مع تسليم ما ذكرناه وقدمناه، لم يدفع ذلك وجوب الحاجة إلى الإمام، ولا جاز معه أن تعدمه الأنام.

لأن الأُمة مجمعة على أن في الشريعة أحكاماً تفتقر إلى من ينفذها، وحدوداً على الجناة تحتاج إلى من يتولاها.

وهي مقرة بأن الله تعالى ما جعل ذلك لها، وأنه لا يسع ولا يجوز إهمالها وتركها. فوجب أن يكون للناس إمام في كل زمان، ينفذ الأحكام، ويقيم حدود شريعة الإسلام، حافظاً للبيضة من الكفار، دافعاً عن المسلمين أسباب الأذى والمضار، يسير فيهم بالهدى والصواب، لا يتعدى ما يوجبه العقل والكتاب.

والحمد لله قد أوردت لك أيها الأخ الفاضل أدام الله توفيقك ما حضرني من وجوه الأجوبة عن هذا السؤال، وفي بعضه كفاية وبيان لمن أراد الإستدلال. والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد رسوله وآله وسلامه وحسبي الله ونعم الوكيل.

فصل من الحديث:

حدثنا الشيخ أبو الحسن بن أحمد بن علي بن شاذان القمي، قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الدين عباس، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي، قال: حدثني علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله (ص):

«من مات وليس له إمام من ولدي مات ميتة جاهلية، يؤخذ بما عمل في الجاهلية والإسلام».(1)

(1) روى هذا الحديث الصدوق القمي في كتاب عيون خبار الرضا ج٢ ص ٥٨. وروى البرقي فى كتاب المحاسن ص ١١٦ - ١١٧ عدة أحاديث بهذا المعنى
وصرح الشهيد الثاني في حقائق الايمان ص ١٦١ بأنه من مشاهير الأحاديث بين السنة والشيعة، وأن السنة أوردوه في كتب أصولهم وفروعهم، وصرح الشيخ المفيد في كتاب بالأفصاح ص٣ بأنه هذا الحديث متواتر، وعن الحميدي أنه أخرجه في الجمع بين الصحصين، وعن الحاكم النيسابوري أنه أخرج عن ابن عمر أنظر: منتخب الأثر ص ١٥ هامش.

وقال حدثني أبو المرجا محمد بن علي بن طالب البلدي، قال: حدثنا أبو القاسم عبد ألواحد بن عبد الله بن يونس الموصلي عن أبي علي محمد بن همام بن سهل عن عبد الله بن جعفر الحميري عن الحسن بن علي بن فضال عن محمد بن أبي عمير عن أبي علي الخراساني عن عبد الكريم بن عبد الله عن مسلمة بن عطا عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال خرج الحسين بن علي صوات الله عليه ذات يوم على أصحابه فقال بعد الحمد لله جل وعز والصلاة على محمد رسوله صلى الله عليه وآله:

«يا أيها الناس ان الله- والله- ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته من سواه».

فقال له رجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، ما معرفة الله.

قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته»

اعلم انه لما كانت معرفة الله وطاعته لا ينفعان من لا يعرف الإمام، ومعرفة الإمام وطاعته لا ينفعان إلا بعد معرفة الله، صح أن يقال إن معرفة الله هي معرفة الإمام وطاعته.

ولما كانت أيضاً المعارف الدينية العقلية والسمعية تحصل من جهة الإمام، وكان الإمام آمراً بذلك، وداعياً إليه صح القول: إن معرفة الإمام وطاعته هي معرفة الله سبحانه. كما نقول في المعرفة بالرسول صلى الله عليه وآله وطاعته إنها معرفة بالله سبحانه، قال الله عز وجل:

(من يطع الرسول فقد أطاع الله).

وما تضمنه قول الحسين عليه السلام من تقدم المعرفة على العبادة، غاية في البيان والتنبيه.

وجاء في الحديث عن طريق العامــة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله (ص) قال:

«من مات وليس في عنقه بيعة الإمام أو ليس في عنقه عهد الإمام مات ميتة جاهلية».

وروى كثير منهم أنه عليه السلام قال:

«من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» .

وهذان الخبران يطابقان المعنى في قول الله تعالى:

«يوم ندعو كل أناس بإمامهم، فمن أُوتي كتابه بيمينه فاؤلئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا». الإسراء: ٧١

وقال الخصوم: إن الإمام ههنا هو الكتاب

قيل لهم: هذا انصراف عن ظاهر القرآن بغير حجة توجب ذلك ولا برهان، لأن ظاهر التلاوة يفيد أن الإمام في الحقيقة هو المقدم في الفعل، المطاع في الأمر والنهي، وليس يوصف بهذا الكتاب، إلا على سبيل الإتساع والمجاز. والمصير إلى الظاهر من حقيقة الكلام أولى، إلا أن يدعو إلى الإنصراف عنه الاضطرار.

وأيضاً فإن أحد الخبرين يتضمن ذكر البيعة والعهد للإمام. ونحن نعلم أنه لا بيعة للكتاب في أعناق الناس، ولا معنى لأن يكون له عهد في الرقاب، نعلِم أن قولكم في الإمام أنه الكتاب غير صواب.

فإن قالوا: ما تنكرون أن يكون الإمام المذكور في الآية هو الرسول عليه السلام؟

قيل لهم: إن الرسول عليه السلام قد فارق الأمة بالوفاة، وفي أَحد الخبرين أنه إمام الزمان. وهذا يقتضي أنه حي ناطق موجود في الزمان. فأَما من مضى بالوفاة فليس يقال أنه إمام إلا على معنى وصفنا للكتاب بأنه إمام.

ولو أن الأمر كما ذكرنا لكان إبراهيم الخليل عليه السلام إمام زماننا، لأننا عاملون بشرعه، متعبدون بدينه، وهذا فاسد إلا على الإستعارة والمجاز.

وظاهر قول النبي (ص): من مات وهو لا يعرف إمام زمانه، يدل على أن لكل زمان إماماً في الحقيقة، يصح أن يتوجه منه الأمر، ويلزم له الإتباع. وهذا واضح لمن طلب الصواب.

ومن ذلك ما أجمع عليه أهل الإسلام من قول النبي عليه الصلاة والسلام:

«إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»(١).

فأخبر أنه ترك في الناس من عترته من لا يفارق الكتاب وجوده وحكمه، وأنه لا يزال وجودهم مقروناً بوجوده.

وفي هذا دليل على أن الزمان لا يخلو من إمام.

ومنه ما اشتهر بين الرواة من قوله:

«في كل خلفٍ من أمتي عدل من أهل بيتي، ينفي عن الدين تحريف الغالين وإنتحال المبطلين، وإن ائمتكم وفودكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم».

فصل: حديث عن الإمام الرضا:

حدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن صالح، قال: حدثنا سعد بن عبد الله(٢)، قال: حدثنا أيوب بن نوح، قال: قال الرضا عليه السلام:

«سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الإستهزاء:
من استغفر بلسانه ولم يندم فقد استهزأ بنفسه.
ومن سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه.
ومن (استحزم)(٣) (استجاب) ولم يحذر فقد استهزأ بنفسه.
ومن سأل الله الجنة ولم يصبر على الشدائد فقد استهزأ بنفسه.
ومن تعوذ بالله من النار ولم يترك الشهوات فقد استهزأ بنفسه.
ومن ذكر الله ولم يستبق إلى لقائه فقد استهزأ بنفسه.

---

(١) قد تقدم ذكر بعض مصادره.

(٢) هو أبو القاسم سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمي من شيوخ الطائفة وفقهائها له مؤلفات كثيرة ذكرها الطوسي في الفهرست ص ١٠١، عده الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الحسن بن علي العسكري توفي سنة ٣٠١/٢٩٩ وعن الخلاصة أنه توفي سنة ٣٠٠هـ.

(٣) هنا كلمة غير واضحة.

مسائل فقهية:

مسألة: إمرأة لها بعل صحيح البعولة، أمكنت نفسها من رجل كامل العقل، رضي الدين، فوطأها من غير حرج في ذلك عليها، والبعل المتقدم ذكره كاره لهذا الأمر كراهة الطباع، راضٍ به من جهة التسليم للشريعة رضا الاختيار.

(جواب): هذه امرأة نعي إليها زوجها، فاعتدت وتزوجت رجلاً مسلماً، فوطأها بالنكاح الشرعي حيث لا حرج عليها في ذلك، لعدم علمها ببقاء زوجها، ثم بلغ زوجها الأول ما فعلته، فكرهه من جهة الطباع، ورضي به من جهة التسليم لشرع الإسلام، فهي حلال للثاني، وإن كانت في عقد الأول إلى أن يحصل لها وللعاقد عليها علم ببقاء زوجها الذي نعي إليها. وهذا الجواب ليس فيه بين الأمة اختلاف.

- مسألة أخرى-

رجلان كانا يمشيان في فسقط على أحدهما جدار فقتله، فحرمت على الآخر في هذه الحال زوجته.

(جواب): هذا رجل زوج عبده ابنته وخرجا يمشيان فسقط على المولى الجدار، فصار العبد بذلك ميراثاً للبنت، فحرمت عليه في الحال، لملكها له، وعلى هذا الإتفاق.

- مسألة أخرى-

رجل غاب عن زوجته ثلاثة أيام فكتبت إليه الزوجة: أن قد تزوجت بعدك، وأنا محتاجة إلى نفقة، فأنفذ إلي ما أُنفقه على نفسي وعلى زوجي، فوجب لها ذلك عليه، ولم يكن له منه مخرج.

(جواب): هذه مسألة في معنى التي قبلها، وهي امرأة زوجها أبوها عبداً له، وأعطاه مالاً وأذن له في السفر والتجارة بالمال، فخرج العبد قبل أن يدخل بالجارية، فلما صار على يومين من بلده مات سيده فصار ميراثاً لابنته التي زوجه بها مولاه، فحرمت بذلك عليه وحلت للأزواج في الحال، إذ كان لا

عدة عليها ، فتزوجت رجلاً ورضيت به ، وأنفذت إلى عبدها بأن يحمل إليها من تركة أبيها التي في يده ما تصرفه فيما تشاء ، فوجب ذلك عليه ، وليس في هذا أيضاً اختلاف.

- أحاديث -

حدثني الشريف أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسين بمصر في شوال سنة سبع وأربعماية ، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن أحمد بن حسن الخلال إجازةً ، قال: حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد العرابي إجازة ، قال: حدثنا الطهراني أبو الحسن وحدثني محمد بن عبيد ، قال: حدثتني أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر ، قال: حدثنا أبو الفضل ، قال: حدثنا أبو علي ابن الحسن الثمار ، قال: حدثنا أبو سعيد كلاهما عن أبي سعيد ، واللفظ لمحمد قال: حدثنا الطهراني ، قال: حدثنا عبد الرزاق قال حدثني معمر ، قال: حدثني الزهري قال:

«أشخصني هشام بن عبد الملك من أرض الحجاز إلى الشام زائراً له ، فسرت فلما أتينا أرض البلقاء ، رأيت حبلاً أسود ، وعليه مكتوب أحرفاً لم أعلم ما هي ، فعجبت من ذلك ، ثم دخلت (عمان) قصبة البلقاء ، فسألت عن رجل يقرأ ما على القبور والجبال ، فأُرشدت إلى شيخ كبير ، فعرفته ما رأيت ، فقال: أُطلب شيئاً أركبه ، فحملته معي على راحلتي وخرجنا إلى الجبل ، ومعي محبرة وبياض ، فلما قرأه قال لي: ما أعجب ما عليه بالعبرانية ، فنقلته إلى العربية فإذا هو:

«باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسانٍ عربي مبين. لا إلّه إلا الله محمد رسول الله وعلي ولي الله صلى الله عليهما ، وكتب موسى بن عمران بيده».

وحدثني الحسين بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي ، وكان مشتهراً بالعناد لآل محمد عليهم السلام ، والمخالفة لهم قال: حدثنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر ابن محمد التميمي المعروف بالجعابي سنة ثلاثماية وخمسين ، قال حدثنا محمد بن محمد ابن سليمان بن الحارث ، قال: حدثنا أحمد بن يزيد بن سليمان ، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال حدثنا أبو مريم عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص):

« الله ربي ولا إمارة لي معه ، وأنا رسول ربي ولا إمارة معي ، وعلي ولي من كنت وليه ولا إمارة معه ».

وسمعت من هذا الراوي المخالف عدة فضائل لآل محمد عليهم السلام ، سَخَّره الله لنقلها فرواها راغماً ، حجةً عليه بها ، قد ذكرت في هذا الكتاب طرفاً منها .

وحدثني أبو الحسن علي بن أحمد اللغوي المعروف بابن زكار بميافاقين في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قال: دخلت على أبي الحسن علي بن السلماني رحمه الله في مرضته التي توفي فيها ، فسألته عن حاله ، فقال الحقتني غشية أغمى علي فيها ، فرأيت مولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قد أخذ بيدي وأنشأ يقول:

طوفـــان آل محمـــدٍ ‏ ‏ في الأرض غرّق جهلهـــا
وسفينهم حمل الـــذي ‏ ‏ طلـب النجـاة وأهلهـا
فاقبـض بكفـك عروةً ‏ ‏ لا تخش منهـا فصلهـا

وحدثني الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن طاهر الحسيني قال حدثني أبي عن أبي الحسن أحمد بن محبوب ، قال: أبا جعفر الطبري يقول: حدثنا هناد بن السري ، قال رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله ، في المنام ، فقال لي: يا هناد قلت: لبيك يا أمير المؤمنين ، قال: أنشدني قول الكميت:

ويوم الـدوح دوح غدير خم ‏ ‏ أبـان لنـا الولايـة لو أطيعـا
ولكن الرجـال تبايعوهـا ‏ ‏ فـلم أر مثلهـا أمراً شنيعـا

قال: فأنشدته ، فقال لي: يا هناد خذ إليك ، فقلت: هات يا سيدي ، فقال عليه السلام:

ولم أر مثـل ذاك اليوم يومـاً ‏ ‏ ولم أر مثلـه حقـاً أُضيعـا

وكثيراً ما أذكر قول شاعر آل محمد (ع): رحمة الله عليه:

جعلوك رابعهم أبـا حسنٍ ‏ ‏ ظلموك حـق السبـق والصهر
وإلى الخلافـة سابقوك ومـا ‏ ‏ سبقوك في أُحـدٍ ولا بـدر

- القرآن يدل على إمامة علي (ع) -

دليل من القرآن على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الله عز وجل:

«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» المائدة: ٥٥

فقوله سبحانه (وليكم) المراد به الأولى بكم والأحق بتدبيركم، والقيم بأموركم، ومن تجب طاعته عليكم.

وهذا هو معنى الإمام بقوله تعالى: (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون).

المراد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، لأنه كان قد تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة.

فتقدير الآية: إنما المدبر لكم والمتولي لأموركم والذي تجب طاعته عليكم، الله ورسوله وعلي بن أبي طالب.

وهذا نص من القرآن على إمامة أمير المؤمنين (ص).

فإن قال لنا المخالفون: دلّوا أولاً على أن قوله (وليكم) المراد به ما ذكرتم.

قلنا: أما كون لفظه ولي مفيدة لما ذكرناه فظاهر ليس فيه إشكال. ألا ترون الناس يقولون: هذا ولي المرأة، يريدون أنه المالك لتدبير أمرها في إنكاحها، والعقد عليها.

ويصفون عصبة المقتول بأنهم أولياء الدم، من حيث كانوا مستحقي المطالبة بالدم.

ويقولون: إن السلطان ولي أمر الرعية أجمعين، وفي من رشحه بخلافته عليهم، إنه ولي عهد المسلمين.

ومن حيث كان إلى الولي النظر والتدبير قال الكميت:

ونعم ولي الأمر بعـــد وليـــه   ومنتجـــع التقوى ونعم المؤدب

وفي الجملة، إن كان من كان والياً الأمر ومتحققاً بتدبيره فهو وليه وأولى به.

هذا هو المعروف في اللغة والشرع معاً، فيثبت به ما ذكرناه.

فإن قال المخالفون: قد سلمنا لكم أن لفظه (وليكم) تحتمل ما ذكرتم، ولكنها قد تحتمل أيضاً سواه، ويجوز أن يكون المراد بها الموالاة في الدين كقوله سبحانه.

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض». التوبة: ٧١

قلنا لهم: إن هذه الآية التي ذكرتموها عامة في سائر المؤمنين. والآية التي احتججنا بها لا يصح أن يكون مراد الله تعالى فيها: (والذين آمنوا) إلا البعض دون الجميع.

وذلك أنه ميز فيها من أراده من المؤمنين بصفة الزكاة في حال الركوع، وجعله ولياً للجميع، وأنتم لا تخالفون في أن هذه الصفة خاصة في بعض المؤمنين، فوجب أن يكون قوله (والذين آمنوا) خاصاً كذلك، لأنها صفة لهم بظاهر التنزيل. ولو أراد بقوله (والذين آمنوا) العموم بجميع المؤمنين لكان الإنسان ولياً لنفسه، وهذا لا معنى له.

وقوله في الآية (إنما) شاهد بصحة التخصيص ونفي المثبت عن من سوى المذكورين. وهي كقول القائل: إنما صديقك من نصحك، فقد نفى (إنما) صحة الصداقة عمن لم ينصح.

وثبوت ما ذكرناه من التخصيص في قوله (والذين آمنوا) يعلم أن المراد بالولي هو المدبر للكافة والإمام القدوة.

ولو كان المراد مجرد الموالاة في الدين لبطل هذا التخصيص.

ووجه آخر: في الجواب عما ذكروه وهو أن الله تعالى ذكر في الآية التي احتججنا بها أمراً، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنى برسوله (ص) ثم ثَلَّثَ بمن ذكره من المؤمنين، فوجب أن لا يصرف قوله (وليكم) إلا إلى ما هو مستحق لله ولرسوله (ص) وإذا كان كذلك فالذي آمنوا المذكورون في الآية يستحقون نظير ذلك

بعينه. وفي هذا دليل على أن المراد تولي التدبير ولزوم الطاعة والأمر والنهي في الجماعة.

فإن قال الخصوم: فإذا ثبت لكم أن مراده سبحانه في الآية التي احتججتم بها من قوله: (والذين آمنوا) هو بعض الأمة دون جميعها، وسلم لكم أيضاً أن معنى قوله (وليكم) فيها هو معنى الإمامة على الصفة التي تذكرونها، فما الدليل على أن أمير المؤمنين (ع) هو المراد في الآية والمقصود فيها؟

قلنا: الدليل على ذلك نقل أصحاب الحديث من الفريقين أنها نزلت في أمير المؤمنين (ع)، وأنه الذي تصدق بخاتمه على السائل، وهو راكع.

ولم يخالف في ذلك إلا من نشأ من متكلمي ذي المتكلمين، وليس الإنكار يقوم مقام الإقرار، ولا مجرد النفي بقادحٍ في الإثبات، وإذا اتفق على رواية شيءٍ جميع أهل النقل كان ذلك حجة على من له تمييز وعقل.

فإن قالوا: كيف يصح في ذلك الإتفاق، وقد روي أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام ؟

قلنا: يصح لنا ذلك من حيث أن هذه رواية واحدٍ، وأخبار الآحاد لا تزيل الإتفاق إلى الحاصل من جملة الأخبار. والقول الشاذ لا يقدح في الإجماع.

على أن الذي روى أنها نزلت في عبد الله بن سلام، قد تصفحت عليه الحال، واشبهت القصة بشهادة نقاد الأخبار.

وذلك أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه، قالت اليهود: والله لاجالسناك، ولا كلمناك، ولنقطعن ولايتنا منك ومن أصحابك، ولا نصرناك. فشكا ذلك إلى رسول الله (ص)، فأنزل الله تعالى:

«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون». المائدة: ٥٥ - ٥٦.

فخرج النبي (ص) إلى المسجد، فقال: هل سأل سائل فأعطاه أحد شيئاً؟ قالوا: نعم، يا رسول الله، رجل كان في المسجد يسأل فأعطاه علي (ع) خاتمه وهو راكع. فقال النبي (ص): الله أكبر، إن الله تعالى قد أنزل فيه قرآناً، وتلا عليهم الآيتين، ثم دعا عبد الله بن سلام وأصحابه، فقال لهم: قد عوضكم الله من اليهود أولياء، وتلا عليهم الآيتين. فظن بعضهم من أهل الغفلة أنها من أجل ذلك نزلت في عبد الله بن سلام.

ومن رجع إلى كتب التفاسير ونقل أصحاب الحديث، علم أن الأمر على ما وصفناه. والكاف والميم في قوله سبحانه (وليكم) خطاب لجميع الأمة حاضرهم وغائبهم وموجودهم ومن سيوجد منهم، وهو كقوله كتب عليكم الصيام. وإنما حضر رسول الله (ص) عبد الله بن سلام وأصحابه وتلا عليهم الآيتين ليبشرهم بدخولهم في جملة من يكون وليهم الله ورسوله وأمير المؤمنين.

فإن قالوا: إن الآية تضمنت ذكر الجميع بقوله: (والذين آمنوا) فكيف يصح لكم إنها في واحد؟

قلنا لهم: قد يعبر بلفظ الجمع تعظيماً لشأنه، ولا ينكر ذلك في اللغة، بل يستعمله أهلها. وقد قال الله عز وجل: (إنا أرسلنا إلى قومه). وقال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له الحافظون): الحجر: ٩.

وقد علمنا أن الله أرسل نوحاً وحده، وانه نزل الذكر وحافظه [وحده] ونظير ذلك كثير.

فإن قالوا: ما أنكرتم ان يكون المراد بقوله (والذين آمنوا) الجميع، ويكون المعنّي فيه أنهم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم في إتيانها خاشعون متواضعون، لا يمنون ولا يتكبرون. ويكون هذا معنى قوله (راكعون) دون ما ذهبتم إليه من أن يؤتي الزكاة في حال ركوعه؟

قلنا: هذا غير صحيح، لأن الركوع لا يفهم في اللغة والشرع معاً إلا أنه التطأطؤ المخصوص دون التواضع والخضوع، وإنما يوصف الخاضع بأنه راكع

على سبيل المجاز والتشبيه، قال الخليل بن أحمد[1] صاحب كتاب العين: كل من ينكب لوجهه فمس ركبته الأرض أولا تمسّها راكع، وأنشد للبيد:

أُخبرٌ أخبار القرون التي مضت
أَدَبُّ كأني كلما قمت راكع

فإن قالوا: فما تنكرون أن يكون قوله: (ويؤتون الزكاة) وصفاً لهم بإتيانهم، وقوله (وهم راكعون) ليس المراد أنهم أعطوها في حال ركعوهم، وإنما معناه أن الركوع من شأنهم وعادتهم، فوصفهم به وإن كانوا يفعلونه في غير وقت إعطاء الزكاة؟

قلنا: أنكرنا ذلك من حيث هو خروج عن ظاهر الكلام المفيد أن الزكاة كان في حال ركوع الصلاة ولا طريق إلى الإنصراف عن الظاهر مع الإختيار.

ومثل ذلك قولهم: فلان (يغشى إخوانه وهو راكب) وظاهر هذا يدل على أنه راكب في حال غشيانه إخوانه، وأن الزمان في الأمرين واحد.

وشيء آخر وهو أنا متى قلنا إن الزكاة لم تكن في حال الركوع، أدّى الكلام إلى التكرار، لأن وصفهم بإقام الصلاة، فإذا وصفهم بعد ذلك بأنهم راكعون، وهو يريد يصلون،تكرر الوصف بالصلاة، لأن الركوع داخل في قوله: (يقيمون الصلاة).

فإن قالوا: فأمير المؤمنين علي (ع) لم يكن يلزمه عندكم زكاة، لأنه لم يكن من ذوي اليسار.

قلنا: لسنا نقطع على أن الزكاة لم تجب عليه قط، وربما ملك أدنى مقادير

---

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ولد في البصرة سنة ١٠٠ وتوفي سنة ١٧٠هـ من أئمة اللغة والنحو والأدب والعروض وأخبار العرب، وهو الذي اخترع علم العروض ووضع قواعده وأحكم أساسه، وأول من صنف في علم اللغة، ووضع كتابه (العين) ولم يتمه، وله مؤلفات منها: كتاب النغم، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل، وكتاب فائدة العين، وكتاب الإيقاع. وكان من الزهاد المنقطعين إلى العلم. وتجد الكلام على كتابه العين في فهرست ابن النديم ص ٦٤.

النصاب، وأتى وقت الزكاة وهو في يديه، وليس يقال لمن ملك مأتي درهم أنه موسر، لا سيما إذا اتفق له وجوب الزكاة منها وقتاً واحداً.

وقد يجوز أيضاً أن تكون هذه الزكاة نافلة، لم تكن عليه واجبة، ولا مانع أن يُسمَّى النفل من الصدقة زكاةً، لأنه متناول للفرض منها، في كونه إعطاءً يستحق عليه النمو في الحسنات والزيادة والمثوبات، فإن كان لفظ الزكاة عندكم مشتركاً في النافلة من الصدقة والفريضة فقد توجه على الظاهر جوابنا. وإن كان عندكم أن المستفاد من ظاهر لفظ الزكاة إنما هو المفترض منها دون ما سواه، كنا ممن صرفنا عن الظاهر ورود الأخبار المجمع عليها بأن الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام. مع أنه لم تلزمه قط فريضة الزكاة، فلا بد من حمل ذلك على زكاة النافلة، وإلا خصصنا الأخبار.

فإن قالوا: فكيف ساغ لأمير المؤمنين (ع) الصدقة في حال الصلاة؟ أوليس ذلك إبطالاً لها وإشتغالاً بغيرها؟

قلنا: أقرب ما في هذا أنا غير عالمين أن جميع الأفعال المنهي عنها اليوم في الصلاة كانت محظورة، كلها في تلك الحال. فيجوز أن يكون هذا قبل ورود حظر هذه الأسباب.

وقد قيل أن الكلام قد كان مباحاً في الصلاة ونهي عنه بعد ذلك. ولو لم يكن الأمر كذلك لم يلزم ما ذكرتموه في السؤال، لأن الذي فعله أمير المؤمنين (ع) لم يكن شاغلاً عن القيام بحدود الصلاة، بل جاز أن يكون أشار إلى السائل إشارة خفية لا يقطع بمثلها الصلاة، فهم منها مراده، وأخذ الخاتم من يده.

فكيف تنكرون هذا، وأنتم ترون اتفاق الفقهاء على أن يسير العمل في الصلاة لا يقطعها على حال.

والذي يدل على أنه (ع) لم يشتغل بالإعطاء عن استيفاء شرائط الصلاة نزول المدح له في القرآن، والإضافة إلى المدح تقديمه ولياً للأنام.

فان قالوا: فإذا ثبت أنه بهذه الآية أمام للخلق، فما تنكرون أن يكون المراد استحقاقه لذلك بعد عثمان؟

قلنا: أنكرنا ذلك من قِبلَ ان كل من ثبت له الإمامة بها يوجبها بعد رسول الله (ص) في كل حال، ولا يخص بذلك حالاً دون حال.

وأنكرنا ذلك من قِبلَ أن الله تعالى ولينا ورسوله (ص) في كل حال، وقد عطف ذكر أمير المؤمنين على اسم رسول الله عليهما السلام، فوجب أن يستحق ذلك أيضاً في كل حال، كما استحقه الرسول عليه السلام من غير إنفصال.

ولولا قيام الدلالة على أنه ليس في وقت رسول الله (ص) قدوة للخلق سواه ولا إمام، لكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه، يستحق هذا المقام مذ نزلت الآية وما اتصل من غير فاصلة بولاية ولا اهمال.

والحمد لله الهادي إلى الحق بواضح البرهان.

فصل من مستطرفات مسائل الفقه في الإنسان

مسألة: إثنان تزوج كل واحد منهما أم الآخر فرزقا منهما ولدين، ما قرابة بين الولدين؟

جواب: كل منهما واحد منهما عم الآخر، لأنه أخو أبيه من أمه.

مسألة: إثنان تزوج كل واحد منهما بنت الآخر فرزقا ولدين، ما قرابة الولدين؟

جواب: إن كل واحد منهما خال الآخر، لأنه اخو أمه، وهو أيضاً ابن أخته.

مسألة: إثنان تزوج كل واحد منهما أخت الآخر ورزقا منهما ولدين، ما قرابة بين الولدين؟

جواب: إن كل واحد منها ابن عمة الآخر وابن خاله.

مسألة: رجلان تزوج كل واحد منها جدة الآخر لأبيه، فرزقا منهما ولدين، ما قرابة ما بين الولدين وبين الرجلين وما قرابة ما بين الولدين؟

جواب: إن كل واحد من الولدين عم الرجل المتزوج أم أبيه، لأن الرجل

ابن جدته لأبيه، والولد أخو أبيه وكل واحد من الولدين ابن أخي صاحبه وعم أبيه.

مسألة: رجلان تزوج كل واحد منهما جدة الآخر لأمه فرزقا منهما ولدين، ما قرابة ما بين الولدين والرجلين، وما قرابة ما بين الولدين؟

جواب: إن كل واحد من الولدين خال الرجل المتزوج أم أمه، لأن الرجل ابن جدته لأمه، والولد أخو أمه من أمها، وكل واحد من الولدين ابن أخت صاحبه وخال أبيه.

أنشدنا الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي رحمه الله:

قد آن أن يبلغك الصوت ... أنائم قلبك أم ميت
يا باني البيت على غيره ... أمامك المنزل والبيت
وإنما الدنيا على طولها ... ثنية مطلعها الموت

وله أيضاً:

إذا مضى يوم على هدنة ... وأنت في شك من النائبات
فعاجل الفرصة قبل الردى ... وبادر الليلة قبل البيات
واسبق وفي حبلك أنشوطة ... ضغط الليالي بيد الحادثات

لغيره:

أشح على ملكي وأحميه دائباً ... وسوف برغم الأنف أخرج عن ملكي
فما لي لا أبكي لنفسي وهلكها ... إذا كنت قد وطنت نفسي على الهلك
فإن كنت لا أدري متى أنا ميت ... فلست من الموت المنغص في شك
وموضع قبري أن أكن قد جهلته ... فلي خبرة بالعرض والطول والسمك
كأني أرى نفسي وحولي جماعة ... يكفنني بعض وبعضهم يبكي

وذكروا أن أحد الأئمة صلوات الله عليهم، استدعاه السلطان في ذلك الزمان، وأظن أن الإمام كان محمد بن علي الرضا عليهم السلام[1]، وإن المستدعي كان

(١) كان الإمام الذي وقعت معه هذه القصة هو الإمام علي بن محمد الهادي (ع) كما في تذكرة الخواص ص ٣٦١ وفي مروج الذهب ج ٤ ص ٩٤.

المتوكل، قالوا: فلما دخل إليه وجده في قبةٍ مزينة في وسط بستان، وبيده كأس فيها خمر، فقربه وهم أن يناوله الكأس فامتنع الإمام عليه السلام، فقال: إنا أهل بيت ما خامرت لحومنا ودماءنا ساعة قط، قال: فقال أنشدني شعراً فأنشده الإمام عليه السلام:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍ من معاقلهم
فأسكنوا جفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا
أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبةً
من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود تنتقل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

قال: فضرب المتوكل بالكأس من الأرض وتنغص عيشه في ذلك اليوم.(١)

لمحمود بن الحسن الوراق:(٢)

مضى أمسك الماضي شهيداً مُعدّلاً
وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءةً
افتن باحسانٍ وأنت حميد

---

(١) أنظر: مروج الذهب ج٤ ص ٩٣ - ٩٤ ووفيات الأعيان لابن خلكان وتذكرة الخواص ص ٣٦١.

(٢) من شعراء الدولة العباسية، أكثر شعره في المواعظ والحكم روى عنه ابن أبي الدنيا، وتوفي الوراق في خلافة المعتصم العباسي في حدود سنة ٢٣٠هـ.

فيومك إن أعقبته عاد نفعه
عليك وماضي الأمس ليس يعود
ولا تُرج فعل الخير يوماً إلى غدٍ
لعل غداً يأتي وأنت فقيد

وله أيضاً:

أعارك ماله لتقوم فيه
بطاعته وتعرف فضل حقه
فلم تشكره نعمته ولكن
قويت على معاصيه برزقه
تبارزه بها أبداً وعوداً
وتستخفي بها عن كل خلقه

وله أيضاً:

يا ناظراً يرنو بعيني راقدٍ ... ومشاهدٍ للأمر غير مشاهد
منيت نفسك ضلة وأبحتها ... طرق الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... درك الجنان وفوز ما للعابد
ونسيت أن الله أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

ولأبي العتاهية اسماعيل الجرار[1]:

قنّع النفس بالكفاف وإلا ... طلبت منك فوق ما يكفيها
ليس فيما مضى ولا في الذي ... لم يأتِ من لذة لمستحليها
إنما أنت طول عمرك ما عمرت ... والساعة التي أنت فيها

وله أيضاً في الدنيا:

يا خاطب الدنيا إلى نفسها ... تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غرارة ... قريبة العرس من المأتم

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني من مشاهير الشعراء في طبقة بشار وأبي نؤاس وأكثر شعره في المواعظ والزهديات ولد سنة ١٣٠هـ بعين الثمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة المنورة ونشأ بالكوفة وسكن بغداد، وكان يبيع الجرار وتوفي سنة ٢١١هـ في بغداد.

المسيح يخاطب الدنيا

قال الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (رض): حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري عن النجري باسناده رفعه إلى أبي شهاب قال:

بلغني أن عيسى بن مريم عليه السلام قال للدنيا: يا إمرأة كم لك من زوج؟ قالت كثير، قال: فكلهم طلقك؟ فقالت: لا، بل كلهم قتلت، قال: أهؤلاء الباقون لا يعتبرون باخوانهم الماضين ،كيف تورد بينهم المهالك واحداً واحداً، فيكونوا منك على حذر؟ قالت: لا.

وأُنشد: لبعضهم في الدنيا:

مزمومـــــة بالهم مخطومـــــة سم زعـــــاق در أخلافهـــــا
ولم تزل تقتـــــل ألافهـــــا أُفٍ لقتالـــــة ألافهـــــا

فصل من كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا

قال عليه السلام:

أنا زعيم بثلاث لمن أكب على الدنيا! بفقر لا غناء له، وبشغل لا فراغ له، وبهمٍ وحزن لا انقطاع له.

وقال عليه السلام:

«كونوا في الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعوِّدوا [قلوبكم](١) الرقة، وأكثروا التفكر والبكاء، ولا تختلفن بكم الأهواء. تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون».

---

(١) في النسخة بيوتكم.

فصل من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه في هذا المعنى:

«من أصبح حزيناً على الدنيا، فقد أصبح ساخطاً على ربه تعالى، ومن كانت الدنيا أكبر همه طال شقاؤه وغمه. الدنيا لمن تركها، والآخرة لمن طلبها.

الزاهد في الدنيا كلما ازدادت له تحلياً ازداد عنها تخلياً. إذا طلبت شيئاً من الدنيا فزوي عنك فاذكر ما خصك الله به من دينك، وصرفه عن غيرك، فإن ذلك أحرى أن تستحق نفسك بما فاتك.

ومن بديع كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي حفظ عنه.

إن رجلاً قطع عليه خطبته وقال له: صف لنا الدنيا. فقال:

أولها عناء، وآخرها بلاء، [في] حلالها حساب، و[في] حرامها عقاب. من صح فيها أمن، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن سعى لها[1] فأتته، ومن قعد عنها واتته، ومن نظر إليها ألهته، ومن تهاون بها نصرته.

ثم عاد إلى مكانه من خطبته صلى الله عليه وآله.

وهذه أعلى الرتب درجة في حضور الخاطب.

فصل:

من الكلام في تثبيت أمامة صاحب الزمان المهدي بن الحسن وامامة آبائه عليه وعليهم السلام.

أعلم - أيدك الله - إن الدليل على صحة امامته (ص) وإثبات غيبته ظاهر لمن نظره، قاطع لعذر من اعتبره، بين لمن تأمله، قريب لمن تناوله.

وهو مبني على أصلين، يشهد العقل بهما ويدل عليهما. أحدهما وجوب الامام في كل زمان، والآخر كونه معصوماً من السهو والخطأ والنسيان.

---

(١) في النسخة: (ساعاها).

فإذا علم المتأمل صحة هذين الأصلين وثبتا عنده بواضح الدليل ثبت له عقيبهما صحة الإمامة والغيبة لمن ذكرنا (ص)، ولم يحتج إلى تكرار رواية ولا تطويل،وذلك للظاهر المعلوم الذي لا لبس فيه، من حال من يُدَّعى لهم الامامة اليوم، سوى من أشرنا إليه، وتعريهم أجمعين عن استحقاق العصمة، ومماثلتهم في جواز الخطأ عليهم لسائر الأمة.

فعلم بذلك صحة إمامة صاحبنا صلوات الله عليه، وثبت لعدم ظهور غيبته حسبما ذهبنا إليه.

ولولا أنه الامام دون العالمين لبطل ما شهد به العقل من صحة الأصلين، وبطلانهما يستحيل مع قيام الدليل.

وهذه حجة بعيدة عن المعارضات، سالمة من دخول الشبهات، [سهلة][(١)] المرام، قريبة من الأفهام، وبها يستمر لك الاستدلال على نظام، في تثبيت إمامة. جميع ساداتنا عليهم السلام، لأن وجوب الامامة وثبوت العصمة لرئيس الامة مع ما علمناه من تعري الكافة من هذه الخصلة سائق إلى الإقرار بإمامة الأثني عشر صلوات الله عليهم، ومانع للعاقل من الإنصراف عنهم، والشك فيهم، ولم يبق بعدها أكثر من إيراد الدليل على صحة ما ذكرناه من الأصلين، وقد وجب انحسام مادة الخلاف ممن له عقل وانصاف.

دليل على وجوب الإمامة

أما الدليل أنه لا بد للناس من إمام في كل زمان فمختصره أنا نعلم علماً ليس للشك فيه مجال أن وجود الرئيس في الرعية، المطاع ذي الهيبة مقدماً ومثقفاً ومذكراً وموقفاً،[(٢)] أردع لها من القبيح، وأدعى إلى فعل الجميل،

---

(١) في النسخة (سهل).

(٢) كذا في النسخة.ولعله: معرّفاً

وأكف لأيدي الظالمين، وأحرس لأنفس [المردوعين][1] ووجود الهرج بينهم ووقع الفتن منهم.

والعلم بما ذكرناه في ذلك مبني على الضرورات، والتنبيه عليه مع ظهوره يغني عن الإطالة والزيادات. وقد أتقن الكلام في هذه المسألة مشايخنا رضي الله عنهم، ولم يَدَّعوا للخصوم شبهة تستغرب منهم.

دليل على وجوب العصمة

وأما الدليل على وجوب عصمة الإمام فهو ان علة الحاجة إليه أن يكون لطفاً للرعية في الصلاح ليصدها عن ارتكاب القبائح والفساد، ويردها إلى فعل الواجب والسداد، حسبما تقدم به الذكر في وجوب الحاجة إليه في كل عصر. وهذا يقتضي أن لا تكون علة الحاجة إليه موجودة فيه، فإنه متى جاز منه القبيح وفعل غير الجميل كان فقيراً محتاجاً إلى إمام متقدم عليه، ويمنعه مما هو جائز منه، ويأخذ على يديه. ويكون الكلام في إمامته كالكلام فيه، حتى يؤدي ذلك إلى المحال من وجود أئمة لا يتناهون، أو إلى الواجب من وجود إمام معصوم. فعلم أن علة الحاجة إليه غير موجودة فيه والحمدلله.

دليل آخر على ثبوت عصمة الإمام

وما يعلم به ثبوت العصمة للأئمة أن الإمام قدوة في الدنيا والدين، واتباعه مفترض من رب العالمين، فوجب أن لا يجوز الخطأ والزلل عليه، وإلا كان الله تعالى قد أمر باتباع من يعصيه، ولولا استحقاقه العصمة لكان إذا ارتكب المعصية [يتضاد مع] التكليف على الأمة، وتصير الطاعة منها معصية، والمعصية طاعة، وذلك أنها مأمورة باتباعه والاقتداء به، فمتى اتبعته في المعصية امتثالاً للمأمور من الاقتداء لكانت من حيث الطاعة عاصية لله سبحانه، ومتى خالفته ولم تقتد به طلباً لطاعة الله تعالى كانت أيضاً عاصية لمخالفتها لمن أُمرت بالاقتداء به واتباعه. وفي استحالة جميع ذلك دلالة على عصمته.

---

(١) في النسخة الرادعين.

وليس لأحدٍ أن يقول إن الاقتداء بالإمام واجب على الرعية فيما علمت صوابه فيه. لأن هذا القول يخرجها من أن تكون مقتديه به، إذ كانت إنما عرفت الصواب بغيره لا بقوله وبفعله. فهي إذا عملت[1] بما عمل لمعرفتها بصوابه فيه إنما وافقته في الحقيقة ولم تقتد به وتتبعه.

ولو جاز أن يكون إماماً لها في شيء عرفت صوابه بغيره لكانت اليهود أئمة للأمة في الإقرار بموسى عليه السلام، لموافقتها لهم في العلم بصحة نبوته.

وهذا يدل العاقل على أن القدوة المتبع هو من عرف الحق به وبقوله وفعله. فقد بان واتضح ثبوت الأصلين من وجوب الإمامة والعصمة، وبثبوتها قد انتظم لنا ما قدمناه من الدليل. وفي ذلك كفاية وغنىً عن التطويل، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد رسوله وآله الطاهرين.

حدثني القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم السلمي الحراني قال أخبرني أبو جعفر عمر بن علي العتكي قال أخبرني أحمد بن محمد بن صفوة قال حدثني الحسن بن علي بن محمد العلوي قال حدثني الحسن بن حمزة النوفلي قال أخبرني عمي عن أبيه عن جده قال أخبرني الحسن بن علي قال أخبرتني فاطمة ابنة رسول الله (ص) عنه (ص) قال أخبرني عن كاتبي عليٍ انهما لم يكتبا على عليٍ ذنباً مذ صحباه.

وحدثني السلمي عن العتكي قال حدثني سعيد بن محمد الحضرمي قال حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الصدفي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن قال حدثنا أحمد بن إبراهيم العوفي عن أحمد بن أبي الحكم البراجمي عن شريك بن عبدالله عن أبي الوفا عن محمد بن ياسر بن عمار بن ياسر عن أبيه عمار قال سمعت النبي (ص) يقول: أن حافظي علي يفتخران على سائر الحفظة بكونهما مع علي (ع). ذلك أنهما لم يصعدا إلى الله عز وجل بشيء منه فيسخطه.

---

(١) في النسخة علمت.

فصل من كلام أمير المؤمنين (ع) وحكمه

قال علي (ع):

لم يمت من ترك أفعالاً يقتدي بها من الخير.

من نشر حكمة ذُكر بها.

موت الأبرار راحة لأنفسهم، وموت الفجار راحة للعالم.

من كتم علماً فكأنه جاهل.

الجواد من بذل ما يضن بمثله.

من كرم أصله حسن فعله.

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق (ع) أنه تكلم أمير المؤمنين صلوات الله عليه بأربع وعشرين كلمة، قيمة كل كلمة وزن السموات والأرض، قال:

رحم الله امرءاً سمع فوعى ودُعي إلى رشاد فدنا. وأخذ بحجزة هادٍ فنجا، راقب ربه، وخاف ذنبه، قدَّم خالصاً، وعمل صالحاً، اكتسب مذخوراً، واجتنب محظوراً، رمى غرضاً، وأخذ عوضاً، كابر هواه، وكذب مناه، حذر أملاً، ورتب عملاً، جعل الصبر رغبة حياته، والتقى عدة وفاته، يظهر دون ما يكتم، ويكتفي بأقل مما يعلم، لزم الطريقة الغراء، والمحجة البيضاء، اغتنم المهل وبادر الأجل، وتزود من العمل.»

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

أزرى بنفسه من استشعر الطمع.

من أهوى إلى متفاوت الأمور خذلته الرغبة.

أشرف الغنى ترك المنى.

من ترك الشهوات كان حراً.

الحرص مفتاح التعب، وداعٍ إلى التقحم في الذنوب، والشره جامع لمساوىء العيوب. الحرص علامة الفقر.

من أطلق طرفه كثر أسفه.

قلما تصدقك الأمنية. رب طمع كاذب، وأملٍ خائب.

من لجأ إلى الرجاء سقطت كرامته.

همة الزاهد مخالفة الهوى، والسُلوُّ عن الشهوات.

ما هدم الدين مثل البدع، ولا أفسد الرجال مثل الطمع. إياك والأماني فإنها بضائع النوكى.

لن يكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

من تيقن أن الله سبحانه يراه وهو يعمل بمعاصيه فقد جعله أهون الناظرين.

مواعظ

وجاء في الحديث، أن رسول الله (ص) قال:

« ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ».

أخبرني شيخنا المفيد رضي الله عنه ونقلت من خطه قال حدثني أبو حفص بن عمر بن محمد بن علي المعروف بابن الزيات، قال حدثنا علي بن مهرويه القزويني، قال حدثنا داود بن سليمان الغازي، قال حدثنا الرضا علي بن موسى، قال حدثني أبي موسى بن جعفر، قال حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال حدثني أبي محمد بن علي الباقر، قال حدثني أبي علي بن الحسين زين العابدين، قال حدثني أبي الحسين بن علي الشهيد، قال حدثني أبي أمير المؤمنين، قال حدثني رسول الله (ص) قال:

« يقول الله عز وجل يا ابن آدم، ما أنصفتني، أتحبب إليك بالنعم، وتبغّض إلي بالمعاصي، خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد، وفي كل يوم يأتيني عنك ملك كريم بعمل غير صالح.

يا ابن آدم: لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقته..

وأخبرني شيخنا المفيد رضي الله عنه قال حدثني جعفر بن محمد بن قولويه، قال: حدثنا أبي وأخي علي، قالا حدثنا سعد بن عبدالله عن يعقوب عن يزيد عن محمد بن زياد، عن جعفر بن قرظ، عن أبي عبدالله (ع) قال:

«من وعظه الله بخير، فقبل بالبشرى فله البشرى، ومن له يقبل فالنار له أحرى».

وأخبرني شيخنا أيضاً عن جعفر بن محمد بن قولويه، قال حدثني جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبيه، عن الحسين بن خالد، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله (ع) قال حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال:

«من أيقن أنه يفارق الأحباب، ويسكن التراب، ويواجه الحساب، ويستغني عما خلّف، ويفتقر إلى ما قدم كان حرياً بقصر الأمل وطول العمل».

فصل: من كلام رسول الله (ص):

جاء في الحديث عن الرسول عليه وآله السلام أنه قال:

«من أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله عز وجل».

وقال:

«من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا، ومن رضي من الدنيا بما يكفيه كان أيسر ما فيها يكفيه».

وقال:

«الدنيا خضرة حلوة، والله مستعملكم فيها، فانظروا كيف تعملون».

وقال:

«من ترك معصية الله مخافة من الله أرضاه يوم القيامة، ومن مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الإيمان.».

وقال:

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنك لن تجد فقد شيء تركته لله عز وجل».

وقال:

«باب التوبة مفتوح لمن أرادها، فتوبوا إلى الله توبة نصوحا».

وقال:

«بادروا بعمل الخير قبل أن تشتغلوا عنه، واحذروا الذنوب، فإن العبد يذنب الذنب فيحبس عنه الرزق».

حدثني الشيخ أبو المرجا محمد بن علي بن أبي طالب البلدي بالقاهرة، قال حدثنا استاذي أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني رحمه الله، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي عن شيوخه الأربعين، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن النعمان الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال: قال جدي رسول الله (ص):

«أيها الناس: حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة. ألا، وقد بينها الله عز وجل في الكتاب، وبينتها لكم في سيرتي وسنتي. وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي، من تركها صلح له أمر دينه، وصلحت له مروءته وعرضه.

ومن تلبس بها ووقع فيها واتبعها، كان كمن رعى غنماً قرب الحمى، ومن رعى ماشيته قرب لحمى نازعته إلى أن يرعاها في الحمى.

ألا وان لكل ملك حمىً، ألا وأن حمى الله عز وجل محارمه، فتوقوا حمى الله ومحارمه.

ألا وأن أذى المؤمن من أعظم سبب سلب الإيمان.

ألا ومن أحب في الله جل وعز، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك وتعالى.

إلا وأن المؤمنين إذا تحابا في الله جل وعز، وتصافيا في الله، كانا كالجسد الواحد، إذا اشتكى [أحد] هما من جسده موضعاً، وجد الآخر ألم ذلك الموضع».

[قصة وقعت للمؤلف]

ومن عجيب ما رأيت واتفق لي، أنني توجهت يوماً لبعض أشغالي. وذلك بالقاهرة في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وأربعمائة، فصحبني في الطريق رجل كنت أعرفه بطلب العلم وكتب الحديث، فمررنا في بعض الأسواق بغلامٍ حدث، فنظر إليه صاحبي نظراً استربت منه، ثم انقطع مني ومال إليه وحادثه، فالتفت انتظاراً له، فرأيته يضاحكه، فلما لحق بي عذلته على ذلك، وقلت له: لا يليق هذا بك، فما كان بأسرع من أن وجدنا بين أرجلنا في الأرض ورقة مرمية، فرفعتها لئلا يكون فيها اسم الله تعالى، فوجدتها قديمة، فيها خط رقيق، قد اندرس بعضه، وكأنها مقطوعة من كتاب، فتأملتها فإذا فيها حديث ذهب أوله وهذا نسخته:

قال أني أخوك في الإسلام، ووزيرك في الإيمان، وقد رأيتك على أمرٍ لم يسعني أن أسكت فيه عنك، ولست أقبل فيه العذر فيك، قال وما هو حتى أرجع عنه وأتوب إلى الله تعالى منه، قال رأيتك تضاحك حدثاً غراً جاهلاً بأمور الله وما يجب من حدود الله، وأنت رجل قد رفع الله قدرك بما تطلب من العلم، وإنما أنت بمنزلة رجل من الصدِّيقين، لأنك تقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الله تعالى، فيسمعه الناس منك فيكتبوه عنك، ويتخذونه ديناً يعولون عليه، وحكماً ينتهون إليه، وإنما أنهاك أن تعود لمثل الذي كنت عليه، فإني أخاف عليك غضب من يأخذ العارفين قبل الجاهلين، ويعذب فساق حملة القرآن قبل الكافرين.

فما رأيت حالاً أعجب من حالنا، ولا عظةً أبلغ مما اتفق لنا. ولما وقف عليه صاحبي اضطرب لها اضطراباً بان فيها أثر لطف الله تعالى لنا. وحدثني بعد ذلك أنه أنزجر عن تفريطات كانت تقع منه في الدين والدنيا، والحمد لله.

سؤال عن آية

« وإن أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدمير »الإسراء: ١٦

فقال: أخبروني ما معنى هذا الإهلاك الذي يريده الله تعالى، وكيف قدم اهلاكهم على أمره لهم؟ ومتى يستمر مع القول بالعدل أن يريد إهلاك قوم قبل أن يأمرهم فيعصوا؟ وما معنى قوله (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها؟) ففي هذا على من لم يفهم معناه شبهة والله لا يأمر إلا بالعدل.

الجواب:

قيل له في هذه الآية وجوه:

أحدها أن من الإهلاك ما يكون حسناً، وهو أن يكون مستحقاً أو إمتحاناً، وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً أو عبثاً.

وقد ثبت لنا بالدليل الواضح عدل الله تعالى وحكمته، وأنه لا يريد الظلم، ولا يقع منه العبث[1] فعلمنا أنه لا يريد إلا الإهلاك الحسن.

وأما قوله (أمرنا مترفيها) فالمأمور به هنا محذوف، وهو الطاعة. وتقدير الكلام: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا وخالفوا، ويجري هذا مجرى قول القائل: أمرتك فعصيتني، فحذف ذكر ما أمره به، لفهم السامع له. وهذا معروف من كلام العرب، والأمثلة فيه كثيرة.

وأما مترفوها فهم الذين يعملون في الدنيا في غير طاعة الله تبارك وتعالى.

---

(١) في الأصل البعث وهو غلط من الناسخ.

وأما تقدم إرادة الإهلاك على الأمر، فيتحمل أن يكون ذلك بعد أمرٍ متقدم لم يذكر، استحق المأمورون بمخالفتهم له العذاب، فلما أراد الله تعالى إهلاكهم أعذر إليهم بأمر ثانٍ على وجه التكرير والتأكيد في إقامة الحجة على العاصين، قبل وقوع الإهلاك المستحق المذكور، ويوافق هذا التأويل قوله تعالى:

«وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» الإسراء: ١٥

الوجه الثاني: أن يكون الإرادة في الآية مجازاً وتنبيهاً، على المعلوم من حال القوم وعاقبتهم، وأنهم متى أُمروا ففسقوا فأهلكوا، ويجري ذلك مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل جانب، وتوجه نحوه الخسران من كل مكان، وإذا أراد العليل أن يموت خلط في أكله.

ومعلوم أن ليس منهما من يريد ذلك. وإنما حسن الكلام لما علم من عاقبة أمرهما.

وهذا من أحد أقسام الفصاحة في كلام العرب، وهو جواب صحيح في الآية.

الوجه الثالث: أن يحمل الكلام في الآية على التقديم والتأخير، ويكون تلخيصه: إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب، أردنا إهلاكهم.

والتقديم والتأخير أيضاً مستعمل في كلام العرب، وهو وجه حسن، ويشهد به من القرآن قول الله تعالى:

«يا أيها الذين إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم». المائدة: ٦

ونحن نعلم أن الطهارة للصلاة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة. فأما من قرء

(أمّرنا) بالتشديد فإنما لإغناء به عن أجوبتنا.[1]

فصل:

من أمالي شيخنا المفيد رحمه الله:

روي أنه لما سار المأمون إلى خراسان كان معه الإمام الرضا علي بن موسى عليهما السلام، فبينا هما يتسايران، إذ قال له المأمون: يا أبا الحسن، إني فكرت في شيء، فسنح لي الفكر الصواب فيه. إني فكرت في أمرنا وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت القضية فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية.

فقال له أبو الحسن الرضا (ع): إن لهذا الكلام جواباً، إن شئت ذكرته لك وإن شئت أمسكت.

فقال له المأمون: لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه.

قال الرضا (ع): أُنشدك الله يا أمير المؤمنين، لو أن الله تعالى بعث محمداً (ص) فخرج علينا من وراء أكمةٍ من هذه الآكام، فخطب إليك ابنتك لكنت مزوّجه إياها؟

فقال: يا سبحان الله، وهل أحد يرغب عن رسول الله (ص)؟

فقال له الرضا (ع): أفتراه كان يحل له أن يخطب ابنتي؟

فسكت المأمون هنيئة ثم قال: أنتم والله أمسُّ برسول الله (ص) رحماً.

وروي أنه لما حج الرشيد ونزل في المدينة، اجتمع إليه بنو هاشم وبقايا المهاجرين والأنصار ووجوه الناس، وكان في الناس، الإمام أبو الحسن موسى

---

(١) ما ذكره المؤلف هنا من الأجوبة هو ملخص مما ذكره الشريف المرتضى في الأمالي انظر ج ٢ ص ١-٥.

ابن جعفر (ع)، فقال لهم الرشيد قوموا بنا إلى زيارة رسول الله (ص)، ثم نهض معتمداً على يد أبي الحسن موسى بن جعفر (ص)، حتى انتهى إلى قبر رسول الله (ص)، فوقف عليه فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن عم افتخاراً بذلك على قبائل العرب الذين حضروا معه، واستطالةً عليهم بالنسب. قال فنزع أبو الحسن موسى (ع) يده من يده، وقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه. قال فتغير وجه الرشيد، ثم قال: يا أبا الحسن، إن هذا لَهو الفخر.(١)

حدثني القاضي السلمي أسد بن ابراهيم، قال: أخبرني العتكي عمر بن علي، قال: حدثني محمد بن إسحاق البغدادي، قال: حدثنا الكديمي، قال: حدثنا بشر بن مهدان، قال: حدثنا شريك بن شبيب، عن عروة، عن المستطيل ابن حصين، قال:

«خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب (ع) ابنته، فاعتل عليه بصغرها، وقال: إني [أعددتها] لابن أخي جعفر، فقال عمر:

إني سمعت رسول الله (ص) يقول:

كل حسب ونسب فمنقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي، وكل بني أنثى، عصبهم لأبيهم ما خلا بني فاطمة، فإني أنا أبوهم، وأنا عصبتهم».(٢)

خبر يحيى بن يعمر مع الحجاج

قال الشعبي: كنت بواسط،(٣) وكان يوم أضحى، فحضرت صلاة العيد مع

(١) ذكر هذا الحديث السبط في التذكرة ص٣٥٠ ناقلاً له عن المدائني مختصراً. ورواه المفيد في الفصول المختارة ج (١) ص ١٥. ورواه أيضاً في الإرشاد ص٢٧٢ مختصراً أيضاً.

(٢) ذكر أصل خطبة عمر بن الخطاب لأم كلثوم بنت علي (ع) السبط في التذكرة ص٣٢١ دون ما سمعه عمر عن النبي (ص) وأنظر: الصواعق المحرقة ص١٥٦ - ١٥٧.

(٣) مدينة بناها الحجاج في العراق عام ٨٣/٨٤هـ وسميت واسطاً لتوسطها بين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد، فإن بينها وبين كل واحدة من هذه المدن مقداراً واحداً وهو خمسون فرسخاً (التنبيه والإشراف) ص ٣١١.

الحجاج، فخطب خطبةً بليغة، فلما انصرف جائني رسوله فأتيته، فوجدته جالساً مستوفزاً، قال: يا شعبي هذا يوم أضحى، وقد أردت أن أضحي برجل من أهل العراق، وأحببت أن تسمع قوله، فتعلم أني قد أصبت الرأي فيما أفعل به.

فقلت: أيها الأمير، لو ترى أن تستن بسنة رسول الله (ص)، وتضحي بما أمر أن يضحى به، وتفعل مثل فعله، وتدع ما أردت أن تفعله به في هذا اليوم العظيم إلى غيره.

فقال يا شعبي، إنك إذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه، لكذبه على الله وعلى رسوله، وإدخاله الشبهة في الإسلام.

قلت: أفيرى الأمير أن يعفني من ذلك؟ قال: لا بد منه.

ثم أمر بنطع فبسط، وبالسياف فأُحضر، وقال: احضروا الشيخ، فأتوه به، فإذا هو يحيى بن يعمر، فاغممت غماً شديداً، فقلت في نفسي: وأي شيء يقوله يحيى مما يوجب قتله؟

فقال له الحجاج: أنت تزعم أنك زعيم أهل العراق؟

قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء أهل العراق.

قال: فمن أي فقهك زعمت أن الحسن والحسين (ع) من ذرية رسول الله (ص)؟

قال: ما أنا زاعم ذلك، بل قائل بحق.

قال: وبأي حق قلت؟

قال: بكتاب الله عر وجل.

فنظر إلي الحجاج، وقال: اسمع ما يقول، فإن هذا مما لم أكن سمعته عنه، أتعرف أنت في كتاب الله عز وجل أن الحسن والحسين من ذرية محمد رسول الله (ص)؟ فجعلت أفكر في ذلك، فلم أجد في القرآن شيئاً يدل على ذلك.

وفكر الحجاج ملياً ثم قال ليحيى: لعلك تريد قول الله عز وجل.

«فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا

وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » آل عمران: ٦١.

وأن رسول الله (ص) خرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين (ع). قال الشعبي: فكأنما أهدى لقلبي سروراً، وقلت في نفسي: قد خلص يحيى. وكان الحجاج حافظاً للقرآن.

فقال له يحيى: والله، إنها لحجة في ذلك بليغة، ولكن ليس منها أحتج لما قلت، فأصفر وجه الحجاج، وأطرق ملياً ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال: إن جئت من كتاب الله بغيرها في ذلك، فلك عشرة آلاف درهم، وإن لم تأت بها فأنا في حلٍ من دمك.

قال: نعم

قال الشعبي: فغمني قوله فقلت: أما كان في الذي نزع به الحجاج ما يحتج به يحيى ويرضيه بأنه قد عرفه وسبقه إليه، ويتخلص منه حتى رد عليه وأفحمه، فإن جاءه بعد هذا بشيء لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل حجته لئلا يدعي أنه قد علم ما جهله هو.

فقال يحيى للحجاج: قول الله عز وجل:

« ومن ذريته داود وسليمان » الأنعام: ٨٤.

من عنى بذلك؟

قال الحجاج: ابراهيم

قال: فداود وسليمان من ذريته؟

قال: نعم.

قال يحيى: ومن نص الله عليه بعد هذا أنه من ذريته؟

فقرأ الحجاج: « وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ».

قال يحيى: ومن؟

قال: « وزكريا ويحيى وعيسى ».

قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرية ابراهيم، ولا أب له؟

قال: من قِبَل أمه مريم.

قال يحيى: فمن أقرب، مريم من ابراهيم أم فاطمة من محمد (ص)، وعيسى من ابراهيم (ع) أم الحسن والحسين (ع) من رسول الله (ص)؟؟

قال الشعبي: فكأنما ألقمه حجراً.

فقال أطلقوه، قبحه الله، وإدفعوا إليه عشرة آلاف درهم، لا بارك الله له فيها.

ثم أقبل علي فقال: قد كان رأيك صواباً، ولكنا أبيناه، ودعا بجزور فنحروه، وقام فدعا بالطعام فأكل وأكلنا معه، وما تكلم بكلمةٍ حتى انصرفنا، ولم يزل مما احتج به يحيى بن يعمر واجماً.

فصل من القول في القضاء والقدر

(سؤال) إن قال قائل ما قولكم فيها، وما معناها عندكم وحقيقتها، وهل أفعال العباد عندكم بقضاء الله وقدره أم لا، وما معنى الخبر المروي عن رسول الله (ص) إنه قال حاكياً عن ربه جل وعز:

« من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ رباً سوائي »[1].

وما روي عنه عليه السلام من أنه أوجب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأخبر أن الإيمان لا يتم إلا به.[2]

وما معنى قول المسلمين: إن الواجب الرضا بما قضاه الله وقدّره؟؟؟ أبينوا لنا عن حقيقة ذلك ليحصل لنا العلم به.

الجواب

قلنا الواجب من هذه المسألة أولاً أن نذكر معاني القضاء والقدر ثم نبين ما

---

(١) رواه الصدوق في التوحيد ص ٣٧٩ على تغيير في بعض ألفاظه.

(٢) هو مضمون الحديث عن رسول الله (ص) لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره رواه في التوحيد ص٣٨٨.

يصح أن يتعلق بأفعال العباد من ذلك وما لا يتعلق، ونجيب عن الخبر المروي عن رسول الله (ص) في ذلك بما يلاءم الحق.

أما القضاء فعلى أقسام:

منها ما يكون بمعنى الإعلام كقول الله تعالى:

«وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» الحجر: ٦٦ أي أعلمناه، وقوله سبحانه:

«وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرتين» الإسراء: ٤.

أي أعلمناهم بذلك. ويكون القضاء أيضاً بمعنى الحكم والإلزام كقوله جل اسمه:

«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» الإسراء: ٢٣.

أي حكم بذلك في التكليف على خلقه وألزمهم به.

فأما القدر فيكون بمعنى الكتاب والإخبار كما قال جل وعلا:

«إلا إمرأته قدرنا إنها لمن الغابرين». الحجر: ٦٠.

يعني كتبنا وأخبرنا، ويكون القدر أيضاً بمعنى التبيين لمقادير الأشياء وتفاصيلها والإعلام باختلاف أحوالها.

ويكون القدر ترك الأشياء في التدبير على نظام ووضعها في الحكمة مواضعها من غير زيادة ولا نقصان، كما قال تعالى:

«وقَدَّر فيها أَقواتها» فصلت: ١٠

فأما أفعال العباد فيصح أن نقول فيها، إن الله تعالى قضى بالطاعة منها، على معنى أنه حكم بها وألزمها عباده وأوجبها. وهذا إلزام أمرٍ، وليس بإلجاءٍ ولا جبرٍ.

ونقول أيضاً: إنه سبحانه قدر أفعال العباد، بمعنى بيَّن لهم مقاديرها من حسنها وقبحها، ومباحها وحظرها وفرضها ونفلها.

فأما القول بأنه قضاها على معنى أنه خلقها فغير صحيح، لأنه لو خلق الطاعة والمعصية لسقط اللوم[عن]العاصي،بموجب العدل ولم يكن معنى لإثابة الطائع في حجة ولا عقل.

ويقول في أفعال الله إنها كلها بقدره يريد أنها لا تفاوت فيها ولا خلل، وأنها بموجب الحكمة ملتئمة وعلى نسق الصواب منتظمة.

فأما الخبر المروي عن النبي (ص) من قوله حكاية عن الله سبحانه:
«من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ رباً سوائي»[1].

فهو واضح المعنى للعاقل. وهذا القضاء من الله تعالى، هو مما يبتلي به العبد، من إعلاله وأسقامه، وعوارضه وآلامه، وفقره بعد الغنى، وما [يمتحنه] من فقد الأعزاء والأقرباء. كل ذلك من قضاء الله الذي يجب الرضا به والصبر عليه، وهو مما يفعله الله سبحانه بعبده للحكمة التي تقتضيه وما يعلمه الله عز وجل من الصلاح الذي لعبده فيه.

وكيف يقضي الله على العبد بالمعصية، وهي من الباطل الذي يعاقب عليه وقد قال الله عز من قائل: «والله يقضي بالحق». غافر: ٢٠

وكذلك أقول في الخبر المروي عن النبي (ص) من إيجابه الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره. فالخير من القضاء والقدر هو ما مالت إليه الطباع [والتذّت به] الحواس. والشر بالضد من ذلك، على ما تقدم به البيان.

وسمي أيضاً شراً، لما على النفس في تحمله من المشاق، وهو مما أجمع المسلمون عليه من الرضا بقضاء الله والتسليم لقدره.

ولو كان الظلم والغضب والكفر بالله عز وجل من قضاء الله وقدره، لوجب الرضا به وترك إنكاره. فلما رأينا العقلاء ينكرونه ولا يرضونه، ويعيبون على من رضي به ويذمونه، علمنا أنه ليس من قضاء الله سبحانه.

---

(١) رواه الصدوق في كتاب التوحيد ص ٣٧٩ على تغيير في بعض ألفاظه.

أخبرني شيخنا المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه إجازةً، قال: حدثنا محمد بن عمر الحافظ إملاءً، قال: حدثنا أبو القاسم إسحاق بن جعفر العلوي، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد بن علي عن سليمان بن محمد القرشي، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه عن جده عليهم السلام قال:

«دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال:

أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء الله وقدره؟

فقال له أمير المؤمنين (ع):

يا شيخ، فوالله ما علوتم تلعةً ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء من الله وقدره.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين.

فقال: مهلاً يا شيخ، لعلك تظن قضاءً حتماً وقدراً لازماً؟

لو كان ذلك به، لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر، وسقط معنى الوعيد، ولم يكن على مسيءٍ لائمة، ولا لمحسنٍ محمدة، ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن. تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن، وقدرية هذه الأمة ومجوسها.

يا شيخ: إن الله كلّف تخييراً، ونهى تحذيراً، وأعطى بالقليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً. «ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار» ص: ٢٧

وجاء في الحديث رواية أخرى، أن الرجل قال له: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟

فقال (ع): الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك السيئة، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب. كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا. فأما غير ذلك فلا تظنه، فإن الظن محبط للأعمال.

فقال الرجل: فَرَّجت عني يا أمير المؤمنين وأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاك ربك عنا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشةٍ ... قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قائلاً ناهيه أوقعه ... فيها عبدت إذاً يا قوم شيطانا
ولا أحبَّ ولا شاء الفسوق ولا ... قتل الولي له ظلماً وعدواناً[1]

الحجاج يسأل عن القضاء والقدر

وذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي كتب إلى الحسن البصري[2]، وإلى واصل بن عطاء[3]، وعمرو بن عبيد[4] وعامر الشعبي[5]، فقال لهم: أخبروني بقولكم في القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن البصري:

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب (ع)، فإنه قال:

«يا ابن آدم، أزعمت أن الذي نهاك دهاك، وإنما دهاك أسفلك وأعلاك، وربك بريءٌ من ذاك».

وكتب إليه واصل بن عطاء:

---

(١) تجد هذا الحديث مروياً في توحيد الصدوق ص٣٨٨- ٣٨٩ وأنظر: أمالي المرتضى ج١ ص١٥١، والفصول المختارة ج١ ص٤٠- ٤٢ بزيادة أربعة أبيات.

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت، وأمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي (ص)، كان معدوداً في الزهاد، ومتهماً بالإنحراف عن علي (ع)، وكان كاتباً لوالي خراسان ربيعة بن زياد في زمن معاوية، وولي القضاء على البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم استقال من تلك الوظائف، مجنداً نفسه لخدمة الأمويين، حتى لقبوه بسيد التابعين، نظراً لسعة معلومات، وتظاهرة بالتقشف والورع، ولكونه من محاسيب السلطة الأموية.
عاش ٨٩ سنة ومات سنة ١١٠هـ، وعلى هذا تكون ولادته سنة ٢١هـ.

(٣) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال (٨٠- ١٣١هـ) من شيوخ المعتزلة وأعلامها البارزين، بل هو المؤسس لمذهب الإعتزال، وله آراء معروفة مذكورة في كتب الفرق.

(٤) أبو عثمان عمرو بن عبيد (٨٠- ١٤٤هـ) من أئمة الإعتزال ودعاتهم، وافق واصل بن عطاء في كثير من أصول المعتزلة.

(٥) أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي ينسب إلى شعب، بطن من همدان، من التابعين، كان فقيهاً شاعراً، وكان قاضياً على الكوفة، مات بالكوفة (سنة ١٠٤هـ).

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب (ع) فإنه قال:

« ما تحمد الله عليه فإنه منه، وما تستغفر الله عنه فهو منك ».

وكتب إليه عمرو بن عبيد:

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب، فإنه قال:

« إن كان الرزق في الأصل محتوماً، فالوازر في القصاص مظلوم »

وكتب إليه عامر الشعبي:

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب (ع)

« من وسع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق »

فلما قرأ الحجاج أجوبتهم قال: قاتلهم الله، لقد أخذوها من غيرٍ صافية.(١)

وجاء في الحديث أن الحسن بن أبي الحسن البصري كتب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (ع):

« من الحسن البصري إلى الحسن ابن رسول الله (ص).

أما بعد فإنكم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة، ومصابيح الدجي وأعلام الهدى، والأئمة القادة، الذين من اتبعهم نجا، والسفينة التي يؤول إليها المؤمنون، وينجو فيها المتمسكون، قد كثر- يا ابن رسول الله- عندنا الكلام في القدر، وإختلافنا في الإستطاعة، فتعلمنا ما نرى عليه رأيك ورأى آبائك، فإنكم ذرية بعضها من بعضٍ، من علم الله علمتم، وهو الشاهد عليكم، وأنتم شهداء على الناس والسلام ».

فأجابه الحسن بن علي صلوات الله عليهما:

« من الحسن بن علي إلى الحسن البصري.

أما بعد فقد انتهى إلى كتابك عند حيرتك وحيرة من زعمت من أُمتنا، وكيف ترجعون إلينا، وأنتم بالقول دون العمل.

---

(١) من البعيد أن يكون الحجاج هو الذي وجه السؤال إلى مثل عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، اللذين ولدا عام ٨٠هـ، مع العلم أن الحجاج مات سنة ٩٥هـ، حتى لو فرض أن سؤال الحجاج لها كان في نفس السنة التي مات فيها، حين يكون عمر كل من عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء خمسة عشر عاماً، وبخاصة أنهما لم يبرزا بعد وهما في هذه السن المبكرة في المجال الفكري والعلمي، ومن هنا فالمرجح أن يكون السائل شخصية أخرى غير الحجاج.

وأعلم أنه لولا ما تناهى إلي من حيرتك وحيرة الأمة قِبَلك لأمسكت عن الجواب، ولكني الناصح وابن الناصح الأمين.

والذي أنا عليه أنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره، فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد فجر. إن الله لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، [ولم يهمل العباد سدىً من المملكة]، ولكنه عز وجل المالك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله عز وجل لهم صاداً، ولا عنها مانعاً، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه أن يَمنَّ عليهم فيحول بينهم وبينها فَعَل، وإن لم يفعل فليس هو [الذي] حملهم عليها إجباراً، ولا ألزمهم بها إكراهاً، بل احتجاجه- جل ذكره- عليهم أن عَرَّفهم، وجعل لهم السبيل إلى فعل ما دعاهم إليه، وترك ما نهاهم عنه، ولله الحجة البالغة والسلام».(١)

أبو حنيفة مع الإمام موسى بن جعفر

وروى محمد بن سنان عن داود بن كثير الرقي، أن أبا حنيفة قال لابن أبي ليلى مُرَّ بنا إلى موسى بن جعفر (ع) لنسأله عن أفاعيل العباد- وذلك في حياة جعفر الصادق (ع) وموسى يومئذٍ غلام- فلما صار إليه سلما عليه، ثم قالا له: أخبرنا عن أفاعيل العباد، ممن هي؟

فقال لهما: إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه، فالله أعلا وأعز وأعدل من أن يعذب عبيده على فعل نفسه، وإن كانت من خلقه فالله أعلا وأعز من أن يعذب عبيده على فعلٍ قد شاركهم فيه. وإن كانت أفاعيل العباد من العباد، فإن عذب فبعدله، وإن غفر فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، ثم أنشأ يقول:

لم تخل أفعالنا اللاتي نُذَمُّ بها ... إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إما تفرد بارينا بصنعتها ... فيسقط الذم عنا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائمٍ فيها
أو لم يكن لإلَهي في جنانيها ... ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها(١)

(١) تجد هذه المراسلة في تحف العقول للحراني ص ١٦٢ مع بعض الإختلاف والزيادة.
(٢) روى ذلك الحراني في كتاب تحف العقول ص٣٠٨ مختلفاً عن رواية المؤلف ودون ذكر =

كلام الصادق لزرارة

ومما حفظ عن الصادق (ع) في ذلك قوله لزرادة بن أعين:

« يا زرارة إني أعطيك جملةً في القضاء والقدر، قال له زرارة: نعم، جعلت فداك. قال:

« إذا كان يوم القيامة، وجمع الله الخلائق، سألهم عما عهد إليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم ».(1)

فصل من كلام أمير المؤمنين وآدابه وحكمه (ع)(2)

لا رأي لمن انفرد برأيه، ما عطب من استشار من شاور ذوي الألباب دُلَّ على الصواب.

النصح لمن قَبِلَه

رأي الشيخ أحب إلى من حيلة الشاب.

رب واثق خجل

اللجاجة تسلب الرأي.

الطمأنينة قبل الحزم.

التدبير قبل العمل يؤمنك الندم.

من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ

من تحرى القصد خفت عليه المُؤَن

من كابد الأمور عطب

لولا التجارب عميت المذاهب

في التجارب علم مستأنف

في التواني والعجز أُنتجت الهلكة

= الأبيات. ورواه الشريف المرتضى في الأمالي م1 ص152 وذكر أن مضمون الخبر قد نظمه بعضهم.

(1) هذا الحديث رواه الصدوق في التوحيد ص 374.

(2) أكثر هذه الحكم موجودة في نهج البلاغة.

أحذر العاقل إذا أغضبته، والكريم إذا هنته، والنذل إذا أكرمته، والجاهل إذا صاحبته.

من كف عنك شره فاصنع به ما سره
من أمنت من أذيته فأرغب في إخوّته

فصل من الكلام في الغيبة وسببها

إن قال قائل: ما السبب الموجب لغيبة صاحب الزمان عليه وعلى آبائه أفضل السلام.

قيل له: لا يسأل عن هذا السؤال إلا من قد أعطى صحة وجود الإمام، وسَلَّمَ ما ذكره من غيبته من الأنام. لأن النظر في سبب الغيبة فرع عن كونها، فلا يجوز أن يسأل عن سببها من يقول: إنها لم تكن، وكذلك الغيبة نفسها فرع عن صحة الوجود، إذ كان لا يصح غيبة من ليس بموجود. فمن جحد وجود الإمام فلا يصح كلامه فيا بعد ذلك من هذه الأحوال. فقد بان أنه لا بد من تسليم الوجود والإمامة والغيبة، إما تسليم دين واعتقاد، ليكشف السائل عن السبب الموجب للإستتار، وإما تسلم نظر واحتجاج، لينظر السائل عن السبب إن كان كلامنا في الفرع ملائماً للأصل، وأنه مستمر عليه من غير أن يضاده وينافيه.

فإن قال السائل: أنا أسلم لك ما ذكرتموه من الأصل لا [عن] نظر، إن كان ينتظم معه جوابكم عن الفرع، فما السبب الآن في غيبة الإمام (ع)؟

فقيل له: أول ما نقوله في هذا أنه ليس يلزمنا معرفة هذا السبب، ولا يتعين علينا الكشف عنه، ولا يضرنا عدم العلم به.

والواجب علينا اللازم لنا، هو أن نعتقد أن الإمام الوافر المعصوم الكامل العلوم، لا يفعل إلا ما هو موافق للصواب، وإن لم نعلم الأغراض في أفعاله والأسباب. فسواء ظهر أو استتر، قام أو قعد. كل ذلك يلزمه فرضه دوننا، ويتعين عليه فعل الواجب فيه سوانا، وليس يلزمنا علم جميع ما علم، كما لا يلزمنا فعل جميع ما فعل. وتمسكنا بالأصل من تصويبه في كل فعل، يغنينا في

المعتقد عن العلم بـأسبـاب ما فعل. فإن عرفنا أسباب أفعاله كان حسناً، وإن لم نعلمها لم يقدح ذلك في مذهبنا، كما أنه قد ثبت عندنا وعند مخالفينا إصابة رسول الله (ص) في جمع أقواله وأفعاله، والتسليم له والرضا بما يأتي منه، وإن لم نعرف سببه.

ولو قيل لنا لِمَ قاتل المشركين على كثرتهم يوم بدر، وهو في ثلاثماية من أصحابه وثلاثة عشر، أكثرهم رجالة، ومنهم من لا سلاح معه، ورجع عام الحديبية عن إتمام العمرة، وهو في العدة القوية، ومن معه من المسلمين ثلاثة آلاف وستماية، وأعطى سهيل بن عمر وجميع مناه، ودخل تحت حكمه ورضاه، من محو بسم الله الرحمن الرحيم من الكتاب، ومحو إسمه من النبوة، وإجابته إلى أن يدفع عن المشركين ثلث ثمار المدينة، وأن يرد من أتاه ليسلم على يده منهم، مع ما في هذا من المشقة العظيمة والمخالفة في الظاهر للشريعة. لما ألزمنا الجواب عن ذلك أكثر من أنه أعرف بالمصلحة من الأمة، وأنه لا يفعل هذا إلا لضرورةٍ يختص بعلمها ملجئة، أو مصلحة تقتضيه، تكون له معلومة، وهو الوافر الكامل الذي لا يفرط فيما أُمر به.

وليس عدم علمنا بأسباب فعله ضاراً لنا ولا قادحاً فيما نحن عليه من إعتقادنا وأصلنا.

فكذلك قولنا في سبب غيبة إمامنا وصاحب عصرنا وزماننا.

ويشبه هذا أيضاً من أُصول الشريعة عن السبب في إيلام الأطفال وخلق الهوام، والمسمومات من الحشائش والأحجار ونحو ذلك مما لا يحيط أحد بمعرفة معناه، ولا يعلم السبب الذي أقتضاه. فإن الواجب أن نرد ذلك إلى أصله، ونقول إن جميعه فعل من ثبت الدليل على حكمته وعدله وتنزهه عن العيب في شيء من فعله.

وليس عدم علمنا بأسباب هذه الأفعال مع اعتقادنا في الجملة أنها مطابقة للحكمة والصلاح، بضارٍ لنا ولا قادحٍ في صحة أُصولنا، لأنا لم نكلف أكثر من العلم بالأصل، وفي هذا كفاية لمن كان له عقل.

وهكذا أيضاً يجري الأمر في الجواب إن توجه إلينا السؤال عن سبب قعود أمير المؤمنين (ع) عن محاربة أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يقعد عن محاربة من بعدهم من الفرق الثلاث[1]. والأصل في هذا كله واحد، وما ذكرناه فيه كافٍ للمسترشد.

فإن قال السائل لنا: جميع ما ذكرته من أفعال الله عز وجل فلا شبهة في أنه أعرف بالمصالح فيها، وأن الخلق لا يعلمون جميع منافعهم، ولا يهتدون إليها.

وأما النبي (ع) وما جرى من أمره عام الحديبية فإنه علم المصلحة في ذلك بالوحي من الله سبحانه.

فمن أين لإمامكم علم المصلحة في ذلك وهو لا يوحي إليه؟

قيل له: إن كان إمامنا (ع) [إماماً] فهو معهود إليه، قد نُصَّ له على جميع ما يجب [تعويله] عليه، وأخذ ذلك وأمثاله عن آبائه عن رسول الله (ص).

ولنا مذهب في الإمام، وعندنا أن الإمام (ع) يصح أن يلهم من المصالح والأحكام ما يكون هو المخصوص به دون الأنام.

ثم نتبرع بعدما ذكرناه بذكر السبب الذي تقدم فيه السؤال، وإن كان غير لازمٍ لنا في الجواب.

فنقول: إن السبب في غيبة الإمام (ع) إخافة الظالمين له، وطلبهم بسفك دمه، وإعلام الله أنه متى أبدى شخصه لهم قتلوه، ومتى قدروا عليه أهلكوه، فحصل ممنوعاً من التصرف فيما جعل إليه من شرع الإسلام، وهذه الأمور التي هي مردودة إليه ومعول في تدبيرها عليه، فإنما يلزمه القيام بها بشرط [وجود] التمكن والقدرة وعدم المنع والحيلولة وإزالة المخافة على النفس والمهجة، فمتى لم يكن ذلك فالتقية واجبة، والغيبة عند الأسباب الملجئة إليها لازمة، لأن التحرز من المضار واجب عقلاً وسمعاً. وقد استتر النبي (ص) في غار حراء، ولم يكن لذلك سبب غير المخافة من الأعداء.

---

(١) وهم الناكثون من أهل البصرة والقاسطون معاوية وأصحابه، والمارقون هم أصحاب النهروان أي الخوارج.

فإن قال السائل: إن استتار النبي (ع) كان مقداراً يسيراً لم يمتد به الزمان، وغيبة صاحبكم قد تطاولت بها الأعوام.

قيل له: ليس القصر والطول في الزمان يفرق في هذا المكان، لأن الغيبيين جميعاً سببها واحد، وهي المخافة من الأعداء، فهما في الحكم سواء، وإنما قصر زمان إحداها القصر مدة المخافة فيها، وطول زمان الأخرى لطول زمان المخافة. ولو ضادت إحداهما الحكمة وأبطلت الإحتجاج لكانت كذلك الأخرى.

فإن قال: فالأظهر إبداء شخصه، وإقام الحجة على مخالفيه وإن أدّى إلى قتله.

قيل لهم: إن الحجة في تثبيت إمامته قائمة في الأمة، والدلالة على إمامته موجودة ممكنة، والنصوص من رسول الله (ص) ومن الأئمة على غيبة مأثورة متصلة، فلم يبق بعد ذلك أكثر من مطالبة الخصم لنا بظهوره ليقتل. فهذا غير جائز، وقد قال الله سبحانه: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» البقرة: ١٦٥

وقال موسى عليه السلام: «ففررت منكم لما خفتكم» الشعراء: ٢١

فإن قال السائل: إن في ظهوره تأكيداً لإقامة الحجة، وكشفاً لما يعترض أكثر الناس في أمره من الشبهة، فالأوجب ظهوره، وإن قتل لهذه العلة.

قيل له: قد قلنا في النهي عن التغرير بالنفس ما فيه كفاية، ونحن نأتي بعد ذلك بزيادة، فنقول: إنه ليس كلما نرى فيه تأكيداً لإقامة الحجة فإن فعله واجب، ما لم يكن فيه لطف ومصلحة. ألا ترى إن قائلاً قال: لِمَ [لم] يعاجل الله تعالى العصاة بالعقاب والنقمة، ويظهر آياته للناس في كل يوم وليلة، حتى يكون ذلك آكد في إقامته عليهم الحجة، أليس كان جوابنا له مثل ما أجبنا في ظهور صاحب الغيبة، من أن ذلك لا يلزم ما لم [يفارق] وجهاً معلوماً من المصلحة.

وعندنا أن الله سبحانه لم يمنعه من الظهور وإن قتل إلا وقد علم أن مصلحة المكلفين مقصورة على كونه إماماً لهم بعينه، وأن لا يقوم غيره فيها

مقامه، فكذلك أمره بالإستتار [في] المدة التي علم أنه متى ظهر فيها قتله الفجار.

فإن قال الخصم: هلا أظهره الله تعالى، وأرسل معه ملائكة تبيد كل من أراده بسوء، وتهلك من قصده بمكروه؟

قيل له: قد سألت الملحدة عن مثل هذا السؤال في إرسال الأنبياء (ع)، فقالوا لِمَ لم يبعث الله تعالى معهم من الأملاك من يصد عنهم كل سوء يقصدهم به العباد؟ فكان الجواب لهم أن المصالح ليست واقعة بحسب تقدير الخلائق...[1] »، وإنما هي بحسب المعلوم عند الله عز وجل. وبعد فإن اصطلام[2] الله تعالى للعاصين ومعاجلته بإهلاك سائر الظالمين، قاطع لنظام التكليف، وربما اقتضى ذلك عموم الجماعة بالهلاك. كما كان في الأمم السابقة في الزمان.

وهو أيضاً مانع للقادرين من النظر في زمان الغيبة المؤدي إلى المعرفة والإجابة، فقد يصح أن يكون فيهم ومنهم في هذه المدة من ينظر فيعرف الحق ويعتقده، أو يكون فيهم معاندون مُقِّرون، قد علم الله سبحانه أنهم إن بقوا كان من نسلهم ذرية صالحة، فلا يجوز أن يحرمها الوجود بإعدامهم في مقتضى الحكمة، وليس العاصون في كل زمانٍ، هذا حكمهم، وربما علم ضد ذلك منهم، فاقتضت الحكمة إهلاكهم، كما كان في زمن نوح (ع)، حيث قال: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » نوح: ٢٦ - ٢٧

فإن قال السائل: إن آباءه (ع) قد كانوا أيضاً في زمان مخافة وأوقات صعبة، فلِمَ لم يستتروا؟ وما الفرق بينهم وبينه في هذا الأمر؟

قيل له: إن خوف إمامنا (ع) أعظم من خوف آبائه وأكثر. والسبب في ذلك، أنه لم يرو عن أحد من آبائه (ع) أنه يقوم بالسيف ويكسر تيجان

---

(١) هناك عدة كلمات غير واضحة المعنى.

(٢) الإصطلام الإهلاك.

الملوك، ولا يبقى لأحدٍ دولة سواه، ويجعل الدين كله لله. فكان الخوف المتوجه إليه بحسب ما يعتقد من ذلك فيه، وتطلعت نفوس الأعداء إليه، وتتبعت الملوك أخباره الدالة عليه، ولم ينسب إلى أحدٍ من آبائه شيء من هذه الأحوال. فهذا فرق واضح بين المخافتين.

ثم نقول بعد ذلك: إن من اطلع في الأخبار وسبر السير والآثار، علم أن مخافة صاحبنا (ع) كانت منذ وقت مخافة أبيه (ص)، بل كان الخوف عليه قبل ذلك في حال حمله وولادته. ومن ذا الذي خفي عليه من أهل العلم ما فعله سلطان ذلك الزمان مع أبيه وتتبعه لأخباره، وطرحه العيون عليه، انتظاراً لما يكون من أمره، وخوفاً مما روت الشيعة أنه يكون من نسله، إلى أن أخفى الله تعالى الحمل بالإمام (ع)، وستر أبوه (ص) ولادته إلا عمن اختصه من الناس، ثم كان بعد موت أبيه، وخروجه للصلاة ومضي عمه جعفر[1] ساعياً إلى المعتمد[2] ما كان، حتى هجم على داره، وأخذ ما كان بها من أثاثه ورحله، واعتقل جميع نسائه وأهله، وسأل أمه عنه فلم تعترف به، وأودعها عند قاضي الوقت المعروف بابن أبي الشوارب،[3] ولم يزل الميراث معزولاً سنتين، ثم ما كان بعد ذلك من الأمور المشهورة التي يعرفها من إطلع في الأخبار المأثورة.

وهذه كلها من أسباب المخاوف التي نشأت [بنشوء] [الرجل] الخائف، ثم بترادف الزمان لعظم ذكره على لسان المؤالف والمخالف.

ومع ذلك فإن النصوص قد نطقت بذكر مخافته، كما تضمنت نعت استتاره وغيبته، منها ما هو مجمل، ومنها ما هو مفصل.

فروي عن أمير المؤمنين (ع) إنه ذكر المهدي (ص) فقال:

---

(١) هو جعفر بن الإمام علي الهادي المعروف عند الشيعة بجعفر الكذاب ادَّعى الإمامة ثم بطل أمره.

(٢) هو الخليفة المعتمد على الله من ملوك بني العباس.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبدالله الأموي قاضي بغداد من عهد المتوكل إلى زمن المقتدر توفي سنة ٣٠٧هـ.

« صاحب الأمر هو الشريد الطريد الفريد الوحيد »(١)

وقال (ص):

اللهم إنك لا تخلي الأرض من حجةٍ لك على خلقك، ظاهراً موجوداً، أو خائفاً مغموراً، كي لا تبطل حججك وبيناتك.(٢)

ومن ذلك قول الإمام الصادق (ع) وقد ذكر عنده المهدي (ص) فقال:

« إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، فقال له زرارة: ولمَ؟ قال: يخاف على نفسه »(٣)

وقول أبيه الباقر (ع):

في صاحب هذا الأمر أربع سننٍ من أربعة أنبياء، سنة من موسى (ع)، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء. فأما موسى فخائف، وأما عيسى فيقال مات ويقال لم يمت، وأما يوسف فالغيبة عن أهله بحيث لا يعرفهم ولا يعرفونه، وأما محمد (ص) فالسيف »(٤) وفيما أوردناه مقنع والحمد لله.

فصل من مسائل الفقه المستطرفة

مسألة: إمرأة طلقها زوجها، ومضت في عدتها حتى قاربت النصف، فلما انتهت إلى ذلك وجب عليها استئناف العدة من أولها من غير أن تكون أخلّت فيما مضى بشيء من حدودها.

(١) رواه الصدوق في إكمال الدين ص ٢٩٨ يسنده عن حنان بن السدير عن علي بن الحرد وعن الأصبغ عن علي ص٢٤١.

(٢) تجد هذا الحديث مروياً في إكمال الدين للصدوق من اكثر من عشرة طرق أنظر ص ٢٨٤-٢٨٨.

(٣) رواه الصدوق في إكمال الدين ص٣٣٢ بسنده عن عبد الدين بكر عن رزادة، وذكر القائم بدل القلام.

(٤) رواه الصدوق في الكتاب المذكور ص ٣١٧. يسنده عن أبي بصير وكذلك في ص ٣٢٠ بسنده عن أبي بصير أيضاً باختلاف في بعض ألفاظه.

الجواب: هذه جارية لم تبلغ المحيض ومثلها في السن من تحيض، طلقها زوجها، فوجبت العدة بالشهور عليها، فلما مضت في عدتها قريب الشهر ونصف حاضت، فوجب عليها الغاء ما مضى واستئناف العدة بالحيض.

وفي هذه من العامة خلاف ووفاق.

مسألة: إمرأة طلقها زوجها فوجبت عليها العدة أياماً معلومة، فعمد إنسان إلى طاعة الله تعالى ففعلها، فوجب على المرأة عند فعل الطاعة من العدة في الأيام مثل ما كان لزمها.

الجواب: هذه إمرأة طلقها زوج كان لها، فحاضت حيضين في شهر واحد، فلما كان قبل تقضّي الشهر بيوم أو يومين قبل أن تطهر من الحيضة الثانية، أعتقها مولاها، فوجب عليها عدة الحرة ثلاثة قروء، فلم تستوف ذلك حتى كملت ثلاثة أشهر.

وفي هذا الجواب خلاف من بعض العامة أيضاً.

مسألة أُخرى: رجل تزوج إمرأةٍ على مهرٍ غير موزون ولا مكيل، ولا ممسوح، ولا هو جسم، ولا جوهر ولا شيء من الأموال والعروض، فتم نكاحه بذلك وكان مصيباً.

جواب: هذا العاقد على سورة أو آيةٍ من كتاب الله تعالى.

والشيعة مجمعة على هذا، وبعض العامة يوافق عليه.

مسألة: إمرأة أجنبية من رجل، قالت قولاً حل له به فرجها من غير مهرٍ ولا أجر ولا عقد أكثر مما تقدم منها من القول.

جواب: هذه المرأة التي وهبت نفسها للنبي (ص)، فنزل القرآن بقصتها وتحليلها له، وتحريم ذلك على غيره، وجعلها الله سبحانه خالصة له من دون المؤمنين.[1]

---

(١) مصدره من الآية ٥٠ من سورة الأحزاب، وهو قوله سبحانه: «وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين..»

وليس في هذا الجواب خلاف بين المسلمين.

مسألة: إمرأة، عدتها ساعة من الزمان.

جواب: هذه امرأة حامل، فولدت بعد ساعة من الطلاق. والقول في ذلك أيضاً إجماع.

مسألة: تزوج رجل إمرأة على ألف درهم، ثم طلقها فوجب له علبها ألف وخمساية درهم.

جواب: هذه المرأة قبضت من زوجها جميع مهرها وهو ألف درهم، ثم أشهدت على نفسها بعد قبضها له أنه صدقة عليه، فلما عرف الرجل ذلك طلقها قبل أن يدخل بها، فوجب عليها الألف درهم بالصدقة، وخمساية درهم نصف ما فرضه لها من الصداق، وهذا أيضاً جواب عليه الإتفاق.

فصل من كلام أمير المؤمنين (ص) في ذكر النساء

إياك ومشاورة النساء إلا من جربت بكمال عقلها، فإن رأيهن يجر إلى الأفن[1] وعزمهن إلى وهن. وقصر عليهن أجنحتهن فهو خير لهن. وليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا يوثق به عليهن. وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك وأفعل.

لا تملك المرأة أمرها ما يجاوز نفسها فإن ذلك أنعم لبالها وبالك. وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تطعها أن تشفع لغيرها، ولا تطيلنّ الخلوة مع النساء فيملنك وتملهن، واستبق من نفسك بقية.

وإياك والتغاير في غير موضع غيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، وإن رأيت منهن ريبة فعجل النكير وأقل الغضب عليهن إلا في عيب أو ذنب.

وقال:

---

(١) الأفن ضعف العقل.

لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تثقوا بهن في الفعال،فإنهن لا عهد لهن عند عامدهن ولا ورع عند حاجتهن، ولا دين لهن عند شهوتهن، يحفظن الشر وينسين الخير. فالطفوا لهن على كل حال لعلهن يُحسنَّ الفعال.(١)

فصل مما روى عن المتقدمين في ذكر النساء

قيل لسقراط ما تقول في النساء؟

فقال: ما استرعين شيئاً قط إلا ضاع، ولا قدرن على شيء وكففن عنه

وقيل له: كيف يجوز أن تذم النساء، ولولاهن لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء؟

فقال: إنما مثل المرأة كمثل النخلة ذات السلا،(٢) إن دخل يد الإنسان فيه عقره، وحملها الرطب الجني.

وقيل له: كيف تصبر عن النساء وطيبهن؟

فقال: هن كالعسل أُديف فيه سم قاتل، فمن أكله استلذ به ساعة أكله، وفيه هلاكه إلا الأبد.

ونظر بعض الحكماء إلى امرأة معلقة في شجرة، فوقف تحتها يبكي، فقال له بعض تلامذته: أيها الحكيم، تبكي لهذه البائسة؟

فقال: والله ما بكائي رحمةً مني لها

قيل له: فمم بكاؤك؟

قال: أسفاً مني، كيف لا أرى كل الشجر يحمل من هذا الثمر.

وقال ديوجانس لبعض تلامذته، وقد نظر إلى امرأةٍ حسناء متبرجة في طريقه: تنحوا عن هذا الفخ الذي قد نصب نفسه لهلاك الخلق.

---

(١) هذا من وصايا الإمام (ع) لولده الحسن (ع) وهو مذكور في نهج البلاغة.

(٢) هو شوك النخل.

وقيل لسقراط: لِمَ لا تتزوج؟

فقال: إن كان ولابد فعلى الصفة التي أصفها لكم.

قالوا: صِف، فلم يترك شيئاً من السماجة والقباحة إلا وصفه.

فقيل له: أيها الحكيم: لقد ناقضت أولي الألباب في صفتك.

فقال: ألستم تعلمون أنه شر، فشر صغير خير من شر كبير.

ونظر آخر إلى امرأةٍ تحمل ناراً، فقال: الحامل شر من المحمول.

ونظر إلى امرأة تعلم الكتابة، فقال: أفعى يزداد سماً.

وبنى رجل داراً وكتب على بابها: لا يدخل شيء من الشر، فقيل له: فامرأتك من أين تدخل.

ونظر بعض الحكماء إلى تلميذٍ له ينظر إلى امرأةٍ حسناء، فقال له:

احذر أن تقيدك بشركها فتهلك.

فقال التلميذ: إنما أنظر إلى آثار حكمة الصانع فيها.

فقال له: أنظر إلى آثار حكم الصانع فيما لا تشتهيه نفسك، أسلم لك.

فصل من ذكر المرضى والعبادة

قال رسول الله (ص):

الحمى تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد.

وقال الصادق (ع):

ساعات الآلام يذهبن بساعات الخطايا.

وقال (ع):

إن العبد إذا مرض أوحى الله تعالى إلى كاتب الشمال:

«لا تكتب على عبدي خطيئةً ما دام في حبسي ووثاقي إلى أن أُطلقه، وأوحى إلى كاتب اليمين: أن اجعل أنين عبدي حسنات».

وروي أن نبياً من الأنبياء مر برجلٍ قد جهده البلاء، فقال:
يار ب، أما ترحم هذا مما به، فأوحى الله إليه:
«كيف أرحمه مما به أرحمه».

وروي أنه لما نزلت هذه الآية:
«ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به» سورة النساء: ١٢٣

فقال رجل لرسول الله (ص): يا رسول الله، جاءت قاصمة الظهر.
فقال (ع): كلا، أما تحزن، أما تمرض، أما تصيبك اللأواء[١] والهموم؟؟
قال: بلى، قال: فذلك مما يجزي به.

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رسول الله (ص) قال:
«عايد المريض يخوض في البركة، فإذا جلس انغمس فيها»
وقال عليه السلام:
«إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئاً، وهو يطبب النفس»

أُنشد لبعضهم

حق العبادة يوم بين يومين وجلسة لك مثل الطرف بالعين
لا تبرمنّ مريضاً في مسائلةٍ يكفيك [تسأله من ذا] بحرفين[٢]

فصل من خطبةٍ لرسول الله (ص) في ذكر الموت والوعظ

«يا أيها الناس: كأن الموت على غيركم كتب، وكأن الحق على غيركم وجب، وكأن الذي نشيع من الأموات سَفَرٌ عما قليل إلينا راجعون، نبوّهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة، وأمنّا كل جائحة. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب غيره، وأنفق ما اكتسب في غير معصية،

(١) الشدة وضيق المعيشة، ويطلق ويراد به القحط.
(٢) في النسخة: هكذا يكفيك من ذاك تسأله بحرفين، وهو لا يستقيم وزناً وهو خطأ من الناسخ.

ورحم أهل الضعف والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن أذل نفسه، وحسنت خليقته وصلحت سريرته، وعزل عن غيره شره، وانفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم يدعها إلى البدعة »[1].

فصل مما روي في القبور والدفائن

وجد على قبرٍ مكتوباً:

قهرنا الأعداء، وبنينا الحصون والدفائن، واقتصرنا على ما ترون.

ووجد على آخر مكتوباً:

الدنيا فانية، والآخرة باقية، والناظر إلينا لاحق بنا.

ذكروا أنهم رأوا على قبر أبي نؤاس هذه الأبيات، وهن لأبي العتاهية:

وعظتك أجداث صُمُت ونعتك أزمنة خُفُت
وتكلمت عن أعين تبلى وعن صُوَرٍ سُبُت
وأرتك قبرك في القبور وأنت حي لم تمت

وروى أنس بن مالك، قال: إن رسول الله (ص) قال: «كان تحت الجدار الذي ذكره الله تعالى في كتابه:

« وكان تحته كنز لهما » الكهف: ٨٢.

لوح من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجباً لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن قلبه إليها، لا إله إلا الله »[2]

وروى عن ابن عباس رحمه الله في حديث، ذكر فيه إتيان رجل جهني إلى رسول الله (ص)، وإسلامه على يده، وأنهم تحدثوا يوماً في ذكر القبور، والجهني حاضر، فحدثهم أن جهينة بن القوصان أخبره عن أشياخه، أن سنة[3]

(١) تجده هذه الخطبة في تحف العقول، وفي أعلام النبوة للماوردي مختصراً.
(٢) رواه الطبرسي في مشكاة الأنوار ص٢٧٣ عن الإمام الرضا (ع).
(٣) أي سنة مجدبة

نزلت بهم، أكلوا فيها ذخائرهم، فخرجوا من شدة الأزل[1]. وهم جماعة في طلب النبات، فجنهم الليل، فأووا إلى مغار، وكانت البلاد مسبعة، وهم لا يعلمون، قال رجل منهم يقال له مالك، قال: رأينا في الغار أشبالاً، فخرجنا هاربين، حتى دخلنا وهدة من وهاد الأرض، بعدما تباعدنا من ذلك الموضع، فأصبنا على باب الوهدة حجراً مطبقاً، فتعاونا عليه حتى قلبناه، فإذا رجل قاعد، عليه جبة صوف، وفي يده خاتم عليه مكتوب:

«أنا حنظلة بن صفوان رسول الله».

وعند رأسه كتاب في صحيفة نحاس، فيه: بعثني الله إلى حمير وهمدان والعزيز من أهل اليمن بشيراً ونذيراً، فكذبوني وقتلوني، فأعادوا الصخرة إلى ما كانت عليه في موضعها.

وروى الأصبغ بن نباتة في حديث رجل من حضرموت، أتى أمير المؤمنين (ع) أيام أبي بكر فأسلم على يده، قال: فسأله أمير المؤمنين (ع) يوماً ونحن مجتمعون للحديث، فقال له:

أعالم أنت بحضرموت؟

فقال: الرجل: إن جهلتها لم أعلم شيئاً.

قال: أفتعرف موضع الأحقاف؟

قال: كأنك تسأل عن قبر هود النبي (ع)؟

قال: لله درك، ما أخطأت.

قال: نعم. خرجت في عنفوان شيبني في غلمةٍ من الحي، ونحن نريد قبره، لبعدصوته فينا، وكثرة من يذكره، فسرنا في بلاد الأحقاف أياماً، وفينا رجلٍ قد عرف الموضع، حتى انتهى بنا ذلك الرجل إلى كهفٍ، فـدخلنا وأمعنا فيه طويلاً، فانتهينا إلى حجرين قد أُطبق أحدهما فوق الآخر، وبينهما خلل، يدخل الرجل النحيف، فتحارفت فدخلت، فرأيت رجلاً على سرير، شديد الأدمة، طويل الوجه، كث اللحية، قد يبس، فإذا مسست شيئاً من جسده

(١) الأزل: الشدة

أصبته صلباً لم يتغير، ورأيت عند رأسه كتاباً بالعبرانية فيه مكتوب:

«أنا هود النبي آمنت بالله، وأشفقت على عاد بكفرها، وما كان لأمر الله من مرد».

فقال لنا أمير المؤمنين (ع): وكذلك سمعت من أبي القاسم (ص).

وروى عبد الرحمن بن زياد الإفريقي قال:

خرجت بأفريقة مع عمٍ لي إلى مزروع لنا، قال: فحفرنا موضعاً فأصبنا تراباً هشاً، فطمعنا فيه، فحفرنا عامة يومنا حتى انتهينا إلى بيت كهيئة الأزج، فإذا فيه شيخ مسجىً، وإذا عند رأسه كتابه، فقرأتها، فإذا هي:

أنا حسان بن سنان الأوزاعي رسول شعيب النبي (ص) إلى أهل هذه البلاد، دعوتهم إلى الإيمان بالله، فكذبوني وحبسوني في هذا الحفير، إلى أن يبعثني الله فأخاصمهم إليه يوم القيامة.

سالم الأعرج مولى بني زريق قال:

حفرنا بئراً في دور بني زريق، فرأينا أثر حفرٍ قديم، فعلمنا إنه حفر قديم مستأثر، فحفرنا فأفضينا إلى صخرةٍ عظيمة، فقلبناها، فإذا تحتها رجل قاعد كأنه يتكلم، فإذا هو لا يشبه الأموات، فأصبنا فوق رأسه كتابةً، فيها:

أنا قادم بن اسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، هربت بدين الحق من (أيتملك) الكافر، وأنا أشهد أن الله حق ووعده حق، لا أشرك به شيئاً، ولا أتخذ من دونه ولياً.

وعبدالله بن موهب قال:

أصاب بعض عمال معاوية محفراً بمصر، احتفره بعض أهلها لحاجتهم، فأفضى بهم ذلك إلى مخضب عظيم مطبق، فظنوه مالاً، فبعث العامل إليه أمناءه ليحضروا ما فيه، فلما فتحوا أصابوا شاباً، عليه جبة صوف، وكساء صوف، وخف إلى نصف ساقه، وأصابوا عند رأسه كتاباً بالعبرانية، فيه:

أنا حبيب بن نوبا جر صاحب رسول الله موسى بن عمران (ع). من أحب أن يأخذ بالناموس الأكبر، فليخالف بني إسرائيل، فإنهم قد تواكلوا الحكم، وعملوا بالهوى، وباعوا الرضا وتركوا المنهاج الذي أخذ عليه ميثاقهم.

عبدالله بن موهب عن بعض أشياخه:

إن مسجد الرملة لما حفر أساسه في دار معاوية بن أبي سفيان، انتهى بهم الحفر إلى صخرة، فقلعوها فإذا تحتها شاب دهين الرأس موفر الشعر قائم مستقبل القبلة، فكلموه فلم يكلمهم، فكتب بذلك إلى معاوية، قال فخرجنا بالكتاب في خمسة، فأتينا معاوية، فأخبرناه بذلك ودفعنا إليه الكتاب، فأمر أن ترد الضخرة إلى حالها، وأن يعيدوه على حاله كما كان.

وحدثهم غير واحد:

أنه لما أجرى معاوية بن أبي سفيان القناة التي في (أُحُد)، أمر بقبور الشهداء فنبشت، فضرب رجل بمعوله فأصاب إبهام حمزة رضي الله عنه، فانبجس الدم في إبهامه، فأخرج رطباً يتثنى، وأخرج عبدالله بن عمرو بن الجموح، وكانا قتلا يوم (أُحُد) وهما [رطبان..] بعد أربعين سنة، فدفنا في قبر واحد. وكان عمرو بن الجموح أعرج، فقال أبو سعيد الخدري[1]: إنه لشيء لا آمر بعده بمعروف ولا أنهى عن منكر.

وذكروا أن الوليد بن عبد الملك احتاج إلى رصاص أيام بنى مسجد دمشق، فقيل له إن في الأردن منارة فيها رصاص فابعث إليها، فبعث إليها، فلما أخذوا في حفرها ضرب رجل بمعوله فأصاب رجلاً في سفط[1]، وناوله المعول، فسال دمه، فسأل عنه فقيل: هذا طالوت الملك، فتركه ولم يخرجه.

وذكروا: إن سليمان بن عبد الملك، مر بوادي القرى، فأمر بحفرٍ يحفر فيه ففعلوا فانتهى فيه إلى حجرة فاستخرجت، فإذا تحتها رجل عليه قميصان

---

(١) كذا في النسخة.

واضح يده على رأسه، فجذبت يده فمج مكانها دم، ثم تركت فرجعت إلى مكانها فرقا الدم، وإذا معه كتاب فيه:

أنا الحرث بن شعيب الغساني رسول شعيب إلى أهل مدين فكذبوني وقتلوني.

مسألة من عويص الفقه لأبي النجا محمد بن المظفر

ذكروا أن أبا النجا سئل عن معن هذين البيتين:

أتعرف خالاً أحرز المال كله ... ففاز به من دون عمٍ وما غصب
وما الخال عم الميت حين نعتُّه ... ولكنه أدنى وأولى إذا نسب

فأجاب:

تفهم جواباً تستفد بافتهامه ... غرائب علمٍ طارفٍ حين يكتسب
هو ابن أخيه من أبيه وخاله ... لأم فخذ قولاً يفهِّم ذا الأدب
وذلك لما زوَّجت أم أمه ... أخاه يقيناً من أبيه إذا انتسب
فجاءته بابن فهو لا شك خاله ... لأم وسنخ القوم وابن أخ لأب
فأحرز إرث العم من دون عمه ... كذلك يقضي ذو التفقه والأدب

تفسير الجواب

هذا رجل تزوج أخوه لأبيه، جدته أم أمه، فجاءت بابن، فهو خاله لأمه، وهو ابن أخيه لأبيه، فلما مات عن عمه- وهذا الخال- كان أولى بالميراث من العم، لأنه ابن أخ.

وفيه وجه آخر فيقال: رجل تزوج امرأة، وزوج ابنه من أُمها، فجاءت كل واحدة منها بابن، فابن الكبرى هو خال ابن الصغرى، وهوابن أخيه لأبيه.

وقد روي أن مثل هذا اتفق في أيام عبد الملك بن مروان، وأنه دخل إليه رجل من أهل الشام، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني تزوجت أمرأة، وزوجت ابني أمها، ولا غنى بنا عن رفدك، فقال له عبد الملك: إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا ولدتما فعلت؟

قال: يا أمير المؤمنين، هذا حميد بن بجدل، قد قلدته سيفك، ووليته ما وراء بابك فاسأله عنها، فإن أصاب لزمني الحرمان، وإن أخطأ اتسع لي العذر. فدعا بـالبجدلي، فسأله عنها، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك ما قدمتني على العلم بالأنساب، ولكن على الطعن بالرماح، ثم قيل له الجواب، وهو أن أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

مسألة: تزوج زيد امرأة، وزوج ابنه عمراً ابنتها، فرزقا منهما ولدين، ما قرابة ما بين الولدين؟

الجواب: إن ولد زيد من المرأة هو عم ولد عمرو من بنتها، وخاله أيضاً، لأنه أخو أبيه من أبيه، وأخو أمه من أمه، والآخر ابن أخيه وابن أخته.

مسألة أخرى: تزوج زيد امرأة وزوج ابنه عمراً أختها، فرزقا منهما ولدين. فما قرابة ما بين الولدين.

جواب: إن ابن زيد عم ابن عمرو وابن خالته، وابن عمرو ابن أخيه[1] وابن خالته.

فصل

حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد بن أحمد الماليني الهروي بالرملة في شوال سنة ست عشرة وأربعمائة، قال: أخبرنا أبو عمرو إسماعيل بن نجيد إملاءً، قال: حدثنا علي بن الحسن بن الجنيد الرازي، قال: حدثنا المعافا بن سليمان، قال: حدثنا زهير بن معاوية، قال: حدثنا محمود بن حجارة، إن أبان حدثه قال: حدثني أنس بن مالك، قال: كان رسول الله (ص) يدعو في أثر الصلاة فيقول:

« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفسٍ لا تشبع، ودعاءٍ لا يسمع. اللهم إني أعوذ من هؤلاء الأربع ».

---

(١) في النسخة ابن خالة وهو خطأ من الناسخ.

وأخبرني شيخي أبو عبدالله الحسين بن عبيد الله بن علي الواسطي[١] رضي الله عنه، قال: أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري[٢]، قال: أخبرني أبو علي محمد بن همام[٣] بن سهل، قال: حدثنا جعفر بن مالك، قال: حدثنا محمد بن الحسن الزيات، قال حدثنا حسن بن محبوب، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر (ع)، كان من دعاء أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«آلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي أنت لي كما أحب، وفقني لما تحب»[٤].

تم الجزء الاول من كتاب كنز الفوائد

---

(١) هو العالم المعروف بابن الواسطي كما حكاه فخار بن معد في كتابه (حجة الذاهب) عن تلميذه الكراجكي، وهو صاحب كتاب (من أظهر الخلاف لأهل البيت) الذي ينقل عنه ابن طاووس في رسالته (غياث سلطان الورى) في المواسعة (طبقات ج٢ ص٦٤).

(٢) الشيباني من وجوه الأصحاب وثقاتهم مات سنة ٣٨٥هـ وهو من تل عكبرى بلدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ.

(٣) هو أبو علي محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الأسكافي من شيوخ الشيعة ومتقدميهم له منزلة عظيمة، كثير الحديث ولد يوم الإثنين لستٍ خلون من ذي الحجة سنة ٢٥٠هـ وتوفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٣٦هـ عن رجال النجاشي.

(٤) رواه الشيخ المفيد من كتاب الخصال ج (١) ص: ١٨٦.

صدر للمعلق

(١) سياسة الخلفاء الراشدين في الموازين النفسية.
(٢) الأدب في ظل التشيع، طبعة ثانية.
(٣) هشام بن الحكم، طبعة ثانية.
(٤) فلاسفة الشيعة.
(٥) مصادر نهج البلاغة.
(٦) عقيدتنا، طبعة ثانية.
(٧) دليل القضاء الجعفري.

وسيصدر قريباً إن شاء الله تعالى:

(٨) روح التشيع.
(٩) الأدلة الجلية في شرح الفصول النصيرية.
(١٠) ملحق أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل.
(١١) الغيب وأنباء المستقبل في الإسلام.

مراجع الكتاب

طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي
الأغاني للأصبهاني
بحار الأنوار للمجلسي
مناقب ابن شهراشوب
كشف الغمة
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
سيرة ابن هشام
حماسة أبي تمام
إعلام الورى للطبرسي
شرح التجريد للعلامة الحلي
أمالي الشريف المرتضى }
الفصول المختارة }
الكنى والألقاب للقمي
مروج الذهب }
التنبيه والإشراف } للمسعودي
اثبات الوصية }
طبقات الشعراء لابن قتيبة
المحاسن والمساوئ للبيهقي
الخرايج والجرايح للراوندي
الإفصاح }
الأمالي } للمفيد
الإرشاد }
الإختصاص }
فهرست ابن النديم
التوحيد

اكمال الدين } للصدوق القمي
الآمالي }
البيان والتبيين }
رسائل الجاحظ } للجاحظ
الغيبة للطوسي }
لسان الميزان
ديوان ابن الرومي
ديوان الشريف الرضي
الأربعين للمجلسي
الأربعين للبهائي
كشف الفوائد للعلامة الحلي
عيون الأخبار لابن قتيبة
مجمع البحرين
صحيح البخاري
فضائل الخمسة من الصحاح الستة
معاهد التنصيص
معجم رجال الحديث للسيد الخوئي
وقعة صفين لابن مزاحم المنقري
النجوم لابن طاووس
فلاسفة الشيعة }
مصادر نهج البلاغة } للمعلق
تثبيت دلائل النبوة للهمذاني
مقتضب الأثر لابن عياش
مناقب المغازلي

فهرس الجزء الأول من الكتاب

منشورات دار الأضواء بيروت - لبنان

اسم الكتاب	المؤلف
جوامع الجامع في تفسير القرآن	الطبرسي
مصادر وأسانيد نهج البلاغة	عبد الزهراء الخطيب
شرائع الاسلام ١-٤	العلامة الحلي
جامع الرواة	الأردبيلي
معالم التوحيد	العلامة الشيخ جعفر سبحاني
معالم الحكومة الاسلامية	جعفر سبحاني
معالم النبوة	جعفر سبحاني
مفاتيح الجنان	عباس القمي
الباقيات الصالحات	عباس القمي
الأنوار البهية	عباس القمي
فرق الشيعة	النوبختي
حق اليقين	العلامة عبد الله شبر
تذكرة الخواص	سبط بن الجوزي
ثواب الأعمال وعقابها	علي دخيل
مناقب الإمام علي	ابن المغازلي الشافعي
أدعية وأعمال شهر رمضان	إعداد الدار
١٠٠ شاهد وشاهد	عبد الزهراء الخطيب
الاستنصار	الكراجكي
الوصية الخالدة	عباس الموسوي
تلخيص المحصل	نصير الدين الطوسي
معالم العلماء	ابن شهرآشوب

اسم الكتاب	المؤلف
ضياء الصالحين	الجوهري
عمار بن ياسر	صدر الدين شرف الدين
الإسلام وأسس التشريع	عبد الحسن فضل الله
مقتل الحسين	عبد الرزاق المقرم
حجر بن عدي	عبد الله السبيتي
سلمان الفارسي	عبد الله السبيتي
عمار بن ياسر	عبد الله السبيتي
مذهب أهل البيت	محمد الحيدري
كيف تكسب الأصدقاء	محمد الحيدري
النكت الاعتقادية	جعفر النقدي
علي الأكبر	محمد علي عابدين
من ذا وذاك	محمد جواد مغنية
شبهات الملحدين	محمد جواد مغنية
مصدر الوجود	جعفر سبحاني
فلسفات إسلامية	بسام مرتضى
طب الإمام الصادق	محمد الخليلي
الأخلاق عند الإمام الصادق	محمد أمين زين الدين
الحياة الجنسية في الإسلام	صباح السعدي
كشف الغمة في معرفة الأئمة	الأربلي
سعد السعود	ابن طاووس
مناقب آل أبي طالب	ابن شهرآشوب
الفصول المختارة	الشيخ المفيد
الانتصار	الشريف المرتضى
مبادىء الوصول إلى علم الأصول	العلامة الحلي